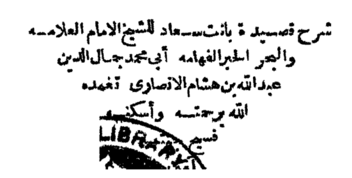
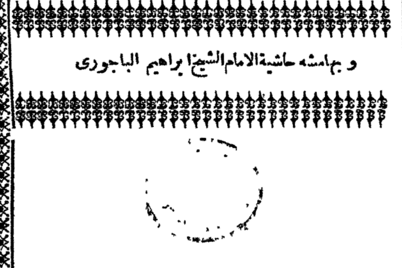
شرح قصيدة بانت سعاد للشيخ الامام العلامه والبحر الحبر الفهامه أبي محمد جمال الدين عبدالله بن هشام الانصارى تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح





وبهامشه حاشية الامام الشيخ ابراهيم الباجورى



اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم *(أما بعد)* حمد الله المنعم بالهام الحمد لعبيده حمدا موافيا لنعمه ومكافئا المزيده والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وقدوة العاملين محمد النبي الامي والرسول العربي حبيب الرحمن وخليله ورسوله المؤتمن على تبليغ رسالاته وأداء تنزيله الداعي بالحكمة والموعظة الحسنة الى سبيله وعلى آله وأصحابه مصابيح الظلم وينابيع الحكم وشآبيب الكرم فاني مورد في هذا الكتاب قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه التي مدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشدها بحضرته الشريفة وبحضرة أصحابه المهاجرين والانصار رضي الله عنهم أجمعين ومردف كل بيت منها بشرح ما يشكل من لغته واعرابه ومعناه ومعط للقول في ذلك كله حقه ان شاء الله تعالى (والذي) دعاني الى هذا التأليف غرضان سنيان أحدهما التعرض لبركات من قيلت فيه صلى الله عليه وسلم والثاني اسعاف طالبي علم العربية بفوائد جليلة أوردها وقواعد عديدة أسردها وبالله تعالى المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (ولنقدم) بين يدي ذلك الكلام في فصلين (أحدهما) ذكر شيء من أخبار كعب رضي الله عنه وسبب قوله هذه القصيدة فنقول هو كعب بن زهير بن أبي سلمى بضم السين واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح بكسر الراء بعدها آخر الحروف أحد بني مزينة كان من فحول الشعراء هو وأبوه وكان عمر رضي الله عنه لا يقدم على أبيه أحدا ويقول أشعر الناس الذي يقول ومن يشير الى قوله في معلقته المشهورة

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * ولو رام أسباب السماء بسلم

ومن يك ذا مال فيبخل بماله * على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه * ولا يغنها يوما من الدهر يندم ويروى يسأم

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ومن

*(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي أنطق كعبا بذكر سعاد تفاؤلا بمافاز بالاسعاد وسهل عليه طريق الرشاد فجعله من أسعد العباد وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من هول يوم التناد واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد العبيد والاسياد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أولي التوفيق والسداد الذين تأبدوا في محبته صلى الله عليه وسلم ومزجوا بها الاكباد (اما بعد) فيقول راجي عفو ربه الكريم عبده الباجوري ابراهيم لا زال محفوفا بالالطاف والنعم ومحفوظا من الآفات والنقم اعلم ان المدح رأس مال الشاعر الذي يعول عليه ومقصده الذي يرجع في التوسل للامور اليه ولما لم يلق به صلى الله عليه وسلم تعاطيه عوضه الله سبحانه وتعالى بأن جعل الشعراء مطبقين على مدحه بما لا يدنو بشيء مما هو فيه مسرعين اليه مكبين عليه حتى شحنت به الدفاتر ونفدت دون نفاده المحابر ثم ان من أبدع ما مدح به رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة كعب *التي كانت على ناظمها ابرك كعب* المشهورة ببانت

وسبب هذه القصيدة أن كعب بن زهير بن أبي سلمى بضم السين ربيعة بن رياح بكسر الراء وفتح الياء المثناة آخر الحرف ابن اددن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان كان من فحول شعراء العرب المجيدين والمهرة لمفلقين وكذلك أخوه بجير لكن كان كعب أشعر من بجير وكان زهير أبوهما أشعر منهما وكان لكعب ابنان شاعران جليلان أحدهما عقبة والآخر العوام وما كان لهما نظير في الخواص والعوام وكان كعب ممن هجا النبي صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام فلما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة خرج ناس هاربين ومن جاتهم كعب وأخوه بجير فخرجا من مكة حتى أتيا الى ابرق العزاف بفتح العين المهملة والزاي المشددة آخره فاء وهو رملة ٣ بالحجاز لبني سعد كذا قال السيوطي وقال الشيخ الجمل وهو ماء لبني أسد بين المدينة والربذة على عشرين ميلا من المدينة الشريفة وانما سمي بذلك لانه كان يسمع به عزيف الجن أي صوتهم فلما وصلا لذلك المكان قال بجير لكعب اثبت في الغنم هنا حتى آتي هذا الرجل فأسمع كلامه واعرف ما عنده هل هو مما يستملح ويلوح صدقه فاتبعه أم لا فاتركه فأقام كعب هناك ومضى بجير فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة الشريفة فسمع كلامه وآمن به وأقام عند النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك لاخيه كعب فشق عليه اسلام بجير فكتب اليه بهذه الابيات

الا ابلغا عني بجيرا رسالة فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

سقاك بها المأمون كأسا روية فأنهلك المأمون منها وعلكا

ففارقت أسباب الهدى واتبعته على أي شيء ويب غيرك دلكا

على مذهب لم تلف اما ولا أبا عليه ولم تعرف عليه أخا لكا

فان أنت لم تفعل فلست بآسف * ولا قائل اما عثرت لعا لكا

فقوله الابلغا أصله بلغن بنون التوكيد قلبت ألفا ويصح ان تكون ألفه للتثنية لان العرب يخاطبون الواحد بخطاب الاثنين وقوله فهل لك فيما قلت أي فهل لك ارادة فيما قلته من كلمة الشهادة وقوله ويحك كلمة ترحم تقال فيمن وقع في مهلكة لا يستحقها فترحم عليه بخلاف ويلك فانها كلمة تقال لمن وقع في مهلكة يستحقها وقوله هل لكا تأكيد للاولى وقوله سقاك بها أي بكلمة الشهادة التي دلت عليها قرينة الحال والباء بمعنى من التبعيضية والمأمون فاعل وكأسا مفعول به والمراد بالمأمون النبي فقد كانت قريش تسميه المأمون والامين فهو كما قيل ومليحة شهدت لها ضراتها * والفضل ما شهدت به الاعداء والكأس القدح اذا كان فيه الشراب وروية أي مروية فعيلة بمعنى مفعلة وقوله وأنهلك المأمون منها أي فاسقاك المأمون من تلك الكأس نهلا والنهل بالتحريك

ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

المنسم بفتح الميم وكسر السين طرف خف البعير (ومما يستحسن من شعر كعب رضي الله عنه)

لو كنت أعجب من شيء لاعجبني * سعي الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لامور ليس يدركها * والنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ما عاش ممدود له أمل * لا تنتهي العين حتى ينتهي الاثر

(وقوله أيضا)

ان كنت لا ترهب ذمي لما * تعرف من صفحي عن الجاهل

فاخش سكوتي اذ أنا منصت * فيك لمسموع خنى القائل

فالسامع الذم شريك له * ومطعم المأكول كالآكل

مقالة السوء الى أهلها * أسرع من منحدر مائل

ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل

وولد كعب عقبة بن كعب وكان أيضا شاعرا مجيدا وولد عقبة بن كعب العوام بن عقبة بن كعب وكان شاعرا مجيدا وهو الذي يقول

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا * ملاحة عيني أم عمرو وجيدها

وهل بليت أثوابها بعد جدة * ألا حبذا أخلاقها وجديدها

(وكان) من خبر قول كعب رضي الله عنه هذه القصيدة فيما روى محمد بن اسحق وعبد الملك بن هشام وأبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري وأبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الانباري دخل حديث بعضهم في حديث بعض أن كعبا وبجيرا ابني زهير خرجا الى أبرق العزاف فقال بجير لكعب اثبت في الغنم حتى آتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فأسمع كلامه وأعرف ما عنده فاقام كعب ومضى بجير فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه فآمن به وذلك ان زهيرا فيما زعموا كان يجالس أهل الكتاب ويسمع منهم أنه قد آن مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير في منامه انه قد مد سبب من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته فتأوله بالنبي الذي يبعث في آخر الزمان وانه لا يدركه وأخبر بذلك بنيه وأوصاهم ان ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يسلموا ولما اتصل خبر اسلام بجير باخيه كعب أغضبه ذلك فقال

ألا أبلغا عني بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

سقاك بها المأمون كأسا روية * فأنهلك المأمون منها وعلكا

ففارقت أسباب الهدى واتبعته * على أي شيء ويب غيرك دلكا

الشرب الاول وقوله وعلكا أى واسقاك منها علا والعلل بالتحريك الشرب الثانى وقوله ففارقت أسباب الهدى أى بسبب ذلك حينئذ وقوله واتبعته أى المأمون وقوله على أى شئ متعلق بدلكا بعده أو بمحذوف أى دلك على أى شئ أى دلك على شئ لا ينفع وقوله ويب غيرك أى هلكت هلاك غيرك فالويب بالواو الهلاك وهو بالنصب على اضمار الفعل وقد علمت ان الجار والمجرور متعلق بقوله دلكا وقوله على مذهب متعلق بمحذوف دل عليه متعلق قوله على أى شئ ويصح العكس وقوله لم تلف أى لم تجد وقوله فان أنت لم تفعل فلست بآسف أى فان أنت لم تفعل ما قلته لك من الرجوع للمذهب الذى كان عليه أبوك وأمك وعليه أخوك فلست أنا بآسف عليك وقوله ولا قائل اما عثرت لعالكا أى ولست أنا بقائل ان عثرت أنت لعالك أى لا أدعو لك

بالسلامة من العثرة لغضبي عليك فان لعالك كلمة دعاء للعاثر بالسلامة من عثرته قال فى المختار وهو دعاء له بان ينتعش اه فلما وقف بجير عليها أخبر بها النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله سقاك بها المأمون قال مأمون والله ثم قال من لقى كعبا فليقتله فاهدر صلى الله عليه وسلم دمه فكتب اليه أخوه بجير بهذه الابيات

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى تلوم عليها باطلا فهى أحزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده
فتنجوا اذا كان النجاة فتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت
من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا دين دينه
* ودين أبى سلمى على محرم

فقوله من مبلغ أى أى شخص هو مبلغ فمن للاستفهام وقوله فهل لك الخ أى فهل لك ارادة فى كلمة الشهادة التى تلوم عليها لوما باطلا وقوله فهى أحزم أى أضبط يقال حزم امره اذا ضبطه وقوله الى الله أى فارجع من الضلالة الى الايمان بالله لا الايمان باللات والعزى وهما صنمان كانا يعبدان من دون الله وقوله وحده حال من الله أى حال كونه وحده وقوله اذا كان النجاة أى اذا وجد سبيل النجاة فى الدنيا من القتل وفى الآخرة من عذاب الله فتسلم فى الدارين وقوله لدى يوم أى وقت يوم بترك التنوين وقوله وليس بمفلت بفتح اللام على انه اسم مفعول وقوله طاهر القلب أى من الكفر وهذا اشارة لكونه مسلما وقوله فدين زهير مبتدأ خبره قوله على محرم وقوله وهو لا دين دينه أى هو لا دين دينه هذا الكلام تعليل لقوله على محرم وقوله ودين أبى سلمى عطف على المبتدا وكتب بعدها يخبره ان النبى قد أهدر دمه وانه قتل رجالا ممن كانوا يهجونه ويؤذونه فان كان لك فى نفسك حاجة فطر اليه أى ائت له مسرعا فانه لا يرد أحدا جاءه تائبا ولا يطالب بما تقدم قبل الاسلام فلما بلغه الكتاب أتى الى قبيلته مزينة لتجيره من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبت

على مذهب لم تلف أما ولا أبا * عليه ولم تعرف عليه أخا لكا

فان أنت لم تفعل فلست بآسف * ولا قائل اما عثرت لعالكا

وأرسل بها الى بجير فلما وقف عليها أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع عليه الصلاة والسلام قوله سقاك بها المأمون قال مأمون والله وذلك انهم كانوا يسمون رسول الله صلى الله عليه وسلم المأمون ولما سمع قوله على مذهب ويروى على خلق لم تلف اما البيت قال أجل لم يلف عليه أمه ولا أباه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله وذلك عند انصرافه عليه الصلاة والسلام عن الطائف فكتب اليه أخوه بجير هذه الابيات

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى * تلوم عليها باطلا وهى أحزم

الى الله لا العزى ولا اللات وحده * فتنجوا اذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت * من الناس الا طاهر القلب مسلم

فدين زهير وهو لا شئ دينه * ودين أبى سلمى على محرم

وكتب بعد هذه الابيات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اهدر دمك وانه قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه وان من بقى من شعراء قريش كابن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب قد هربوا فى كل وجه وما أحسبك ناجيا فان كان لك فى نفسك حاجة فصر اليه فانه يقبل من أتاه تائبا ولا يطالبه بما تقدم الاسلام فلما بلغ كعبا الكتاب أتى الى مزينة لتجيره من رسول الله صلى الله عليه وسلم فابت عليه ذلك فحينئذ ضاقت عليه الارض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان من عدوه فقالوا هو مقتول فقال هذه القصيدة يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل من جهينة كان بينه وبينه معرفة فأتى به الى المسجد ثم أشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقم اليه فاستأمنه وعرف كعب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفة التى وصفه له الناس وكان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه مثل موضع المائدة من القوم يتحلقون حوله حلقة ثم حلقة فيقبل على هؤلاء فيحدثهم ثم يقبل على هؤلاء فيحدثهم فقام له حتى جلس بين يديه فوضع يده فى يده ثم قال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به قال نعم قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير فقال الذى يقول ما يقول ثم أقبل على أبى بكر فاستنشده الشعر فانشده أبو بكر

* سقاك بها المأمون كأسا روية * فقال كعب لم أقل هكذا وانما قلت

سقاك أبو بكر بكاس روية * فانهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمون والله ووثب اليه رجل من الانصار فقال يا رسول الله دعنى وعدو

ذلك فضاقت عليه الأرض بما رحبت وأشفق على نفسه فقال هذه القصيدة يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج حتى وصل المدينة فنزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة وقيل ان ذلك الرجل هو على بن أبي طالب كرم الله وجهه فأتى به الى المسجد ثم أشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فقام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس بين يديه فوضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه وأماه وعرفه صلى الله عليه وسلم بالصفة التي وصفه له بها الناس فقال يارسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال يارسول الله أنا كعب بن زهير فقال الذي يقول ما قال ثم أقبل على أبي بكر يستنشده الشعر فأنشده أبو بكر * سقاك بها المأمون كأسا روية ه * البيت فقال كعب لم أقل هذا وانما قلت

سقاك أبو بكر بكأس
روية * وأنهلك المأمون
فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مأمون والله فوثب
عليه رجل من الانصار
فقال يارسول الله دعني
وعدو الله اضرب عنقه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعه عنك فقد جاءنا تائبا نازعا
أى خارجا من الكفر لانه
أسلم ثم أنشد القصيدة بين
يدى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يسمع وكان قد
أنشأ قبل قدومه المدينة وهو
عند الغنم من هذه القصيدة
أبياتا ولما وصل الى حضرته
صلى الله عليه وسلم وقبله وعفا
عنه انشأ تلك القصيدة على
وجه آخر مبلغها الى سبع
وخمسين بيتا وفى رواية أبي
بكر الانبارى انه لما وصل الى
قوله

ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

ألقى عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بردته التى كانت
عليه ولذا قال أهل العلم
هذه القصيدة هي التي حقها أن تسمى بالبردة لان المصطفى صلى الله عليه وسلم أعطى كعبا بردته الشريفة وأما قصيدة البوصيرى فحقها ان تسمى البرأة لانه كان أصابه داء الفالج فابطل نصفه وأعيا الاطباء فلما نظمها رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم فمسح بيده عليه فبرئ لوقته وقد بذل معاوية لكعب فى هذه البردة عشرة آلاف من الدراهم فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفا من الدراهم فأخذها منهم قال وهى البردة التى عند السلاطين الى اليوم وعند ابن قانع عن ابن المسيب انها التى يلبسها الخلفاء فى الاعياد لكن قال الشامى ولا وجود لها الآن لان الظاهر انها فقدت فى وقعة التتار وقد ذكر الترمذى فى طبقات النحاة ان بندارا الاصفهانى كان يحفظ تسعمائة قصيدة كل قصيدة منها بانت سعاد وذكر السيوطى منها عشرة منها قول زهير والد كعب بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا

الله أضرب عنقه فقال دعه عنك فانه قد جاء تائبا نازعا فغضب كعب على هذا الحى من الانصار لما صنع به صاحبهم قال ابن اسحق فلذلك يقول اذا عرد السود التنابيل يعرض بهم وفى رواية أبي بكر بن الانبارى انه لما وصل الى قوله

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

رمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه وان معاوية بذل له فيها عشرة آلاف فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم قال وهى البردة التى عند السلاطين الى اليوم قال عبد الملك بن هشام ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له بعد ذلك ألا ذكرت الانصار بخير فان الانصار لذلك أهل فقال

من سره كرم الحياة فلا يزل * فى مقنب من صالح الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيار هم بنو الاخيار
المكرهين السمهرى بأذرع * كسوالف الهندى غير قصار
والناظرين بأعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم * للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم * بدماء من علقوا من الكفار
واذا حللت ليمنعوك اليهم * أصبحت عند معاقل الاعفار
لو يعلم الاقوام علمى كله * فيهم لصدقنى الذين أمارى

(شرح الشعر) الواقع فى هذا الخبر قول كعب رضى الله عنه ألا أبلغا يحتمل ان يكون بالنون لفظا على انها نون التوكيد الخفيفة و بالالف خطا لاجل الوقف ويحتمل انه بالالف لفظا وخطا اما على انه مؤكد ووصل بنية الوقف أو على انه خطاب للاثنين أو للواحد فكثيرا ما يخاطب الواحد بما يخاطب به الاثنان وقوله فهل لك يحتمل كون الفاء زائدة عند من جوز زيادتها فتكون الجملة بعدها مفسرة للرسالة فلا موضع لها على قول الجمهور ان المفسرة لا موضع لها أو موضعها نصب على قول الشلوبين ان الجملة المفسرة بحسب المفسر ويحتمل كونها عاطفة على أبلغا والمعطوف محذوف أى فقولا له هل لك لانه لا يحسن قم وهل قام زيد وان اشترك فى الطلب وكثيرا ما يحذف القول ويبقى المقول حتى قال الفارسى حذف القول من حديث البحر قل ولا حرج والاصل هل لك رأى أو ارادة أى هل قلت ذلك عن قصد واعتقاد أو قلته لامر ما والمرفوع المحذوف مبتدأ خبره فى الظرف لا فاعل بالظرف لاعتماده كما فى نحو أفى الله شك لان الفاعل لا يحذف ويأتى هذا البحث فى قوله تعالى هل لك الى ان تزكى أى هل ميل أو انقياد وتعلق الجار وهو فى والى فى البيت والآية بذلك المحذوف

وليت وصلا لنا من حبلها رجعا * لكن المنصرف اليه اللفظ عند الاطلاق قصيدة كعب وقد طلب مني بعض الاخوان أصلح الله لي ولهم الحال والشان كتابة حاشية عليها تيسر الناظرين ويشهد بفضلها فضلاء المحصلين فاجبته لذلك وان لم أكن أهلا لما هنالك فجاءت حاشية شريفة بعبارات مستحسنة منيفة وسميتها بالاسعاد على بانت سعاد والله المسؤل في اكمالها وجعلها خالصة لوجهه ونافعة من أعتنى بها وانا نقدم قبل الشروع في المقصود مقدمة في بيان ترتيب هذه القصيدة وأبياتها التي نسجت عليها فنقول (مقدمة) اعلم انه كان عادة أكثر شعراء العرب انهم اذا أرادوا قصيدة مدح افتتحوها بالغزل وهو المعبر عنه بالتشبيب وهو أربعة أنواع (النوع الاول) ذكر صفات المحب كالشغف والنحول والذبول والحزن والأرق ونحو ذلك (النوع الثاني) ٦ ذكر صفات المحبوب التي هي أسباب المحبة سواء كانت حسية او معنوية فالاولى كحمرة الخد ورشاقة القد وما في معناهما والثانية كالجلالة والخفر وهو الحياء والوقار يقال خفر الانسان خفرا من باب تعب والاسم الخفارة بالفتح كما في المصباح (النوع الثالث) ما يتعلق بالمحب والمحبوب جميعا من هجر وصد ووصل وسلو واعتذار ووفاء واخلاف ونحو ذلك (النوع الرابع) ذكر ما يتعلق بالوشاة والعذال والرقباء ونحوهم والناظم قد أتى في قصيدته قبل التخلص الى المدح بالانواع الاربعة فذكر النوع الاول في البيت الاول حيث ذكر حال نفسه وما اعتراه بسبب الفراق بقوله بانت سعاد الخ ثم أخذ في ذكر النوع الثاني في البيت الثاني حيث ذكر ما يتعلق بمحبوبته فشبهها بالظبي الموصوف بحسن الصفات بقوله وما سعاد غداة البين الخ ثم ذكر ثغرها وريقها وشبهه بالراح في البيت الثالث بقوله تجلو عوارض ذي ظلم الخ ثم ذكر مزج الراح بالماء واستطرد فوصف ذلك الماء ثم الابطح الذي أخذ منه الماء في البيت الرابع بقوله شجت بذي شبم الخ ثم أكمل وصف ذلك الابطح في البيت الخامس بقوله تنفي الرياح القذى عنه الخ ثم أخذ في ذكر النوع الثالث فذكر اخلاف محبوبته للوعد وعدم قبولها النصح في البيت السادس بقوله أكرم بها خلة لو انها صدقت * موعودها الخ ثم أكمل ذلك في البيت السابع بقوله لكنها خلة الخ ثم وصفها بالتلون في الود في البيت الثامن بقوله فما تدوم على حال تكون بها الخ ثم وصفها بعدم الوفاء بالعهد في البيت التاسع بقوله * ولا تمسك بالعهد الذي زعمت الخ ثم أكد ذلك فاخبر بان ما تعده أماني لا حقيقة لها في البيت العاشر بقوله فلا يغرنك ما منت وما وعدت الخ ثم ضرب لها مواعيد عرقوب مثلا في البيت الحادي عشر بقوله كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * الخ ثم ذكر انه يرجو ويأمل ان تدنو مودتها في البيت الثاني عشر بقوله أرجو وآمل أن

وقوله ويحك ويح كلمة تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها فيترحم عليه ويرثى له كقوله عليه الصلاة والسلام ويح عمار تقتله الفئة الباغية وويل كلمة تقال لمن يستحق الهلكة كقوله تعالى ويلك آمن ان وعد الله حق وعن علي رضي الله عنه الويح باب رحمة والويل باب عذاب وهل لك الثانية توكيد وتكميل وتحصيل للقافية وقوله سقاك بها يحتمل ضميره المجرور خمسة أوجه أحدها ان يعود الى المقالة المفهومة من قلت كما عاد الضمير المؤنث من قد سألها الى المسئلة المفهومة من قوله تعالى لا تسألوا عن أشياء ومن سئلت في قول الشاعر

واذا سئلت الخير فاعلم انها * حسنى تخص بها من الرحمن

ولو كان الضمير في الآية عائدا الى أشياء لعدي اليه بعن لا بنفسه ولكنه مفعول مطلق لا مفعول به الثاني ان يعود على المقالة المفهومة من قلت على ان تقدر ما مصدرية الثالث ان يعود على نفس ما على أن تكون موصولا اسميا حذف عائده أي في التي قلتها والرابع ان يعود الى الكلمة التي قالها التي دل عليها قرينة الحال أعني كلمة الشهادة وعلى هذه الاوجه فتحتمل الباء وجهين أحدهما الزيادة أي سقاكها فيكون قوله كأسا اما حالا موطئة كما تقول لقيت زيدا رجلا صالحا واما بدلا من الضمير على الموضع كما تقول ما رأيت من أحد منصفا الثاني ان يكون بمعنى من التبعيضية وهو قول الكوفيين والاصمعي والفارسي وبه قال الشافعي رحمه الله في قوله تعالى وامسحوا برؤسكم وبرجحه قوله فانهلك المأمون منها وعلى هذا فكأسا مفعول به والوجه الخامس ان يعود على الكأس فيحتمل اعرابه وجهين أحدهما ان يكون بدلا من الضمير على الموضع كما تقول مررت به زيدا وعود الضمير على الظاهر المبدل منه جائز باجماع هكذا نقل ابن مالك عن ابن كيسان ومن شواهده قولهم اللهم صل عليه الرؤف الرحيم والثاني ان يكون تمييزا وعود الضمير على تمييزه متفق عليه في باب رب ونعم كقوله تعالى بئس للظالمين بدلا وقول الشاعر * وربه عطبا أنقذت من عطبه * ولم يخصه الزمخشري بذلك بل قال به في قوله فسواهن سبع سموات وقوله المأمون المراد به النبي صلى الله عليه وسلم كانت قريش تسميه المأمون والامين فهو كما قيل

ومليحة شهدت لها ضراتها * والفضل ما شهدت به الاعداء

والكأس القدح اذا كان فيه الشراب وهي مؤنثة ولهذا أنث صفته ومثله قوله تعالى بكأس من معين بيضاء وقوله روية فعيلة بمعنى مفعلة أي مروية والنهل بالتحريك الشرب الاول والعلل الشرب الثاني وويب مثل ويل في المعنى وقد مضى وفي الحكم وهو انها ان أضيفت نصبت وقد ترفع وان نونت رفعت وقد تنصب وقوله على خلق متعلق بمحذوف دل عليه متعلق قوله على أي شيء وهو قوله دلك وقوله لم تلف اما أمها كبشة بنت عمار من بني سحيم وقوله لعا هي كلمة تقال للعاثر دعاء له بالاقالة من عثرته فاذا دعا عليه قيل لا لعا قال

* فلا لعا لبني ذبيان اذ عثروا * وقول بجير رضي الله عنه من مبلغ فيه خرم بالراء المهملة وأصله فمن مبلغ وقوله

النجاء يقال نجوت من كذا نجاة بالقصر والتأنيث ونجاء بالمد والتذكير وفي البيت الثاني تقديم وتأخير وتقديره الى الله وحده لا الى اللات والعزى وقوله في البيت الثالث طاهر القلب صفة مشبهة مجارية للمضارع وهي مطلوبة في المعنى لينجو نا علا وليس اسما ولم يتنازعاها بل المسئلة من الحذف ومثله ما قام وقعد الا زيد لانه لو كان من التنازع لاضمر في أحدهما ضمير المتنازع فيه فيفسد المعنى لاقتضائه حينئذ نفي الفعل عنه وانما هو منفي عن غيره ومثبت له وقوله في البيت الاخير فدين زهير مبتدأ ومضاف اليه وقوله ودين أبي سلمى معطوف عليه وقوله على محرم خبر وما بينهما اعتراض وهو اعتراض حسن بديع ويحتمل افراده الخبر مع تعدد المخبر عنه وجهين أحدهما أن يكون الاصل فاتباع دين زهير ودين أبي سلمى ثم حذف المضاف ونظيره الحديث ان هذين حرام على ذكور أمتي أي استعمال هذين أي الذهب والحرير والثاني ان دين زهير ودين أبي سلمى واحد وانما أعيد المضاف توكيدا كقوله

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له * أكيلا فاني لست آكله وحدي
قصيا كريما أو قريبا فانني * أخاف مذمات الاحاديث من بعدي
واني لعبد الضيف ما دام نازلا * ومالي خلال غيرها شيمة العبد

الشاهد في البيت الاول وأشار باشتراط الكرم في البعيد دون القريب الى ان ذوي القرابة كلهم كرام وفي قوله ومالي خلال البيت احتراس كقوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ويروى * فدين زهير وهو لا شئ غيره * قال أبو بكر بن الانباري قال أبو عكرمة معناه فدين زهير غيره أي غير الحق وهو لا شئ اه فعلى هذا فقوله محرم خبر عن شئ واحد في اللفظ والتقدير وهو دين أبي سلمى فلا اشكال

*(الفصل الثاني في بيان بحر هذه القصيدة وعروضها وضربها
وقافيتها وما اشتملت عليه من المعاني اجمالا)*

فنقول هي من بحر البسيط وهو ثمانية أجزاء كالطويل الا ان سباعيه مقدم على خماسيه فانه مستفعلن فاعلن أربع مرات والطويل فعولن مفاعيلن أربع مرات وعروضه مخبونة أي محذوفة الالف فتصير فعلن بتحريك العين كما كانت قبل حذف الالف وهي العروض الاولى من أعاريض البسيط الثلاثة وبيتها يا حار لا أرمين منكم بداهية * لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك
وضربها مقطوع أي محذوف من وتده المجموع حرف متحرك أو زنة حرف متحرك فيبقى على فال فينقل الى فعلن بسكون العين وهو الضرب الثاني من اضرب البسيط الستة ومن ضربي العروض المخبونة والردف لازم لهذا الضرب وبيته

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني * جرداء معروقة اللحيين سرحوب

ولنقطع البيت الاول ليقاس عليه نظائره بانت سعاد مستفعلن فقل فعلن دخله الخبن بحذف ألف فاعلن وهو

ندنو مودتها * الخ ثم ذكر انها صارت بأرض بعيدة في البيت الثالث عشر بقوله أمست سعاد بأرض * الخ ثم ذكر انه لا يبلغها اليها الا ناقة صفتها كذا وكذا وأطال في وصفها على عادة العرب في ذلك من أول البيت الرابع عشر الى آخر البيت الثالث والثلاثين فاستوفى عشرين بيتا في وصفها ثم أخذ في ذكر النوع الرابع فذكر حال الوشاة في البيت الرابع والثلاثين بقوله تسعى الوشاة حواليها الخ واستطرد في ذلك الى آخر البيت السابع والثلاثين وهو قوله كل ابن أنثى وان طالت سلامته الخ ثم تخلص الى المقصود من القصيدة وهو مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم في البيت الثامن والثلاثين بقوله انبئت ان رسول الله أوعدني * الخ واستطرد في ذلك الى آخر البيت ٧ الموفى خمسين وهو قوله ان الرسول لسيف يستضاء به الخ فاستوفى ثلاثة عشر بيتا في مدحه صلى الله عليه وسلم ثم انتقل الى ما هو بمنزلة التتمة والخاتمة وهو مدح المهاجرين بقوله في البيت الحادي والخمسين في فتية من قريش الخ واستطرد في ذلك الى آخر البيت السابع والخمسين وهو قوله لا يقع الطعن الا في نحورهم البيت وهو آخر القصيدة لانها اشتملت على سبعة وخمسين بيتا ولم يتعرض فيها لمدح الانصار لانه وجد في نفسه من الذي قال منهم يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له بعد ذلك لو ذكرت الانصار بخير فان الانصار لذلك أهل فمدحهم بقصيدة أخرى مطلعها

من سره كرم الحياة فلا يزل * في مقنب من صالح الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيار هم بنو الاخيار

الى آخرها والحاصل ان هذه القصيدة ترجع الى ثلاثة أقسام الغزل ويعبر عنه بالتشبيب ثم مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهو المقصود منها ثم مدح المهاجرين فاستطرد في الغزل الى آخر البيت السابع والثلاثين وتخلص الى مدح النبي صلى الله عليه وسلم من البيت الثامن والثلاثين الى البيت الموفى خمسين وانتقل الى مدح المهاجرين من البيت الحادي والخمسين الى آخرها (واعلم) أن هذه القصيدة من بحر البسيط وأجزاؤه مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن مرتين كما قال القائل ان البسيط لديه يبسط الامل * مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود فأقول وبالله التوفيق لأقوم طريق قول الامام الجليل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير رضي الله تعالى عنه ونفعنا ببركاته آمين

زحاف جائز في حشوه ــذا البحر بي اليوم مت مستفعلن بول فعلن محذوف متيم متفعلن اثرها فاعلن لم يفد مك مستفعلن بول فعلن محذوف مردف فان قلت الحذف في الضرب واقع على ماذكرت فما بال العروض جاءت محذوفة أيضا وانما ذكرت انها مخبونة قلت تصريع البيت أوجب ذلك ومعنى التصريع ان تجعل العروض المخالفــة للضرب كالضرب في الوزن والاعلال مع تحليتها بحرف الروي وقافية هذه القصيدة من المتواتر وهو الذي يقع بين ساكنيه حرف واحد متحرك شاهده

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد * لقد زادني ذكراك وجدا على وجدي

وأول شيء اشتملت عليه هذه القصيدة التشبيب وهو عند المحققين من أهــل الادب جنس يجمع أربعــة أنواع أحدها ذكر ما في المحبوب من الصفات الحسية والمعنوية كحمرة الخد ورشاقة القد وكالجلالة والخفر والثاني ذكر ما في المحب من الصفات أيضا كالنحول والذبول وكالحزن والشــغف والثالث ذكر ما يتعلق بهما من هجر ووصل وشكوى واعتــذار ووفاء واخلاف والرابع ذكر ما يتعلق بغــيرهما بسببهما كالوشاة والرقباء ويسمى النوع الاول تشبيبا أيضا وبيان التشبيب فيها انه ذكر محبوبته وما أصاب قلبه عنــد ظعنها ثم وصف محاسنها وشبهها بالظباء ثم ذكر ثغرها وريقتها وشبهها بخمرة ممزوجة بالماء ثم انه استطرد من هذا الى وصف ذلك الماء ثم من هذا الى وصف الابطح الذي أخذ منــه ذلك الماء ثم انه رجع الى ذكر صفاتها فوصــفها بالصد واخلاف الوعــد والتلون في الود وضرب لها عرقوبا مثلا ثم لام نفســه على التعلق بمواعيدها ثم أشار الى بعــد ما بينه وبينها وانه لا يبلغه اليها الا ناقة من صفتها كيت وكيت وأطال في وصف تلك الناقة على عادة العرب في ذلك ثم انه استطرد من ذلك الى أن ذكر الوشاة وانهم يسعون بجانبي الناقة ويحذرونه القتل وان أصدقاءه رفضوه وقطعوا حبل مودته وانه أظهر لهم الجلد واستسلم للقدر وذكر لهم أن الموت مصير كل ابن أنثى ثم خرج الى المقصود الاعظم وهو مدح سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الاعتذار اليه وطلب العفو منه والتبري مما قيل عنه وذكر شدة خوفه من سطوته وما حصل له من مهابته ثم الى مدح أصحابه المهاجرين رضي الله عنهم أجمعين وهذا حين نبتدئ القول في شرح أبيات القصيدة وبالله حسن التوفيق (قال رضي الله عنه)

*(بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول)*

(قوله بانت) معنى بان فارق وله مصدران البين وســيأتي في البيت الثاني والبينونة ووزنه عنــد البصريين فيعلولة وأصله بيينونة بياءين الاولى زائدة والثانية عــين ثم أدغمت الاولى في الثانيــة فصار بيّنونة ثم خفف بحذف الثانية كما فعل بسيد وميت فصار بينونة على وزن فيلولة والتزم فيه التخفيف لطوله ومذهب الكوفيين انه فعلولة بالضم كعصفورة ثم كسرت فاؤه لتسلم الياء ثم فتحت لثقل كسرة وضمة ليس بينهما حاجز حصين ثم فعلوا ذلك في ديمومة ونحوه حملا لذوات الواو على ذوات الياء لان ذوات الواو في هــذا البناء أقل والتاء حرف تأنيث لا اسم للمؤنث كالياء في قومي بدليل انها تجامع الضمير بخلاف الياء تقول في قامت قامتا اذا أردت الاثنين ولا تقول في قومي قوميا (قوله سعاد) هو علم مرتجل يريد به امرأة يهواها حقيقــة أو ادعاء وكونه حقيقي التأنيث موجب لحاق التاء للفعل بخــلاف نحو طلعت الشمس ففيه الوجهان وزيادته على الثلاثة موجب لمنع صرفه بخلاف نحو هند ففيه الوجهان ومانع من لحاق التاء اذا صغر بخلاف نحو هند وشمس وقدم فتجب

(قوله بانت سعاد الخ) لما كان مبنى ابتداء هذه القصــيدة على الغزل والتشبيب جريا على عادة أكثر الشعراء في ابتداء قصائد المدح بمثل ذلك كما تقدم ذكره في المقدمة وكان من جملة الغزل والتشبيب ذكر صفات المحب كالشغف ونحوه صدر كلامه بذكر الفراق لما يترتب عليه مما يأتي من لوازم المحبة وعوارضها ولا شك ان فراق الاحبة من أشد الآلام وأعظم الاحزان فلذا قال بانت سعاد الخ ومعنى بانت فارقت فراقا بعيدا يقال بان يبين كباع يبيع بينا وبينونة اذا فارق فراقا بعيــدا ٨ فالبين الفراق البعيد ويقال للوصل أيضا فهو من الاضداد ومنه قوله تعالى لقد تقطع بينكم بالرفع أي وصلكم وهو في عرف الشرع اسم للطلاق غــير الرجعي وعــلم مما تقرر ان بان هنا بمعــنى فارق لا بمعنى ظهر كما في قوله

بان أمر الاله واختلف النــ ــناس فداع الى ضلال وهاد

وسعاد فاعل بانت وهو اسم لمحبوبتــه التي بنى مطالــع القصــيدة على التغزل فيها والتشبيب بها كما كان مجنون ليلى يتشبب بليلى وكثير عزة يتشبب بعزة وذو الرمة يتشبب بمي وقيس يتشبب بلبنى الى غــيرهم من المتشببــين في الجاهلية والاسلام فان قيل كيف ساغ له ان يتغزل بامرأة في قصيدة أنشــدها بين يدي النبي صــلى الله عليه وســلم مع ان التغزل ممتنع أجيب بانه جرى في ذلك عــلى عادة العــرب في اشــعارها من ابتدائها بالتغزل والتشبيب مع قرب عهده بالاسلام وقد نص العلماء رضي الله عنهم على انه انما يمتنع التغزل اذا كان بشخص معــين رجلا كان أو امرأة أجنبية بخلاف ما اذا كان بغير معين أو بحليلته فانه لا يمتنع ويدل على جوازه سماع النبي صلى الله عليه وســلم واقراره عليه فيحتمل انه لم يقصد بذلك امرأة معينة لما جرت به عادة غالب الشعراء من انهم يفتتحون قصائدهم بالتغزل فيمن في محبوب غــير معــين بل وان لم يكن حب بالكلية يقصدون بذلك تمليح الكلام وتحسينه لان طباعهم تميل للعشق والتغزل فيه ويحتمل انه قصد امرأة معينة كانت حليلته وبانت عنه فتغزل فيها وقد قال في شرح المواهب قال الزرقاني في البحر هي امرأته طالت غيبته عنها لهروبه من النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ما في هذه القصيدة لذلك وبه جزم البرهان على أن محبتهم كانت غير مفضية الى القبيح ولله در القائل حيث يقول

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وامنع نفسي ان تنال محرما واهذا اهلاك كثير من المتيمين في عشق من أحبوه صبرا عن الوصال وصيانة من النساء وعفة من الرجال وقد قيل لرجل من بني عذرة ما بال الرجل منكم يموت في هوى امرأة فقال لان في نسائنا جمالا وفي رجالنا عفة وقد نص العلماء رضي الله عنهم ان الميت عشقا شهيد لحديث من عشق فصبر فعف فكتم فمات فهو شهيد وان كان الحديث فيه ضعف والى هذا المعنى أشار أبو القاسم القشيري بقوله ان المحب اذا توفي صابرا * كانت منازله مع الشهداء لكن يبعد احتمال كونها زوجته السياق الآتي حيث وصفها باخلاف الوعد و بالتلون الى غير ذلك والفاء في فقلبي للسببية مع العطف بناء على مذهب الجمهور من جواز عطف الاسمية على الفعلية ولمحض السببية بناء على مذهب غير الجمهور من عدم جواز ذلك لا لمجرد العطف فالفاء لها ثلاث حالات الاولى ان تكون للسببية مع العطف كما في نحو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الثانية ان تكون لمحض السببية كما في نحو ان جئتني فأنا أكرمك الثالثة أن تكون لمجرد العطف كما في نحو جاء زيد فعمرو والقلب أربعة معان أحدها اللحم الصنوبري الشكل أي الذي شكله على شكل الصنوبر بحيث يكون غليظ الاعلى دقيق الاسفل كقمع السكر كما هو مشاهد في نحو قلب الخروف ومحله من البدن الجانب الايسر من الصدر قال بعضهم وهذا هو السر في كون الطائف يجعل البيت عن يساره ومن هذا المعنى قوله تعالى وختم على سمعه وقلبه ثانيها العقل ومنه قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ثالثها خالص كل شيء ومنه الحديث لكل شيء قلب وقلب القرآن يس رابعها المعنى المصدري لانه يقال قلبه قلبا والمراد به هنا المعنى الاول لانه هو الذي يكون متبولا أي سقيما ضعيفا ويصح ان يراد المعنى الثاني ويكون المراد من كونه متبولا كون العقل ضعيفا ويكون المعنى حينئذ انه انتهى به الحب الى الوله والهيام بحيث اختل عقله فصار كالمجنون الهائم على وجهه لا يدري أين يتوجه وهذا موافق لما يقوله الأطباء من ان العشق نوع من الماليخوليا حتى قال بعضهم

فيهن النساء والجملة مستأنفة فلا محل لها (قوله فقلبي) اعلم ان للفاء ثلاث حالات احداها أن تأتي لمجرد السببية والربط نحو ان جئتني فأنا أكرمك اذ لو كانت عاطفة كان ما بعدها شرطا واحتيج للجواب ونحو انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر لانه لا يعطف الانشاء على الخبر ولا الخبر على الانشاء هذا قول الاكثرين وهو الصحيح واستدل من أجاز ذلك بقوله

تناغي غزالا عند باب ابن عامر * وكحل مآقيك الحسان باثمد

وقوله

وان شفائي عبرة ان سفحتها * وهل عند رسم دارس من معول

ولا دليل في هذا لان الاستفهام مراد به الانكار فهو مثله في هل جزاء الاحسان الا الاحسان فهو خبر لا انشاء وأما الاول فلا نسلمه الا بعد الوقوف على ما قبله من الابيات والثانية أن تأتي لمحض العطف نحو جاء زيد فعمرو وقوله تعالى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى والثالثة أن تأتي لهما كقوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهذا هو الغالب على الفاء المتوسطة بين الجمل المتعاطفة ومنه الفاء في هذا البيت وعطف الاسمية على الفعلية جائز عند الجمهور مطلقا بدليل قولهم في نحو قام زيد وعمرا أكرمته ان نصب عمرو أرجح من رفعه وتعليلهم ذلك بان تناسب الجملتين المتعاطفتين أولى من تخالفهما وقيل يمتنع مطلقا وان ارتفاع الضرس من قوله

عاضها الله غلاما بعدما * شابت الاصداغ والضرس نقد

على اضمار فعل يفسره نقد وذهب الفارسي الى جوازه اذا كان العاطف الواو خاصة نقله عنه تلميذه أبو الفتح في سر الصناعة وعلى هذين المذهبين فالفاء لمحض السببية لا للعطف وللقلب أربعة معان أحدها الفؤاد ومنه ختم الله على سمعه وقلبه وهو المراد هنا وانما سمي قلبا التقلبه وقيل القلب اخص من الفؤاد ومنه الحديث أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوبا وألين أفئدة الايمان يمان والحكمة يمانية فوصف القلوب بالرقة والافئدة باللين والثاني العقل ومنه ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب والثالث خالص كل شيء ومحضه ومنه الحديث لكل شيء قلب وقلب القرآن يس والرابع مصدر قلبه وجمع القلب قلوب وأقلب عن اللحياني (قوله اليوم) فيه مسئلتان احداهما انه يطلق على أربعة أمور أحدها مقابل الليلة ومنه سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام الثاني مطلق الزمان كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره وآتوا حقه يوم حصاده الى ربك يومئذ المساق المراد ساعة الاحتضار وتقول فلان اليوم يعمل كذا قال الشاعر * اذا جاء يوما وارثي يطلب الغنى * ومنه بيت كعب هذا ويستعمل هذا الاستعمال الساعة ومنه قوله تعالى الذين اتبعوه في ساعة العسرة المراد به زمن غزوة تبوك وكذلك الغداة وسيأتي في البيت بعد هذا والثالث مدة القتال نحو يوم حنين ويوم بعاث وهو يوم للاوس والخزرج وهو بضم الباء الموحدة وبالعين المهملة وبالثاء المثلثة والرابع الدولة ومنه وتلك الايام نداولها بين الناس * المسئلة الثانية انه ظرف لما بعده وهو متبول لا لمتيم لانه لم يجئ حتى استوفاه الاول ولئلا يلزم فصل العامل من معموله بالاجنبي ومن جوز تنازع العاملين المتأخرين وجعل منه بالمؤمنين رؤف رحيم جاز ذلك عنده هنا وباب التنازع يجوز فيه ما لا يجوز في غيره من الفصل واذا قيل بذلك فيترجح اعمال الاول

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * الحب أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه * وإنما يصرع المجنون في الحين
وإنما سمي القلب قلبا لتقلبه في الامور ولتقليب الله له كما في الحديث القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقوله اليوم ظرف لما بعده قدم عليه لافادة الحصر فكونه متبولا إنما حصل زمن فراقها لا قبله والمراد باليوم هنا مطلق الزمان كما في قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده أي زمنه ويطلق على مقابل الليل ومنه قوله تعالى ١٠ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام وعلى مدة القتال نحو قوله تعالى ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم وعلى الدولة ومنه قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وقوله متبول بتقديم الفوقية على الموحدة من تبله الحب يتبله من باب قتل أسقمه وأضناه وأضعفه وفي نسخة مبتول بتقديم الموحدة على المثناة الفوقية من البتل وهو القطع ومنه قوله تعالى وتبتل إليه تبتيلا أي انقطع إليه انقطاعا كاملا ومنه البتول للزهراء لانقطاعها عن الدنيا بأنواعها وعلى كل فهو خبر أول وقوله متيم خبر ثان عند من أجاز تعدد الخبر وأما عند من منعه فهو خبر عن مبتدأ محذوف أو صفة لمتبول عند من جوز وصف الصفة وهو بتشديد الياء المفتوحة من تيمه الحب بمعنى استعبده وأذله إذ المحب في جناب الحبيب كالعبد اللبيب في مقام الاطاعة في كل ساعة ومذلل محقر مأمور منقاد إذ العبودية تستلزم ذلك وقوله اثرها بكسر الهمزة وسكون المثلثة ويقال فيه أثر بفتحتين وهو محل المشي وموضع القدم من الارض وهو ظرف لمتيم أو حال من ضميره فيتعلق بكون محذوف أي حالة كونه كائنا أثرها ولا يحسن تعليقه بمتبول ولا كونه حالا من ضميره للبعد اللفظي والمعنوي وجملة قوله لم يفد خبر جزم ثالث إن قلنا بتعدد الخبر مختلفا بالافراد والجملة فيكون من قبيل الاخبار بالجملة بعد الاخبار بالمفرد ويصح أن تكون صفة لمتيم ومعنى لم يفد لم يقع له فداء من أسره الذي وقع فيه إما لكونه لم يجد من يفديه وإما لكونه لم يختر الفداء بل كان أسر المحبة أحب إليه ويروى لم يشف بدل لم يفد يعني أنه لم يحصل له شفاء من مرضه وسقمه ويكون ذلك من تبطانه وقوله متبول لا بقوله متيم وقوله مكبول خبر رابع وهو بفتح الميم وسكون

عند الجميع لاجتماع صفتي القرب والسبق فيه ولا يجوز فيه أن يتعلق بكون محذوف على أن يكون خبرا لان الزمان إنما يكون خبرا عن الاعراض دون الجواهر وقوله متبول خبر ويقال تبلهم الدهر أي أفناهم والحب أي أسقمهم وأضناهم ومن الاول قول الاعشى

أأن رأت رجلا أعشى أضر به * ريب الزمان ودهر مفسد تبل

أي ودهر مفن للاهل والمال ومن الثاني بيت كعب ويقال من معنى الافناء أتبلهم أيضا وعليه يروى ودهر متبل خبل (وقوله متيم) خبر ثان عند من أجاز تعدد الخبر وأما من منعه فهو عنده خبر عن هو محذوفا أو صفة لمتبول عند من جوز وصف الصفة وحجة المانع أنها كالفعل وهو لا يوصف ولو صح هذا لم يصح التصغير وهو جائز بلا خلاف نعلمه ويقال تيمه الحب وتامه بمعنى استعبده وأذله ومن الثاني تيم اللات سموا بالمصدر وقول الشاعر

تامت فؤادك لو يحزنك ما صنعت * إحدى نساء بني ذهل بن شيبانا

استشهد به ابن الشجري على أن لو قد تجزم حملا على إن ولا دليل فيه لاحتمال أنه سكنه تخفيفا للتوالي الحركات كقراءة أبي عمرو وما يشعركم بإسكان الراء أو للضرورة كقول امرئ القيس

فاليوم أشرب غير مستحقب * إثما من الله ولا واغل

وقوله اثرها فيه مسئلتان * الاولى الاثر بالكسر والسكون أو بفتحتين ونظيره مما جاء على فعل وفعل قيد رمح وقاده وقيب قوس وقابه وقات فيلا وفالا وكج وكاح لعرض الجبل وحاؤه مهملة وقد عقد يعقوب لذلك في كتاب الاصلاح بابا ويقال لفرند السيف أثر بفتح الهمزة وضمها كلاهما مع سكون العين قال

جلاها الصيقلون فاخلصوها * خفاء كلها يتقي بأثر

أي كل يستقبلك بفرنده ويقال اتقاه يتقيه بالتشديد وتقاه يتقيه بالتخفيف كما في البيت وكقوله

زيادتنا نعمان لا تنسينها * تق الله فينا والكتاب الذي تتلو

* المسئلة الثانية أنه إما ظرف لمتيم متعلق به وإما حال من ضميره فيتعلق بكون محذوف ولا يحسن أن يكون متعلقا بمتبول ولا كونه حالا من ضميره للبعد اللفظي والمعنوي وليس بممتنع وعلى تقديره ظرفا له فيكون الوصفان قد تنازعاه كما تنازع ممطول ومعنى الغريم في قوله

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

في قول بعضهم ولا يصح ذلك على تقدير الحالية لانهما حينئذ إنما يطلبان الكون المطلق الذي تعلق به لانه الحال بالحقيقة ولم يثبت التنازع في المحذوف ولانا إذا أعملنا الاول أضمرنا في الثاني والضمير لا يعمل والحال لا يضمر لانها واجبة التنكير وجوز ابن معط وقوع التنازع في الحال في نحو زرني أزرك راغبا قال وإذا أعملت الاول قلت زرني أزرك في هذه الحالة راغبا ويروى عندها بدل أثرها وعند اسم لمكان حاضر أو قريب فالاول نحو فلما رآه مستقرا عنده والثاني نحو ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى وقد يكون الحضور والقرب معنويين نحو قال الذي عنده علم من الكتاب ونحو رب ابن لي عندك بيتا في الجنة وقد تفتح فاؤها وقد تضم ولا تقع عند إلا منصوبة على الظرفية أو مخفوضة بمن وعنها ألغز الحريري بقوله وما اسم منصوب أبدا على الظرف لا يخفضه سوى حرف وقول العامة ذهبت الى عنده لحن وقوله لم هي حرف

الكاف وضم الباء بعدها واو وفي آخره لام بمعنى القيد يقال كبل الاسير بالتخفيف وكبله بالتشديد اذا وضع في رجله الكبل بفتح الكاف وقد تكسر مع سكون الباء فيهما وهو القيد قيل مطلقا وقيل الضخم وقيل أعظم ما يكون من القيود أو بمعنى المسجون يقال كبله بالتخفيف اذا حبسه في سجن أو غيره فهو محتمل لمعنيين وحاصل معنى البيت انه فارقته محبوبته فبسبب فراقها صار قلبه في غاية الضنى والسقم والذل والاسر والقيد أو السجن لا يجد له هربا من الاسر ولا فكاكا كأسير القيد أو السجن (قوله وما سعاد الخ) لما ذكر ١١ حال نفسه وما أعقبه الفراق من الضنى

جزم لنفي المضارع وقلب زمنه ماضيا وقيل حرف جزم لنفي الماضي وقلب لفظه مضارعا وقوله يفد مضارع فدى الاسير اذا أعطى فداءه واستنقذه وكذلك بمعنى فاداه وقال قوم انما يقال فاداه بالالف اذا كان الفداء أسيرا أيضا والا فلا فان ضعفت عين فداه صار معناه قال له جعلت فداءك وجملة لم يفد اما خبرا ثان قلنا بجواز تعدد الخبر مختلفا بالافراد والجملة وهو ظاهر اطلاق كثير منهم وصرح بعضهم بتجويزه في قوله تعالى فاذا هم فريقان يختصمون فاذا هي حية تسعى ولكن أبا علي صرح بالمنع واما صفة لمتيم كما يقول أبو علي في الجملة من هاتين الآيتين واما حال اما من ضمير متيم وهو الظاهر أو من ضمير متبول وعلى هذا النحو زيمتنع ان تكون المسئلة من التنازع لتعذر الاضمار من وجهين كون الحال واجبة التنكير وكون الجملة لا تضمر ويروى لم يجز ولم يشف وقوله مكبول يقال كبله كضربه وكبله مشددا ومعناهما وضع في رجله الكبل بفتح الكاف وقد تكسر وهو القيد فقيل مطلقا وقيل الضخم وقيل أعظم ما يكون من الاقياد فهو مكبول ومكبل ويقال في المكبل مكاب على القلب قال طفيل

أبأنا بقتلانا من القوم ضعفهم * وما لا يعد من أسير مكلب

ومعنى أبأنا اقتدنا ويقال أيضا كبله بالتخفيف بمعنى حبسه في سجن أو غيره وفي الحديث اذا وقعت السهمان فلا مكابلة أي فلا يحبس أحد عن حقه وقال

اذا كنت في دار يهينك أهلها * ولم تك مكبولا بها فتحول

أنشده ابن سيده على ذلك والصواب انه محتمل للمعنيين وفي هذا البيت احتراس بخلاف قوله * واذا نبا بك منزل فتحول * (قال كعب رضي الله عنه)

*(وما سعاد غداة البين اذ رحلوا * الا أغن غضيض الطرف مكحول)*

(قوله وما سعاد) الواو عاطفة على الفعلية لا على الاسمية وان كانت أقرب وأنسب لكون المعطوفة اسمية لان هذه الجملة لا تشارك تلك في التسبب عن البينونة وسعاد مبتدأ لا اسم لما لانتقاض النفي بالا والاصل وما هي فاناب الظاهر عن المضمر والذي سهله انهما في جملتين مستقلتين وانهما في بيتين وان بينهما جملة فاصلة وان اسم المحبوب يلتذ باعادته ودونه قول الحطيئة

ألا حبذا هند وأرض بها هند * وهند أتى من دونها النأي والبعد

لانهما في جملة واحدة وبيت الكتاب وهو للجعدي

اذا الوحش ضم الوحش في ظللاتها * سواقط من حر وقد كان أظهرا

لان الجملتين كالجملة الواحدة لان الرافع للوحش الاول فعل محذوف كما يقول جمهور البصريين فالفعل المذكور ساد مسد الفعل المحذوف حتى كأنه هو ولهذا لا يجتمعان وان قدر رفع الوحش بالابتداء كما يقول أبو الحسن فالجملة واحدة فهو كبيت الحطيئة بل دونه لانه ليس اسما يلتذ به وأسهل من هذا البيت قوله

اذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت * حبال الهوى ينابا فتى أن تقطعا

لاختلاف لفظي الظاهرين فاشبها الظاهر والمضمر في اختلاف اللفظ وانما يحسن اعادة الظاهر في الجملة الواحدة في مقام التعظيم نحو فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة أو التهويل نحو الحاقة ما الحاقة بخلاف قوله

شرع في ذكر وصف محبوبته التي هواها وما اشتملت عليه من المحاسن فشبهها بظبي موصوف باحسن الصفات من الغنة في الصوت وغض الطرف والكحل ولذا قال وما سعاد الخ فالبيت الاول يشير الى كمال احتياج المحب الى المحبوب والثاني يومئ الى كمال استغناء المحبوب في مقام المطلوب والواو عاطفة للجملة الاسمية على الجملة الفعلية السابقة وهي بانت سعاد لا على الجملة الاسمية التي بعدها وهي فقلبي الخ لان هذه لا تناسب تلك في التسبب عن البينونة وما نافية ملغاة لا عمل لها حتى عند الحجازيين لانتقاض النفي بالا فقد انتفى شرط عملها عندهم وهو بقاء النفي فسعاد مبتدأ وليس اسما لما لانتقاض النفي بالا كما علمت وسعاد هي محبوبته التي تقدم ذكرها في البيت الاول فالمقام للاضمار بان يقول وما هي لكنه أقام الظاهر مقام المضمر استلذاذا بذكرها ولله در القائل حيث يقول

يامن اذا ذكر اسمه في مجلس لذ الحديث به وطاب المجلس

ويعزى لسيدي علي وفا رضي الله عنه ان شئت تذكر لي الحبيب فهات * من أجل ذلك حببت الحانات لا تحسبن اني نسيت وانما*
ذكر الحبيب يضاعف اللذات وغداة ظرف زمان وهي اسم لمقابل العشي قال تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي وقد يراد بها مطلق الزمان كما تقدم نظيره في اليوم وكلامه في البيت يحتملهما والعامل فيها ما يفيده التشبيه في قوله الا أغن فان المعنى على التشبيه كما سيأتي والتقدير الا كظبي أغن فالمعنى هي شبيهة بظبي الاغن في غداة البين كذا قال بعضهم لكن قال ابن هشام فان قلت الحرف العامل للتشبيه يقدر بعد الا وما بعد الا

لا يعمل فيما قبلها اذا كان فعلا مذكورا بالاجماع فما ظنك اذا كان حرفا محذوفا قلت المخلص من ذلك أن يقدر حرف التشبيه قبل الاول وقبل الظرف أيضا والتقدير وما كسعاد في هذا الوقت الا ظبي أغن ثم قال فان قلت هذا عكس المعنى المراد قلت بل هو محصل للمعنى المراد على وجه أبلغ وذلك أنهم اذا بالغوا في التشبيه عكسوه فجعلوا المشبه أصلا والمشبه به فرعا وفي ذلك من المبالغة ما لا خفاء به والبين مضاف اليه وهو مصدر بان بمعنى فارق كما تقدم وأل فيه للعهد واذ ظرف لما مضى من الزمان وهو محتمل لثلاثة أوجه الاول وهو الظاهر أن يكون بدلا من غداة البين كما في قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر والثاني أن يكون ظرفا ثانيا لا بدلا من الظرف الاول والثالث أن يكون ظرفا للبين وجملة قوله رحلوا في موضع خفض باضافة اذ اليها وانما أتى بضمير الجمع اما القصد تعظيمها او ما للاشارة الى أنها رحلت مع قومها وفي نسخة رحلت وهي ظاهرة وانما خص غداة البين ووقت الرحيل بالذكر مبالغة في حسنها فان الشخص يكون في ارث حالة بعد مفارقة الحبيب وتوديع الصديق مع ما ينضم الى ذلك من التأثر بفراق الوطن عند الرحيل وأيضا فيه اشارة الى انها مخدرة لا ترى الا عند الرحيل لاضطرارها الى البروز من الخباء فعند ذلك وقع بصره عليها والا حرف ايجاب للنفي فهي أداة حصر لا عمل لها وأغن صفة لمحذوف أي الا ظبي أغن وهو خبر سعاد والمعنى على التشبيه أي الا كظبي أغن وليس صفة لسعاد والا لقال غناء والاغن الذي في صوته غنة وهي صوت لذيذ يخرج من أقصى الانف وشبه به صوت الرياح في الاشجار الملتفة ولذلك قيل روضة غناء وقد جاء في وصف سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه انه كان في صوته غنة حسنة

وأمر الصوت عجيب فكما يقع العشق بواسطة النظر كذلك يقع بواسطة الصوت فقد قيل أسباب المحبة ثلاثة أشياء رؤية صورة أو سماع نغمة أو سماع وصف وهو أنواع فمنه ما يسر ويهيج حتى يرقص ويقلق ومنه ما يبكي ومنه ما يورث الغشي ويزيل العقل ومنه ما تنوم به الصبيان وتستخرج به الحية من جحرها وتسقى الدواب بالصفير وتصغي بآذانها اذا غني لها المكاري وتزيد الابل في مشيها اذا حدا لها الحادي وغضيض

ليت الغراب غداة ينعب دائبا * كان الغراب مقطع الاوداج

الا ان الذي يسول هذا قليلا تباعدها بين الظاهرين وقوله غداة البين فيه مسائل * الاولى هي اسم لمقابل العشي قال الله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي وقد يراد بها مطلق الزمان كما تقدم في الساعة واليوم قال

غداة طفت علماء بكر بن وائل * عشية لاقينا جذام وحميرا

ألا ترى انه قد أبدل منها العشية وهي في بيت كعب محتملة لذلك * المسئلة الثانية وزنها فعلة بالتحريك ولامها واو لقولهم في جمعها غدوات ونظيرها صلاة وصلوات وزكاة وزكوات ولانهم من غدوت ولقولهم غدوة وأما قولهم فلان يأتينا بالغدايا والعشايا فقال الجرجاني في شرح التكملة وابن سيده في شرح أبيات الجمل انما جاءت الياء فيها لتناسب عشايا والصواب ان الذي فعل الازدواج انما هو جمع غداة على غدايا فانه لا يستحق هذا الجمع بخلاف عشية فانها كقضية ووصية وأما الياء فانما تستحقها بعد ان جمعت هذا الجمع وهي مبدلة من همزة فعائل لا من لام غداة التي هي الواو وبيان ذلك ان العشايا أصلها عشائو بواو متطرفة هي لامها وتلك الواو بعد الهمزة المقلبة عن الياء الزائدة في عشية كما في صحيفة وصحائف ثم قلبوا الكسرة فتحة للتخفيف كما عملوا في صحاري وعذاري قال امرؤ القيس * ويوم عقرت للعذاري مطيتي * الا انهم التزموا هذا التخفيف في الجمع الذي اعتلت لامه وقبلها همزة لانه أثقل ثم انقلبت اللام ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم أبدلت الهمزة ياء تخفيفا لاجتماع الاشباه اذ الهمزة تشبه الالف وقد وقعت بين ألفين ثم لما جمعوا غداة على فعائل للمناسبة وكان كل شيء جمع على فعائل ولامه همزة أو ياء أو واو لم تسلم في الواحد مستحقا لان يبدل من همزته ياء كخطايا ووصايا ومطايا فعلوا ذلك في غدايا لان واو غداة لم تسلم (فان قلت) قدر الغدايا جمعا لغدوة وقد صح لامها لان الواو قد سلمت في الواحد فكان القياس غداوي كما يقال هراوة وهراوي (قلت) يأبى هذا أمران أحدهما انهما انما قالا انه جمع غداة فكيف أحمل كلامهما على ما صرحا بخلافه والثاني انه اذا دار الامر بين اسناد الحكم الى المناسبة واسناده الى أمر مقتض في الكلمة نفسها تعين القول بالثاني وزعم ابن الاعرابي ان الغدايا لم تقل للمناسبة البتة وانما هي جمع لغدية لا لغداة واستدل على ثبوت غدية بقوله

ألا ليت حظي من زيارة أميه * غديات قيظ أو عشيات أشتيه

ولا دليل في هذا لجواز أن يكون انما جاز غديات لمناسبة عشيات لا لانه يقال غدية * المسئلة الثالثة حكمها في التعريف انها تعرف تارة بأل كما في قوله تعالى بالغداة والعشي وقول الحماسي

أشاب الصغير وأفنى الكبير * كر الغداة ومر العشي

وتارة بالاضافة كما في بيت كعب وهي في ذلك مخالفة لغدوة فان العرب تعريفها بالعلمية تقول جئتك يوم الجمعة غدوة وسمع الفراء أبا الجراح يقول في غداة يوم بارد ما رأيت كغدوة يريد غداة يومه وربما عرفت بال كقراءة ابن عامر بالغدوة والعشي * المسئلة الرابعة عاملها التشبيه اذ المعنى انها تشبه غداة بانت ظبيا من صفته كيت وكيت فان قلت الحرف الحامل لمعنى التشبيه مقدر بعد الا وما بعد الا لا يعمل فيما قبلها اذا كان فعلا مذكورا بالاجماع فما ظنك به اذا كان حرفا محذوفا قلت المخلص من ذلك أن يقدر حرف التشبيه قبلها وقبل الظرف أيضا داخلا على سعاد أي وما كسعاد في هذا الوقت الا ظبي أغن فان قلت هذا عكس المعنى المراد قلت بل هو

محصل

محصل للمراد على وجه أبلغ وذلك انهم اذا بالغوا في التشبيه عكسوه فجعلوا المشبه أصلا في ذلك المعنى والمشبه به فرعا عليه وفي ذلك من المبالغة ما لا خفاء به وعلى ذلك قول ذي الرمة * ورمل كأوراك العذارى قطعته * وقول رؤبة ومهمه مغبرة أرجاؤه * كأن لون أرضه سماؤه

الاصل كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه فعكس التشبيه وحذف المضاف وقول أبي تمام يصف قلم ممدوحه

لعاب الافاعي القاتلات لعابه * وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

وقلب الكلام جائز في التشبيه وغيره وانما يكون مقبولا عند المحققين اذا تضمن اعتبارا لطيفا كما في باب التشبيه ألا ترى انه أفاد المبالغة بجعل الفرع الذي يراد اثبات الحكم له أصلا وجعل غيره محمولا عليه وحينئذ فيبقى في البيت مبالغة من ثلاث جهات احداها ما في الكلام من حرفي النفي والايجاب المفيدين للحصر والثانية ما فيه من عكس التشبيه والثالثة حذف أداة التشبيه كما حذفت في قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات فان قلت عكس التشبيه خلاف الاصل فلا يدعى الا بدليل قلت دليله تعذر ما جعله في الطرف الاعلى هذا الوجه فان قلت أتسمى هذا الواقع في البيت تشبيها أم استعارة قلت الذي عليه الحذاق كالجرجاني والزمخشري والسكاكي تسميته تشبيها بليغا لا استعارة والحاصل ان الاقسام ثلاثة تشبيه متفق عليه واستعارة متفق عليها ومختلف فيه فالمتفق على انه تشبيه ان يذكر أطراف التشبيه من المشبه والمشبه به والاداة كقولك زيد كالاسد والمتفق على انه استعارة أن يقتصر على ذكر المشبه به ولا يكون المشبه مقدرا كقولك رأيت أسدا في الحمام والمختلف فيه ان يترك الاداة ويكون المشبه به خبرا اما الملذكور مبتدأ كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات وكبيت كعب هذا أو لمقدر كقوله تعالى صم بكم وقول الشاعر نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا كوكب تأوي اليه كواكب

التقدير هم كصم وهم كنجوم اذ لا بد للخبر من مبتدأ والفرق بين هذا القسم والذي قبله انك في هذا القسم وضعت كلامك في الظاهر لاثبات معنى الثاني للاول واذا امتنع اثباته له حقيقة كان لاثبات المشابهة فكان حليقا بان يسمى تشبيها بخلاف الذي قبله فانك لم تضع كلامك على التشبيه بل على استعارة اسم الاسد لمن رأيته (قوله البين) هو مصدر بان كما قدمناه وأل فيه لتعريف الحقيقة أو للعهد في البين المستفاد من الفعل السابق أي وما هي غداة هذا البين ويأتي البين بمعنى الوصل كقوله

لقد فرق الواشون بيني وبينها * فقرت بذاك الوصل عيني وعينها

ومنه قوله تعالى لقد تقطع بينكم في قراءة من رفعه قيل وكذلك هو في قراءة من فتح ولكن بني لابهامه واضافته الى مبني وقوله اذ يحتمل ثلاثة أوجه أحدها وهو الظاهر ان يكون بدلا من غداة كما أبدلت من يوم الحسرة في قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر الا انها في البيت بدل من المفعول فيه وفي الآية الكريمة بدل من المفعول به والثاني ان تكون ظرفا ثانيا للتشبيه لا بدلا من الظرف الاول فان قلت انما يجوز تعدد الظرف اذا كان من نوعين كصليت يوم الجمعة امام المنبر فاما اذا كان الظرفان من نوع واحد فلا يعمل فيهما عامل واحد الا على أن يكون الثاني تابعا للاول أو يكون العامل اسم تفضيل وذلك لانه في قوة عاملين كقولك زيد يوم الجمعة خير منه يوم الخميس لان المعنى انه زيد خيره في هذا اليوم على خيره في ذلك اليوم قلت ذكر ابن عصفور ان مذهب سيبويه انه يجوز أيضا لتعدد مع الاتفاق اذا كان الزمان الاول أعم من الثاني نحو لقيته يوم الجمعة غدوة وانه يجيز نصب الظرفين بلقيت لا على ان الثاني بدل بعض من كل وذلك لانه أجاز سير عليه يوم الجمعة غدوة برفع اليوم ونصب غدوة ولو كان بدلا منه لتبعه في اعرابه واستدل بقوله والبيت للفرزدق

متى تردن يوما سفار تجد بها * اديهم يرمي المستجير المعورا

فعدى ترد الى متى والى يوما لما كانت متى مشتملة على معنى اليوم لعمومها ولا يكون يوما نصبا بتجد لان سفار نصبت بترد فيلزم الفصل بين العامل ومعموله بالاجنبي والوجه الثالث من أوجه اذ أن تكون ظرفا للبين أي

الطرف صفة ثانية للمحذوف الذي تقدم تقديره وغضيض بمعنى مغضوض كقتيل بمعنى مقتول والطرف بسكون الراء معناه البصر والمراد به هنا العين وغض الطرف في الاصل ترك التحديق واستيفاء النظر لقصد الكف عن التأمل حياء من الله أو من الناس ومنه قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم أي يكفوا عما لا يحل لهم النظر اليه وهو في البيت يحتمل أمرين أحدهما كسر الجفون وفتورها والثاني الحياء والخفر وكلاهما مما يتمدح به أما الاول فلانه من صفات الحسن والجمال اذ النفوس تميل الى ذلك في الغالب وترغب اليه ولم تزل الشعراء في القديم والحديث تتغزل في ذلك وأما الثاني فلانه مدح عقلا وشرعا ومكحول صفة ثالثة لذلك المحذوف والمراد مكحول الطرف ففيه الحذف من الثاني لدلالة الاول لان المكحول في الحقيقة هو الطرف والمتبادر انه من الكحل بفتحتين وهو سواد يعلو العين من غير اكتحال وذلك من صفات الجمال لانه مما يستحسن وتميل اليه النفوس وقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم في عينه كحل ويحتمل انه من الكحل

وماهى غداة بانت وقت رحيلهم وقوله رحلوا فى موضع خفض باضافة اذ لا نعلم فى ذلك خلافا والخلاف معروف فى الجملة بعد اذا كما سيأتى فى البيت بعده والفرق بينهما ان تلك مرتبطة بما بعدها ارتباط أداة الشرط بجملة الشرط فلم يلزم من عدم ادعاء الاضافة عدم الربط وأما اذ فلولا دعوى الاضافة لم يكن ربط وانما جمع ضمير الفاعل مع انه انما قدم ذكر سعاد لانها رحلت مع قومها ولارادة تعظيمها كقوله

* فان شئت حرمت النساء سواكم * وما أحسن قول من قال

تحملت من نعمان عود أراكة * لهند ولكن من يبلغه هندا

خليلى عوجا بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لارضكما قصدا

وقولا لها ليس الضلال أجارنا * ولكننا جرنا لنلقاكم عمدا

أجارنا بالراء المهملة أى أمالنا عن الطريق ومنه الجور ضد العدل لانه ميل عنه وكذلك قوله جرنا وكثير يصحفها بالزاى من الجواز وقوله الا أغن الايجاب للنفى وفى قوله أغن مسائل * الاولى الاغن الذى فى صوته غنة والغنة صوت لذيذ يخرج من الانف ويشبه به صوت الرياح فى الاشجار الملتفة فيقال واد أغن وصوت الذباب فى الغياض وهو معنى قولهم روضة غناء وجمع الاغن والغناء غن كما يقال أحمر وحمراء وحمر فان قلت فكيف قال الجوهرى طير أغن مع ان الطير للجماعة قلت الطير عند سيبويه اسم جمع لا جمع فيجوز ان يخبر عنه كما يخبر عن الواحد ألا ترى انهم يقولون ركب سائر * المسئلة الثانية فى موقعه من الاعراب وهو صفة لمحذوف أى الا ظبى أغن والذى دل على الحذف ان الصفة لابد لها من موصوف ولو كان الموصوف فى المعنى هو سعاد كما تقول ما زيد الا قائم لكان يقول الا غناء بالتأنيث كما تقول ما هذه الروضة الا غناء والذى يدل على تعيين المحذوف ان أكثر ما يوصف بالغنة الظباء وهو وصف لازم لكل ظبى فصارت لغلبة الاستعمال فيهن كانها مختصة بهن وحيث أطلق الاغن فى مقام التشبيه لا يتبادر الذهن الى غير الظبى فان قلت فما تقول فى قول جماعة من النحويين لا يحذف الموصوف الا ان كانت الصفة خاصة بجنسه نحو رأيت كاتبا وركبت صاهلا ويمتنع رأيت طويلا وابصرت أبيض قلت التحقيق ان الشرط انما هو وجود الدليل ومن جملة الادلة اختصاص الصفة بالموصوف وأما انه شرط متعين فلا ألا ترى الى قوله تعالى وألنا له الحديد ان اعمل سابغات أى دروعا سابغات فحذف الموصوف مع ان الصفة لا تختص به ولكن تقدم ذكر الحديد أشعر به * المسئلة الثالثة اختلفوا فى الخبر المقرون بالا بعد ما على أربعة أقوال أحدها وجوب الرفع مطلقا وهو قول الجمهور نحو وما محمد الا رسول ووجهه انها عملت لشبهها بليس فى النفى وقد انتقض بالا فزال الامر الذى عملت لاجله والثانى جواز النصب مطلقا وهو قول ابن يونس ووجهها الحمل على ليس والثالث جواز النصب بشرط كون الخبر وصفا وهو قول الفراء فيجيز ما زيد الا قائما ويمنع ما زيد الا أخاك الرابع جواز النصب بشرط كون الخبر مشبها به وهو قول بقية الكوفيين فيجيزون ما زيد الا زهيرا ويمنعون ما زيد الا قائما وعلى هذا فالنصب فى قوله الا أغن جائز على الاقوال الثلاثة الاخيرة وقوله غضيض الطرف فيه مسائل *(الاولى)* غض الطرف فى الاصل عبارة عن ترك التحديق واستيفاء النظر فتارة يكون ذلك لان فى الطرف كسرا وفتورا خلقيين وهو المراد هنا وتارة يكون لقصد الكف عن التأمل حياء من الله تعالى أو من الناس ومنه قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم أى يكفوها عما لا يحل لهم النظر اليه وقول الشاعر يهجو من يفعل ذلك رياء

يغض الطرف من مكر ودهى * كأن به وليس به خشوعا

وما أحسن موقع هذه الجملة المعترضة بين خبر كأن واسمها وقد يراد به ترك التأمل الذى هو أعم من النظر الحسى والمعنوى كقول الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه

أحب من الاخوان كل مواتى * وكل غضيض الطرف عن عثراتى

وقد يكنى به عن خفض الطرف ذلا كقول جرير

بضم فسكون لان الاكتحال به يكسو العين سوادا لكن يظهر انه يريد انضمام ذلك الى الكحل الخلقى لامنفردا عنه والا لكان نقصا فى الحسن وحاصل معنى البيت ان سعاد فى وقت الفراق الذى هو وقت الرحيل شبيهة بالظبى الموصوف بثلاث صفات مستحسنة الاولى الغنة فى الصوت وهو مما يستلذ بسماعها والثانية غض الطرف وهو من صفات الجمال والثالثة الكحل وهو من صفات الجمال أيضا وانما خص التشبيه بالظبى جريا على عادة العرب فى التشبيه بالظباء لمخالطتهم لها بواسطة سكناها الفلوات وبطون الاودية اذ كل أحد انما يشبه بما يألفه ويستقر فى خزانة خياله واعلم ان تشبيه الآدمى بالظباء انما هو من حيث استحسانها من جنس الوحش لا من حيث انها أحسن من الآدمى فى نفس الامر والا فالآدمى أحسن قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وقال عز وجل وصوركم فأحسن صوركم ولهذا قال الفقهاء رضى الله عنهم لو قال لزوجته ان لم تكونى أحسن من القمر فأنت طالق لم تطلق وان كانت زنجية

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وعن احتمال المكروه كقوله

وما كان غض الطرف منا سجية * ولكننا في مذحج غربان

مذحج بفتح الميم واعجام الذال وكسر الحاء قبيلة وغربان بضمتين تثنية غرب على وزن جنب بمعنى غريب

(المسئلة الثانية) هو فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح وذبيح وكحيل ودهين وهو كثير ومن غريب ما جاء منه قدير بمعنى مقدور أي مطبوخ في القدر قال امرؤ القيس

فظل طهاة اللحم ما بين منضج * صفيف شواء أو قدير معجل

يقال قدرت اللحم وأقدرته مثل طبخته وأطبخته *(المسئلة الثالثة)* الطرف العين وهو منقول من المصدر ولهذا لا يجمع قال الله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وقال جرير

ان العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

فان كسرت الطاء فهو الكريم من الفتيان والخيل وخصه أبو زيد بذكرها وجمعه طروف فان زدت على الطرف الالف والهمزة فقلت طرفاء فهو شجر واحده طرفة وبه سمي طرفة بن العبد الشاعر وقال سيبويه الطرفاء واحد وجمع *(المسئلة الرابعة)* خفض الطرف ناشئ عن نصبه ونصبه ناشئ عن رفعه والاصل غضيض طرفه بالرفع على النيابة عن الفاعل ثم قد تحويل الاسناد الى ضمير الموصوف للمبالغة في اتصافه بمعناها فانتصب الطرف على التشبيه بالمفعول به كما في زيد حسن الوجه ثم أضيفت الصفة للتخفيف وانما لم يقدر الخفض ناشئا عن الرفع لئلا يلزم اضافة الشئ الى نفسه ولانهم يقولون مررت بامرأة حسنة الوجه ولو كان الوجه مرفوع المحل لم يجز تأنيث الصفة كما لا يجوز ذلك مع رفع الوجه وقوله مكحول هو اسم مفعول أتى على صيغته الاصلية بخلاف غضيض وضميره المستتر كضميره في الارتفاع على النيابة عن الفاعل وفي عوده الى الظبي الاغن وليس ضميرا عائدا على الطرف وان كان هو المكحول في الحقيقة لانه اما خبر عن ضمير محذوف راجع للاغن أو صفة لاغن وعليهما فلا بد من تحمله ضميره والمكحول والكحيل اما من الكحل بفتحتين وهو الذي يعلو جفون عينيه سواد من غير اكتحال واما من الكحل بالضم وأما الاكحل فمن الكحل بفتحتين لا غير

(تنبيه) قيل ان فعيلا ومفعولا يفترقان من وجهين أحدهما معنوي وهو ان فعيلا أبلغ نص على ذلك بدر الدين بن مالك فانه يقال لمن جرح في أنملته مجروح ولا يقال له جريح فعلى هذا كحيل أبلغ من مكحول والحق ان فعيلا انما يقتضي المبالغة والتكرار اذا كان للفاعل لا للمفعول يدل على ذلك قولهم قتيل والقتل لا يتفاوت والثاني لفظي وهو ان فعيلا المحول عن مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث فيقال طرف كحيل وعين كحيل ولا يقال الا عين مكحولة بالتأنيث وأما قول طفيل

اذ هي احوى من الربعي حاجبه * والعين بالاثمد الحاري مكحول

فقيل انه لاجل الضرورة حمل العين على الطرف وقيل الاصل حاجبه مكحول والعين كذلك ثم اعترض بالجملة الثانية وحذف الخبر ويروى بعد هذا البيت

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة * لا يشتكى قصر منها ولا طول

قال

*(تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت * كأنه منهل بالراح معلول)*

(قوله تجلو) أي تكشف ومنه جلوت الخبر أي أوضحته وكشفته وجلا الخبر نفسه أي اتضح وانكشف يتعدى ولا يتعدى ومصدرهما الجلاء بالفتح والمد ولهذا سمي الاقرار بالشئ جلاء لانه يكشف الحق ويوضحه قال زهير

فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو شهود أو جلاء

(قوله هيفاء مقبلة الخ) هذا البيت غير ثابت في كثير من النسخ ولذلك لم يشرح عليه غالب الشراح وقد شرحه بعضهم ونحن نتكلم عليه تبعا له فنقول هيفاء خبر مبتدا محذوف أي هي هيفاء أي ضامرة البطن دقيقة الخصر قال في القاموس

الهيف بالتحريك ضمور البطن ودقة الخاصرة يقال هيف كفرح وهاف كخاف هيفا وهيفاء وامرأة وفرس هيفاء ومقبلة حال من هيفاء والمعنى انه يتصورها الناظر بهذا الوصف حالة كونها مقبلة وعجزاء خبر لمبتدا محذوف مثل ما تقدم في هيفاء ومعناه كبيرة العجيزة ومدبرة حال من عجزاء والمعنى انه يتصورها الناظر بهذه الصفة حالة كونها مدبرة عنه وقيد كونها هيفاء بحالة الاقبال وكونها عجزاء بحالة الادبار مع ان كلا من الصفتين ثابت لها في جميع الاحوال لان الناظر يرى ضمور البطن ودقة الخصر في حالة الاقبال أكثر ويرى عظم العجيزة في حالة الادبار أكثر وقوله لا يشتكى قصر منها ولا طول ببناء يشتكى للمجهول أي لا يشتكي الرائي عند رؤيتها قصرا فيها ولا يشتكي طولا فيها فلا تعاب بقصر ولا تذم بطول بل ربعة متوسطة القد وحاصل معنى البيت أن سعاد كلما انتقلت من وضع الى وضع ومن حال الى حال يحكم الناظر اليها في كل وضع بحسن طبع وفي كل حال بزين جمال فاذا أقبلت يحكم بانها هيفاء واذا أدبرت يحكم بانها عجزاء وهي متوسطة بين الطول والقصر فلا يشتكي الرائي قصرا فيها ولا طولا (قوله تجلو عوارض الخ) أي تجلو سعاد عوارض ثغر ذي ظلم وقت ابتسامها فتجلو فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على سعاد محبوبته والجملة مستأنفة أو خبرا آخر عن سعاد عند من أجاز تعدد الخبر مختلفا بالافراد والجملة وذي ظلم صفة لمحذوف أي عوارض ثغر ذي ظلم واذا

بمعنى وقت وهو خال عن معنى الشرطية فلا يحتاج لجواب وتجلو بمعنى تكشف يقال جلوت الخبر أي كشفته ويقال أيضا جلا الخبر نفسه
فيستعمل متعديا ولازما والعوارض جمع ١٦ عارض أو عارضة وانما يكون جمع فاعل على فواعل شاذا اذا كان صفة للعاقل كفارس وما هنا

وعن عمر رضي الله عنه انه لما سمع هذا البيت قال لو أدركته لوليته القضاء لمعرفته بما تثبت به الحقوق ومثل هذا البيت في استيفاء الاقسام قول نصيب

فقال فريق القوم لا وفريقهم * نعم وفريق قال ويحك ما ندري

فاستوفى ما يذكر في جواب الاسئلة وروى الاخفش هذا البيت

فقال فريق القوم لما نشدتهم * نعم وفريق لايمن الله ما ندري

واستدل به على ان همزة ايمن الله همزة وصل لاسقاطها في الدرج ويقال جلوت بصري بالكحل وسيفي بالصقل وهي بكذا جلاء بكسر الجيم والمد وجملة تجلو مستأنفة أو خبر آخر عن سعاد عند من أجاز تعدد الخبر مختلفا بالافراد والجملة (قوله عوارض) فيه مسئلتان *(احداهما)* اختلف في مفرده على قولين احدهما انه عارضة قاله عبد اللطيف بن يوسف البغدادي في شرح غريب الحديث والثاني انه عارض ثم اختلف هؤلاء فقيل هو جمع شاذ ذكر ذلك أبو جعفر النحاس قال في شرح قول عنترة

وكأن فارة تاجر بقسيمة * سبقت عوارضها اليك من الفم

لا يكاد فواعل يجيء جمع الفاعل وربما جاء جمعا له كما يجيء جمع الفاعلة لان الهاء زائدة قالوا هالك في هوالك وعارض وعوارض انتهى بمعناه والصواب انه جمع لعارض وانه قياس اما الاول فلقول جرير

أتذكر يوم تصقل عارضيها * بفرع بشامة سقي البشام

وأما الثاني فلانه اسم وانما يكون جمع فاعل على فواعل شاذا اذا كان صفة للعاقل كهالك وفارس ورجل سابق وناكس فاما ان كان فاعل اسما كحاجب وكاهل وعارض وحائط ودانق أو صفة لمؤنث كحائض وطالق وطامث أو لغير العاقل كنجم طالع وجبل شاهق فجمعه على فواعل قياسي *(المسئلة الثانية)* اختلف في معناها على ثمانية أقوال أحدها انها الاسنان كلها ذكره عبد اللطيف في شرح الغريب واقتصر عليه الثاني انها الضواحك وهي ما بعد الانياب قاله ثابت في خلق الانسان وقاله التبريزي وأبو البركات بن الانباري في شرحيهما لهذه القصيدة وزاد أبو البركات انها قد تطلق على الاسنان كلها الثالث انها من الثنايا الى أقصى الاسنان قاله جماعة الرابع انها ما بعد الثنايا الى أقصى الاسنان قاله أبو نصر الخامس انها ما بعد الانياب الى أقصى الاسنان وممن قاله عبد اللطيف في شرح هذه القصيدة ولم يذكر غيره السادس انها الضواحك والانياب قاله يعقوب والسابع انها الرباعيات والانياب قاله أبو عمرو والشيباني والثامن انها الضواحك والرباعيات والانياب حكاه اسحق الموصلي عن بعض الاعراب ورد من زعم ان الثنايا منها على من نفى ذلك بقول أبي مقبل

هزئت مية أن ضاحكتها * فرأت عارضا عودا قد ثرم

اذا ثرم لا يكون الا في الثنايا (وقوله ذي) نعت لمحذوف أي ثغر ذي (وقوله ظلم) هو بفتح الظاء المعجمة ومعناه ماء الاسنان وبريقها وقيل رقتها وشدة بياضها وجمعه ظلوم كفلس وفلوس ويكون الظلم مصدر ظلم يظلم وقد روي قول الحماسي

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا

بفتح الظاء المعجمة وضمها قال التبريزي في شرح الحماسة والفتح أحسن لان المفتوح مصدر والمضموم اسم اه وكلام المرزوقي يقتضي ان الاحسن أن يفتح الاول ويضم الثاني وانه روي كذلك (وقوله اذ) ظرف منصوب المحل وفي ناصبه وجهان أحدهما ما أوليه وهو تجلو وذلك اذا قدرته خاليا من معنى الشرط مثله في قوله تعالى والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون وقوله اذا ما غضبوا هم يغفرون ألا ترى انه لو كان مضمنا معنى الشرط هنا لكان ما بعده جوابا له وكان يجب دخول الفاء فلما لم تدخل الفاء دل على انتفاء معنى الشرط ولكنه

ليس كذلك واختلف في معنى العوارض فقيل هي الاسنان كلها وقيل هي الضواحك خاصة وقيل الضواحك والانياب وقيل غير ذلك وذي بمعنى صاحب وظلم بفتح الظاء المعجمة وسكون اللام وجمعه ظلوم كفلس وفلوس ومعناه ماء الاسنان وبريقها وقيل رقتها أو بياضها فان فسرناه بالاول فالمدح به من حيث ان ماء الاسنان من الاوصاف المستحسنة وما زالت العشاق تستعذبه وتستطيبه وتستلذ به وبريقها مما يمدح به ويرغب اليه وقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم براق الثنايا وان فسرناه بالثاني فالمدح به من حيث ان رقة الاسنان مما يستحسن في الانسان ويعد من صفة الجمال وبياضها مما يستحسن في الانسان أيضا وتتطلع اليه النفوس وتتبعث اليه الخواطر وفيه دلالة على وصفين آخرين مما يستحسن ويرغب اليه الاول حداثة السن فان الانسان كلما طعن في السن تغير لون أسنانه ومال عن البياض الى الصفرة أو الخضرة الثاني النظافة لان تغير الاسنان انما يصدر عن ترك تعهدها بالسواك ونحوه واذا ظرف لتجلو وجملة

ابتسمت في محل جر باضافة اذا اليها يقال ابتسم كاكتسب وتبسم كتكلم وبسم كجلس اذا ضحك ضحكا خفيفا وفي وصفها ظرف
بالابتسام اشارة الى وصفين من أوصاف المدح الاول بشاشة الوجه وطلاقته اذ الشخص قد يكون في غاية الحسن والجمال الفائق ولكنه

ظرف لما بعده بخلافه في البيت وأما من قال حذفت الفاء كما حذفت في قوله

من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان

فقوله ضعيف لان باب ذلك الشعر والثاني ما بعده وذلك على تقديرها مضمنا معنى الشرط ويحتاج حينئذ الى تقدير الجواب أي اذا ابتسمت تجلت وهل الناصب فعل الشرط أو فعل الجواب قولان أشهرهما الثاني وأصحهما الاول اذ يلزم على قول الاكثر أن تقع معمولة لما بعد الفاء وان واذا الفجائية وما النافية في نحو قوله تعالى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون وقولك اذا جئتني فاني أكرمك واذا أشبه انسان أباه فما ظلم ولانها قد ثبت عدم اضافتها في نحو قوله

استغن ما أغناك ربك بالغنى * واذا تصبك خصاصة فتجمل

فان قلت كيف يعمل المضاف اليه في المضاف قلت القائل بهذا لا يدعي أنها مضافة بل انها بمنزلة متى في قولك متى تقم أقم في انها مرتبطة بما بعدها ارتباط اداة الشرط بجملة الشرط لا ارتباط المضاف بالمضاف اليه (قوله ابتسمت) يقال ابتسم كاكتسب وتبسم كتكلم وبسم يبسم كجلس يجلس والمبسم كالمجلس اسم المكان الابتسام وهو الثغر وجملة ابتسمت في موضع خفض ان قدرت اذا معمولة لتجلو والجواب محذوف ولا موضع لها ان قدرت اذا معمولة لها (قوله كأنه منهل) هذه الجملة اما مستأنفة واما صفة للثغر واما حال منه وعلى الثاني فان قدرت اذا شرطية كانت هي وجملتاها اعتراضا بين الصفة والموصوف للضرورة وان قدرت ظرفا لتجلو لم تكن ضرورة لان الفصل حينئذ شبيه بالفصل بمعمول عامل الموصوف نحو سبحان الله عما يصفون عالم الغيب لان المضاف اذا كان بعضا من المضاف اليه أو كبعضه كان صالحا للحذف فيكون المضاف اليه حينئذ كأنه معمول لعامل المضاف ولهذا اجاز مجيء الحال من المضاف اليه في هاتين المسئلتين لاتحاد عامل الحال وعامل صاحبها في التقدير وعلى هذا صح مجيء الحال هنا اذا العوارض بعض الثغر ونظيره قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وان فسر العوارض بجميع الاسنان كما تقدم من قول بعضهم امتنع مجيء الحال لانه حينئذ نظير جاءني غلام هند ضاحكة اذ المضاف ليس بعضا كما في الآيتين الكريمتين ولا كبعض كما في قوله تعالى أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولا المضاف عاملا في الحال كما في قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا فان قدرت تجلو عوارض فم جاز هذا لان العوارض بعض الفم وان فسرت بجميع الاسنان وليس في الاحرف الستة ما يكون هو ومعمولاه حالا الا حرفين ان المكسورة وكأن نحو كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ونحو نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون وسبب ذلك ان أن المفتوحة مؤولة بمصدر ومعرفة وشرط الحال التنكير وليت ولعل طلبيتان وشرط الجملة الحالية أن تكون خبرية وأما لكن فانها مستدعية لكلام قبلها فلهذا لا تقع جملتها صفة ولا صلة ولا خبرا ولا حالا (والمنهل) بضم الميم اسم مفعول من أنهله اذا اسقاه النهل بفتحتين وهو الشرب الاول (وقوله بالراح) فيه مسئلتان * (احداهما) * ان للراح ثلاثة معان أحدها الخمر وهو المراد هنا ويقال فيها أيضا رياح بياء بعد الراء المفتوحة قال امرؤ القيس

* نشاوى تساقوا بالرياح المعلغل * والثاني الارتياح قال

ولقيت ما قيت معد كلها * وفقدت راحي في الشباب وخالي

أي ارتياحي واختيالي وذكر أبو عمرو أن الاول منقول من هذا فانه قال سميت الخمر راحا لارتياح شاربها للكرم والثالث جمع راحة وهي الكف قال يصف سحابا دانيا من الارض * يكاد يمسكه من قام بالراح * (المسئلة الثانية) * الجار متعلق بمنهل وحذف نظيره أي الجار متعلقا بمعلول ويجوز على قول أبي علي ان يقال انهما

عبوس الوجه فيؤدي به ذلك الى ذهاب بهجة حسنه ورونق جماله وأيضا طلاقة الوجه تدل على الكرم وعبوسته تدل على اللؤم كما قال بعضهم تلقى الكريم فتستدل ببشره * وترى العبوس على اللئيم دليلا الثاني الحياء والخفرات ١٧ الضحك برفع الصوت بالقهقهة دليل على الخفة وسقوط المروءة ولا يليق بذوي الجلالة وقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم أن ضحكه كان تبسما والى ذلك يشير الفرزدق في قصيدته التي يمدح بها زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما بقوله

يغضي حياء ويغضى من مهابته * فلا يكلم الا حين يبتسم

فجعل التبسم غير قادح في الحياء وجملة كأنه منهل بالراح معلول اما مستأنفة أو صفة للثغر أو حال منه والضمير يعود على الموصوف المحذوف وهو الثغر ومنهل بوزن مكرم اسم مفعول من أنهله اذا سقاه النهل بفتحتين وهو الشرب الاول وقوله بالراح متعلق بمنهل فالمعنى كأنه مشرب بالراح شربا أولا ومعلول خبر ثان لكأن وفي الكلام حذف من الثاني لدلالة الاول أي معلول بالراح وهو اسم مفعول من عله يعله بضم العين على القياس وبكسرها على خلافه فهو معلول أي مسقي ثانيا فان العلل بفتحتين الشرب ثانيا كما ان النهل بفتحتين الشرب أولا وأصل ذلك ان الابل اذا شربت في أول الورد سمي ذلك نهلا فاذا ردت الى أعطانها ثم سقيت ثانيا سمي ذلك عللا وزعم الحريري أن المعلول لا يستعمل الا بهذا المعنى وان اطلاق الناس له على الذي أصابته العلة وهم وانما يقال لذلك معل من أعله الله تعالى وكذا قال ابن مكي وغيره ولحنوا المحدثين في قولهم حديث معلول وقالوا الصواب معل اهـ والصواب انه يجوز أن يقال معلول من العلة

تنازعاه لانه يجيز أن يتنازع العاملان معمولا توسطهما قال في قوله *مهما تصب أفقا من بارق تشم* ان أفقا ظرف ومن زائدة وبارق مطلوب لتصب ولتشم فاعمل أحدهما وحذف معمول الآخر (قوله معلول) اسم مفعول كان منها لا كذلك الا ان فعله ثلاثي مجرد يقال عله يعله بالضم على القياس ويعله بالكسر اذا سقاه ثانيا وأصل ذلك ان الابل اذا شربت في أول الورد سمي ذلك نهلا فاذا ردت الى أعطانها ثم سقيت الثانية فذلك العلل وزعم الحريري ان المعلول لا يستعمل الا بهذا المعنى وان اطلاق الناس له على الذي أصابته العلة وهم وانما يقال لذلك معل من أعله الله وكذا قال ابن مكي وغيره ولحنوا المحدثين في قولهم حديث معلول وقالوا الصواب معل أو معال اه والصواب انه يجوز أن يقال عله فهو معلول من العلة الا انه قليل وممن نقل ذلك الجوهري في صحاحه وابن القوطية في أفعاله وقطرب في كتاب فعلت وأفعلت وذكر ابن سيده في المحكم ان في كتاب أبي اسحق في العروض معلول ثم قال ولست منها على ثقة اه قال ويشهد لهذه اللغة قولهم عليل كما يقولون جريح وقتيل اه ولا دليل في ذلك لقولهم عقيد وضمير وهما بمعنى مفعل لا بمعنى مفعول ونظير هذا ان المحدثين يقولون أعضل فلان الحديث فهو معضل بالفتح ورد بأن المعروف أعضل الامر فهو معضل كاشكل فهو مشكل وأجاب ابن الصلاح بانهم قالوا أمر عضيل أي مشكل وفعيل يدل على الثلاثي قال فعلى هذا يكون لنا عضل قاصرا وأعضل متعديا وقاصرا كما قالوا اظلم الليل وأظلم الليل واظلم الله الليل انتهى وقد بينا أن فعيلا يأتي من غير الثلاثي ثم انه لا يكون من الثلاثي القاصر قال

*(شجت بذي شبم من ماء محنية * صاف بأبطح أضحى وهو مشمول)*

(قوله شجت) الشج الكسر والشق ومنه شج رأسه وشججه للمبالغة أنشد سيبويه

وكنت أذل من وتد بقاع * يشجج رأسه بالفهر واجي

الفهر حجر ملء الكف ويجوز تأنيثه والواجي مخفف من الواجئ وهو داق الوتد ويقال شجت السفينة البحر والناقة المفازة قال *تشج بي العوجاء كل تنوفة* ومضارعه يشج بالضم على القياس وبالكسر والمفعول مشجوج على القياس وشجيج كذبيح وطريح ويقال في الخمر اذا خالطها الماء مزجت وهو عام في كل مزج فان أريد أن المزاج رققها قيل شعشعت وهو من قولهم ظل شعشاع اذا كان رقيقا لا كثيفا ورجل شعشاع اذا كان نحيفا فان أريد أن الماء كسر سورتها قيل شجت وهو مجاز وان أريد المبالغة في ذلك قيل قتلت وهو مجاز أيضا قال الله تعالى ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا وقال عمرو بن كلثوم

الا هبي بصحنك فاصبحينا * ولا تبقي خمور الاندرينا

مشعشعة كأن الحص فيها * اذا ما الماء خالطها سخينا

ومعنى هبي قومي من نومك والصحن القدح الصغير واصبحينا بفتح الباء أي اسقينا بالغداة والاندرين بالدال المهملة موضع بالشام ويقال بالرفع اندرون وقيل انما اسم الموضع أندر ولكنه نسب اليه أهله فقال الاندريين ثم حذف ياء النسب للتخفيف كما في قوله تعالى ولو نزلناه على بعض الاعجمين وقول الشاعر *وما علمي بسحر البابلينا* والمعنى لا تبقيها لغيرنا وتسقينا سواها ومشعشعة حال أو بدل من خمور او مفعول لاصبحينا ويجوز رفعها بتقدير هي والحص مهمل الحرفين مضموم الاول الورس وقيل الزعفران وسخينا اما اسم منصوب على الحال من الماء وهو قول أبي عمرو الشيباني قال كانوا يسخنون لها الماء في الشتاء واما فعل وفاعل والجملة جواب لاذا أي انا اذا مزجت احدثت فينا السخاء قبل أن نشربها وهذا أبلغ من قول عنترة

واذا شربت فانني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم

واذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمائلي وتكرمي

الا انه قليل وممن نقل ذلك الجوهري في صحاحه وقطرب في كتابه وحاصل معنى البيت ان سعاد اذا ابتسمت تنكشف في تبسمها عن اسنان ذات ماء وبريق وذات بياض أو رقة واطيب ثغرها كأنه مسقي بالراح نهلا ثم عللا أي أولا ثم ثانيا والراح لها ثلاثة معان الاول الخمر وهو المراد هنا والثاني الارتياح والثالث جمع راحة وهي الكف فان قيل كيف ساغ له أن يذكر في قصيدته شرب الخمر بعد تحريمها مع انها أم الخبائث أجيب بانه جرى في ذلك على عادة الشعراء من التغزل بذكر الخمر مع قرب عهده بالاسلام كما تقدم في الكلام على التغزل بالمرأة (قوله شجت بذي شبم الخ) لما شبه ثغرها بمنهل معلول بالراح على ما تقدم في البيت الذي قبله شرع في وصف الراح بانها مزجت بماء موصوف بست صفات فقال شجت بذي شبم الخ أي مزجت تلك الراح بماء موصوف بما ذكره من الصفات حتى كسرت سورتها وخمدت فورتها فان الخمر اذا بقيت على أصلها من غير خلط ماء قيل لها صرفة فان خلطت بماء قيل لها ممزوجة قل المزج أو كثر فان مزجت حتى رقت ولطفت ولم تنكسر سورتها قيل لها مشعشعة من قولهم ظل شعشاع اذا كان رقيقا لا كثيفا فان زيد على ذلك حتى انكسرت سورتها قيل شجت وهو مجاز لان الشج في الاصل الكسر ومنه شج رأسه وشججه للمبالغة وان زيد على ذلك حتى ذهبت قوتها قيل قتلت وهو مجاز أيضا لان القتل في الاصل ازهاق الروح وقد اختلف شرابها اهل الاولى لصرفة أو الممزوجة فاختار قوم الصرفة ومنهم حسان بن ثابت في زمن الجاهلية حيث يقول ان التي ناولتني فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل كلتاهما حلب العصير فعاطني * بزجاجة ارخاهما للمفصل وقول

وقول عنترة اعدل واحسن والعرض الحسب والكلام الجرح وهو هنا مجاز وتمثيل وفي البيت الثاني احتراس من اعتراض يرد على بيت عمرو اذ ظاهره انه لولا الخمر لم يكن فيهم سخاء والشمائل جمع شمال بكسر الشين وهي الخلق قال

ألم تعلمي أن الملامة نفعها * قليل وما لومي أخي من شماليا

وأحسن من بيتي عنترة قول امرئ القيس

وتعرف فيه من أبيه شمائلا * ومن خاله أومن يزيد ومن حجر

سماحة ذا وبرذا ووفاء ذا * ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

وانما قدم هذا البيت على بيت عنترة لانه جمع هذه الاشياء في بيت واحد وقال حسان رضي الله عنه

ان التي ناولتني فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني * بزجاجة ارخاهما للمفصل

ولهذا الشعر حكاية حسنة أوردها الامام أبو السعادات هبة الله بن الشجري في الجزء الثاني من أماليه قال اجتمع قوم على شراب فتغنى أحدهم بهذين البيتين فقال بعض الحاضرين كيف قال ان التي ناولتني فرددتها ثم قال كلتاهما فجعلها اثنتين فلم يدر الحاضرون فحلف أحدهم بالطلاق ثلاثا بات ولم يسأل القاضي عبيد الله بن الحسين عن ذلك قال فسقط في أيديهم ثم أجمعوا على قصد القاضي فيمموه يتخطون اليه الاحياء فصادفوه في مسجد يصلي بين العشاءين فلما أحس بهم أوجز ثم أقبل عليهم فقال ما حاجتكم فتقدم أحسنهم نسبة فقال نحن أعز الله القاضي قوم نزعنا اليك من طريق البصرة في حاجة مهمة فيها بعض الشئ فان أذنت لنا قلنا فقال قل فذكر له البيتين والسؤال فقال أما قوله ان التي ناولتني فانه يعني به الخمر وأما قوله قتلت فمعناه مزجت بالماء وأما قوله كلتاهما حلب العصير فانه يعني به الخمر والماء فالخمر عصير العنب والماء عصير السحاب قال الله تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا انصرفوا اذا شئتم قال ابن الشجري ويمنع من هذا التأويل ثلاثة أشياء أحدها ان كلتا للمؤنثتين والماء مذكر والتذكير يغلب على التأنيث لقول الفرزدق * لنا قمراها والنجوم الطوالع * والثاني انه قال ارخاهما وافعل يقتضي المشاركة والماء لا ارخاء فيه للمفصل والثالث انه قال فالخمر عصير العنب وحسان يقول حلب العصير والحلب هو الخمر فيلزم على قوله اضافة الشئ الى نفسه وانما الجواب ان المراد كلتا الممزوجة والصرف حلب العنب فناولني أشدهما ارخاء وهي الصرف التي طلبها منه في قوله فهاتها لم تقتل انتهى كلامه وههنا فوائد تتعلق بالبيتين احداها ان قوله قتلت جملة معترضة ونظيره في الاعتراض بالدعاء الا انه دعاء بخير قوله

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعي الى ترجمان

وقوله

ان سليمى والله يكلؤها * ضنت بشئ ما كان يرزؤها

وقول بعضهم ان قوله قتلت الثقات مردود لان شرطه اتحاد مدلولي الضميرين كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الثانية ان التاء من هاتها مكسورة كالطاء من عاطني كذلك لانهما أمران من هاتى يهاتي مهاتاة وعاطى يعاطي معاطاة وقول بعضهم انه اسم فعل مردود بأمرين تصرفه واتصال ضمائر الرفع البارزة به نحو قوله تعالى هاتوا برهانكم وقوله

اذا قلت هاتي نوليني تمايلت * على هضيم الكشح ريا المخلخل

الثالثة ان الحلب فعل بمعنى مفعول كالقبض والخبط والعصير فعيل بمعنى مفعول كالكحيل والدهين والرابعة ان المفصل بكسر الميم وفتح الصاد اللسان لانه آلة تفصل بها الامور ومفعل من أوزان أسماء الآلات كالمفتح والمخيط والمفصل بفتح الميم وكسر الصاد مكان انفصال بعض الاعضاء من بعض لان اسم

يقول للذي ناوله الخمرة وردها عليه ان التي ناولتني فرددتها عليك قتلت بالمزج حتى ذهبت قوتها ثم دعا عليه بقوله قتلت لكونه قتلها بالمزج ثم طلبها غير مقتولة بل صرفة بقوله فهاتها لم تقتل ثم سوى بين الصرفة والممزوجة في الرجوع الى أصل واحد وهو العصير بقوله كلتاهما حلب العصير ثم طلب أشدهما تأثيرا في السكر وارخاء المفاصل بقوله فعاطني بزجاجة أرخاهما للمفصل واختار آخرون الممزوجة لان الصرفة قد تؤدي الى زوال الشعور وذهاب الاحساس وبعضهم سوى بينهما كما يشير لذلك ابن الفارض بقوله

عليك بها صرفا وان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

(فان قيل) لاي معنى اختار ذكر الممزوجة على الصرفة في كلامه حيث قال قتلت أجيب بان الصرفة حارة يابسة والممزوجة حارة رطبة فالمزج ينقلها من اليبوسة الى الرطوبة فان قيل لم خص الشبم بالذكر دون سائر أنواع المزج المتقدمة أجيب بان الشبم أعدل حالات المزج لان الشعشعة لا تكسر سورتها المقاربتها الصرفة في أفعالها والقتل يذهب سورتها بالكلية فتصير لا نشاط فيها والشبم يذهب حد السورة ويبقى منها بقية تحصل منها النشوة ثم لما ذكر أنها مزجت بالماء وصف الماء الذي مزجت به بستة أوصاف الاول كونه ذا شبم أي صاحب برد شديد فذي بمعنى صاحب والشبم بفتحتين البرد الشديد قال في المختار الشبم بفتحتين البرد وقد شبم الماء من باب طرب فهو شبم اه والماء البارد مما يستطاب شربه ويستعذب ولقد كان عليه الصلاة والسلام يعجبه الماء الحلو البارد حتى قال في دعائه اللهم اجعل حبك أحب الي من الماء البارد وكان القطب

المكان من فعل يفعل على مفعل كالمجلس والمضرب والمعنيان صحيحان فى بيت حسان فيجوز قراءته بالوجهين الخامسة ان أرخى اسم تفضيل مبنى من أرخى وبناء أفعل التفضيل من أفعل مسموع عند قوم مقيس عند آخرين وفصل بعضهم فقال ان كانت همزته للنقل كأعطى فمسموع أو لغير النقل كأظلم الليل فقيس ومن الوارد من ذلك قولهم ما أعطاه للدراهم وأولاه للمعروف وقوله تعالى ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة فانهما من أقسط اذا عدل ومن أقام قال الله تعالى وأقسطوا ان الله يحب المقسطين وأقيموا الشهادة لله * وفى محل الجملة من قوله شجت وجهان أحدهما النصب على الحال من الراح (فان قلت) كيف وقع الماضى حالا مع تجرده من الواو وقد (قلت) انما يلزم ذلك اذا كان الماضى مثبتا ولا ضمير معه كقوله

وجالدتهم حتى اتقوك بكبشهم * وقد حان من شمس النهار غروب

و يمتنعان ان كان الماضى فى المعنى شرط نحو لاضربنه ذهب أو مكث أو وقع بعد الا نحو ما تكلم الا قال خيرا وتجب الواو وتمتنع قد اذا نفى الفعل ولم يكن ضمير نحو جاء زيد وما طلعت الشمس وتجوز الواو وتمتنع قد اذا نفى الفعل ووجد الضمير نحو جاء زيد وما درى كيف جاء أو كان الفعل ليس نحو ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الآية وقول الراجز

اذا جرى فى كفه الرشاء * جرى القليب ليس فيه ماء

ويجوز فيما عدا ذلك ان تأتى بهما وأن تتركهما وان تقتصر على الواو وان تقتصر على قد فالاول كقوله تعالى وقد فصل لكم ما حرم عليكم والثانى كقوله تعالى أو جاؤكم حصرت صدورهم ولهذا قرأ الحسن حصرة صدورهم ومنه هذه بضاعتنا ردت الينا ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وقول كعب رضى الله عنه شجت والثالث كقوله تعالى أنؤمن لك واتبعك الارذلون كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم والرابع كقول الشاعر

وقفت بربع الدار قد غير البلى * معارفها والساريات الهواطل

ولا تحتاج فى الوجه الثانى والوجه الثالث الى أن تضمر قد خلافا للمبرد والفارسى والفراء وأكثر المتأخرين والوجه الثانى الخفض على انها صفة للراح لان تعريفها تعريف الجنس كما أجيز ذلك فى قوله

ولقد أمر على اللئيم يسبنى * فمضيت ثمت قلت ما يعنينى

(وقوله بذى) أى بماء ذى وفيه دليل على ما قدمناه من ان شرط حذف الموصوف فهم معناه لا كون الصفة مختصة بجنسه كما يقول ابن عصفور وغيره (وقوله شبم) هو بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة البرد الشديد يقال غداة ذات شبم وقد شبم الماء وغيره وخصر بمعنى اشتد برده وخرص الرجل اشتد برده مع الجوع والفعلان بالخاء المعجمة والراء والصاد المهملتين والافعال الثلاثة على فعل بالكسر يفعل بالفتح ومصدرهن على الفعل بفتحتين ووصفهن بزنة الماضى وقال أبو الطيب المتنبى * واحر قلباه ممن قلبه شبم * وقال المعرى

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

وعن أبى عمرو بن العلاء الشبم من الناس المقرور الجائع وفى ثبوت هذا عن مثل هذا الامام بعد وان كان الناقل له عنه الجوهرى لان فعل هذا الوصف لا يقتضى ذلك ولا يختص بالحيوان (وقوله من ماء) صفة ثانية للماء المحذوف أو حال منه وان كان نكرة لاختصاصه بالوصف بذى أو حال من ضمير ذى العائد منه على الموصوف وهذا أحسن لانه حمل على الاخص الاقرب ولهذا كان ضعيفا جزم الزمخشرى فى مصدقا من قراءة بعضهم ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقا بانه حال من النكرة والوجه الاول أحسن الثلاثة لتوسط هذا الظرف بين صفتين وهما ذى شبم وصاف (فان قلت) قدر قوله صاف حالا وان المنقوص سكن حالة النصب للضرورة فانحذفت الياء للساكنين كقوله

ولو أن واش باليمامة داره * ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا

الشاذلى يقول اذا شربت الماء الحلو البارد أشكر ربى من وسط قلبى ورعما مزجوا الخمر بالماء الحار ولعل ذلك كان يقع لهم فى البرد الشديد لذى يجمده الخمر لشدته فاذا مزجت بالماء الحار لطفها ورققها بخلاف البارد فانه يزيدها جمودا الثانى كونه مأخوذا من ماء محنية بفتح الميم وسكون الحاء وكسر النون وفتح الياء المخففة وهى منعطف الوادى وانما خص ماء محنية بالذكر لانه يكون أصفى وأبرد وكأن المعنى فيه ان الرياح تنزا كم فيه لانعطافه فتصفيه وتبرده الثالث كونه صافيا عما يخالط من اجزاء الارض لان الماء ان كان صافيا لا يكدر الخمر التى مزجت به بخلاف ما اذا كان كدرا فانه يكدرها بمخالطته لها ويخرجها عن وصف الصفاء المطلوب فيها الرابع كونه بأبطح وهو المسيل الواسع الذى فيه دقاق الحصى فلكونه واسعا يكون مظنة الكثرة ولكونه فيه دقاق الحصى يكون مظنة الصفاء الخامس كونه اخذ فى وقت الضحى وهو المراد بقوله أضحى وهى تامة فانها بمعنى أخذ فى وقت الضحى لانه أولى ما يستقى فيه الماء لقرب عهده من آخر الليل فيكون الماء فيه باردا بخلاف ما بعد ذلك من أوقات النهار فانها يشتد فيها حر الشمس السادس كونه مشمولا وهو المراد بقوله وهو مشمول أى والحال انه مشمول فالواو للحال والمشمول هو الذى ضربته ريح الشمال حتى برد فان ريح الشمال أشد تبريدا للماء من غيرها من الرياح خصوصا بارض الحجاز لرقتها ولطافتها ولا

وقول

وقول الفرزدق يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد * وعيناً له حولاء بادٍ عيوبها

وحينئذ فترجح الحالية في الظرف لمجاورة الحال (قلت) لا يحسن الحمل على خلاف الظاهر مع عدم الحاجة اليه ثم مناسبة المتقدم أولى من مناسبة المتأخر وأصل الماء موه فقلبت واوه ألفاً على القياس وأبدلت هاؤه همزة على غير القياس وحصل بذلك توالي اعلالين وجمعه في القلة أمواه بالهاء على الاصل وربما أبدلوها فيه قال

وبلدة قالصة أمواؤها * ماصحة رأد الضحى أفياؤها

القالصة المرتفعة والماصحة الذاهبة ورأد الضحى ارتفاعه وجمعه على الاصل في الكثرة مياه بالهاء لا غير وانما قلبت عينه ياء للكسرة قبلها والالف بعدها كدار وديار وانما صحت في طوال لصحتها في طويل وانما أعلت في سياط مع سلامتها في سوط لان السكون عندهم كالاعلال والنسبة الى الماء مائي بالهمز وماوي بالواو ككسائي وكساوي (وقوله محنية) مفعلة من حنوت وجمعها محان وأصلها محنوة وهي عبارة عما انعطف من الوادي لان ماءها يكون أصفى وأرق وانما قلبت الواو ياء لتطرفها في التقدير بعد كسرة وقول التبريزي لوقوعها رابعة بعد كسرة فيه زيادة ما ليس بشرط وهو كونها رابعة ويرده وجوب القلب في قوي ورضي وشجية فانها من الرضوان والقوة والشجو ونقص ما هو شرط وهو التطرف اما تقديراً كما في شجية ومحنية أو لفظاً كما في قوي ورضي وقد اجتمع النوعان في قوله محنية وقوله صاف اذ هو من الصفو ومثله داع وغاز وكذلك حاد سواء كان اسم فاعل من حدا يحدو أو اسم العدد الا ان في هذا قلبين قلب المكان وقلب الابدال وذلك لانه من الوحدة فاصله واحد ثم أخرت فاؤه فصار حادو وزنه عالف (وقوله بأبطح) صفة أو حال والابطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى وجمعه بطاح على غير القياس وأباطح على القياس لانه قد صار اسماً فالحق بافكل وافاكل واجادل وأجادل قال

وكائن بالاباطح من صديق * يراني لو أصبت هو المصابا

وانما خفض أبطح بالفتحة لانه لا ينصرف للوصف المتأصل والوزن الغالب ومنهم من يصرفه اعتداداً بعارض الاسمية والوجهان في اخواته كاجرع وأبرق وادهم للقيد والاجود منع الصرف في الجميع (وقوله أضحى) اما تامة بمعنى دخل في وقت الضحى فالجملة بعدها حال والواو الداخلة عليها واو الابتداء ويقدرها سيبويه باذ واما ناقصة بمعنى ثبوت الخبر للمخبر عنه في هذا الوقت فالجملة بعدها خبر والواو زائدة وجه دخولها تشبيه الجملة الخبرية بالجملة الحالية وهذا الوجه انما يجيزه أبو الحسن والكوفيون وتابعهم ابن مالك وزعم ان ذلك يكثر بشرطين كون عامل الخبر كان أو ليس وكون الخبر موجباً بالا كقوله

ما كان من بشر الا ومنيته * محتومة لكن الآجال تختلف

(وقوله)

ليس شيء الا وفيه اذا ما * قابلته عين البصير اعتبار

ويقل في غير ذلك كقوله

وكانوا أناساً ينفحون فأصبحوا * وأكثر ما يعطونك النظر الشزر

وعلى هذا قول كعب رحمه الله أضحى وهو مشمول والمشمول الذي ضربته ريح الشمال حتى برد يقال منه غدير مشمول ومنه قيل للخمر مشمولة اذ كانت باردة الطعم قال

تقول يا شيخ أما تستحي * من شربك الراح على المكبر

فقلت لو باكرت مشمولة * صفراً كلون الفرس الاشقر

رحت وفي رجليك ما فيهما * وقد بدا هنك من المئزر

في البيت الاول شاهد على انه يقال استحى يستحي كاستبى يستبي وقد قرأ يعقوب وابن محيصن ان الله لا يستحي ان يضرب مثلاً بياء واحدة وقد رويت عن ابن كثير أيضاً وهي لغة تميم والاصل بياءين فنقلت حركة العين

كذلك غيرها من الرياح بل ربما هبت بعض الرياح على الماء فسخنته وحاصل معنى البيت ان تلك الراح مزجت بماء بارد أخذ من منعطف الوادي صاف في مسيل واسع فيه دقاق الحصى وكان أخذه منه في وقت الضحى وقد ضربته ريح الشمال حتى برد فان أحسن الماء ما كان بارداً في طبعه وكان من ما منعطف الوادي وكان صافياً في لونه وكان في مكان متسع فيه دقاق الحصى وكان مأخوذاً في وقت الضحى وكان مضروباً بريح الشمال حتى برد

الى الفاء فالتقى سا كنان فقيل حذفت الالام فالوزن يستفع وقيل حذف العين فالوزن يستفل وفي البيت الثاني شاهد على قصر الممدود القياسي لاجل الضرورة وفيه رد على الفراء اذ زعم انه لا يقصر للضرورة الاما أخذه السماع دون القياس وفي الثالث شاهد على جواز تسكين المرفوع الصحيح لاجل الضرورة وعلى جواز النقص في الهن وهي أفصح فيه من التمام ويروى وقد بدا ذاك فلا شاهد فيه ويسمى الخمر أيضا شمولا قال القتبي لانها تشتمل على عقل صاحبها وقال غيره لان لها عصفة كعصفة الريح الشمال وأفضل مياه المطر باعتبار المكان ما كان بابطح بجمنية وباعتبار الزمان ما دخل في زمن الضحى وباعتبار الصفات القائمة به ما كان صافيا شبما وباعتبار ما يطرأ عليه ما هبت عليه ريح الشمال وقد اشتمل البيت على ذلك كله قال

*(تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه * من صوب سارية بيض يعاليل)*

(قوله تنفي) مضارع نفاه اذا طرده ويقال أيضا نفى ينفي بمعنى انطرد يطرد يتعدى ولا يتعدى ومن تعديه قوله تعالى أو ينفوا من الارض ومن قصوره قول القطامي بضم القاف

* فأصبح جارا كم قتيلا ونافيا * أي منتفيا (وقوله الرياح) جمع ريح والياء فيهما بدل عن واو وانما قلبت في المفرد لسكونها بعد كسرة كما في ميزان وميقات وفي الجمع لما تقدم في مياه ديار وسياط من مجيء الكسرة قبلها والالف بعدها واعتلالها في المفرد أو سكونها فيه ومن ثم صحت في أرواح لانتفاء الشرط الاول وفي كوزة جمع كوز لانتفاء الشرط الثاني وفي طوال لانتفاء الثالث وأما قوله

تبين لي ان القماءة ذلة * وان أعزاء الرجال طيالها

فنادر ومن العرب من يقول أرياح كراهية الاشتباه بجمع روح كما قال الجميع اعياد كراهية الاشتباه بجمع عود وقول الحريري ان الارياح في جمع ريح لحن مردود وقول الجوهري الريح واحدة الرياح والارياح وقد يجمع على أرواح يقضي ان الارياح هو الكثير وليس كذلك وانما الكثير أرواح ومنه قول ميسون بنت بحدل بالحاء المهملة وهي زوج معاوية رضي الله عنه وهي أم ابنه يزيد

لبيت تخفق الارواح فيه * أحب الي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني * أحب الي من لبس الشفوف

وهذا البيت شاهد على نصب المضارع بان مضمرة لعطفه على اسم متقدم وحرف أكثرهم أوله فانشده للبس وانما هو بالواو عطفا على قولها البيت وما بعده (وقوله القذى) هو بالذال المعجمة ما يسقط في العين والشراب والواحدة قذاة ويقال قذيت العين بالكسر تقذى بالفتح اذا سقط فيها القذى وقذت بالفتح تقذي بالكسر اذا رمت القذى وأقذيتها اذا جعلت فيها القذى وقذيتها مشددا اذا نزعت عنها القذى كما قالوا جلد البعير وقرده اذا نزع عنه جلده وقراده * وفي الجملة من قوله تنفي الرياح القذى عنه بحثان (أحدهما) بالنسبة الى الاعراب وهي باعتباره محتملة لثلاثة أوجه أحدها ان تكون خبرا ثانيا لاضحى على ان تكون ناقصة والثاني ان تكون حالا ان كانت أضحى تامة فذو الحال فاعلها أو مفعول مشمول المستتر فيه وهي على الثاني من الحال المتداخلة وعلى الاول من المترادفة وان كانت ناقصة فذو الحال ضمير مشمول أو ضمير أضحى ان قلنا ان الافعال الناقصة تدل على الحدث وهو الصحيح والثالث ان تكون مستأنفة (البحث الثاني) بالنسبة الى المعنى وهي باعتباره محتملة لثلاثة أوجه أيضا أحدها أن تكون تعليلا لقوله صاف والثاني ان تكون توكيدا له وتتميما والثالث ان تكون احتراسا وذلك لان الماء الصافي قد يعرض له أن يعلوه شيء من الاقذاء ويكون بحيث لو أزيل عنه لظهر صفاؤه وان لا كدورة فيه فنفى ان يكون هذا الماء من هذا القبيل (قوله وأفرطه) يستعمل أفرط على وجهين متعديا بفي ومعناه الزيادة في الشيء ومجاوزة الحد فيه ومتعديا بنفسه وله ثلاثة معان

(قوله تنفي الرياح الخ) لما وصف الماء الذي مزجت به الراح في البيت الذي قبله بما يرجع حاصله الى الكثرة والبرودة والصفاء على ما تقدم تقريره هناك أتبعه في هذا البيت بما ٢٢ يؤكده فقال تنفي الرياح الخ ومعنى تنفي تطرد يقال نفاه أي طرده والرياح جمع ريح وهو عبارة عن هواء يتحرك لا لذاته بل بتحريك الفاعل المختار وهو الله تعالى كما قال جل وعز الله الذي يرسل الرياح وزعمت الفلاسفة ان سبب ذلك ارتفاع اجزاء دخانية لطيفة من الارض قد سخنت تسخينا شديدا فبسبب تلك السخونة ترتفع وتتصاعد حتى تصل الى القرب من الفلك ثم تتفرق في الجوانب وبسبب ذلك التفرق يحصل الريح وهو مردود وأصول الرياح أربعة الاولى الصبا وتسمى بالقبول بفتح القاف لانها تقابل بهبوبها المشرق وتأتي من مطلع الشمس وانما سميت بالصبا لانها تصبو أي تميل الى الكعبة وهي التي تسميها أهل مصر بالشرقية لانها تأتي من جهة المشرق والثانية الدبور سميت بذلك لان من استقبل المشرق استدبرها وأهل مصر يسمونها الغربية لان مهبها من مغرب الشمس والثالثة الشمال بفتح الشين سميت بذلك لانها عن شمال من استقبل المشرق وتعرف عند أهل مصر بالبحرية لانها تسايرهم في البحر على كل حال والعامة يعتقدون انها سميت بذلك لانها تهب عليهم من جهة البحر والرابعة الجنوب وهي التي تسميها أهل مصر القبلية وعامتهم يعبرون عنها بالمريسي لانها تهب من بلاد المريس وهم طائفة من السودان حسان الوجوه وكل ريح جاءت من بين مهبي ريحين يقال لها نكباء لانها انكبت أي عدلت عن مهب تلك الرياح وقد نظم بعضهم ذلك بقوله أصول الرياح أربع سم بالصبا * أحدها

أحدها ترك الشيء ونسيانه والثاني تقدمه وتعجيله والثالث ماوه بفتح الميم وقوله تعالى وانهم مفرطون يقرأ بسكون الفاء مع كسر الراء على انه من المتعدي بفي أي مفرطون في المعاصي و بفتحها على انه من المتعدي بنفسه ومعناه امامتروكون في النار منسيون أو مقدمون اليها معجلون وقول العرب غدير مفرط بسكون الفاء وفتح الراء من الثالث أي مملوء ومنه هذا البيت كما سيأتي و يقال من هذه المادة فرطت القوم بالتخفيف والفتح أفرطهم بالضم فأنا فرطهم بفتحتين وفارطهم بمعنى سبقتهم الى الماء ومنه الحديث أنا فرطكم على الحوض ولا يثنى الفرط ولا يجمع بخلاف الفارط فانه يطابق من قصد به قال القطامي

فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا * كما تعجل فراط لوراد

و يقال فرط في الامر بالتشديد اذا قصر فيه ومنه قوله تعالى يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وقرئ وانهم مفرطون براء مشددة مكسورة أي مقصرون في الطاعات (قوله من صوب) للصوب أربعة معان أحدها المطر كقوله

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمي

وانتصاب غير على الحال من الفاعل المؤخر وفيه احتراس مما أورد على من قال

ألا يا اسلمي يا دارمي على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

اذ قيل انه أراد الدعاء لها فدعا عليها بالخراب والجواب انه احترس أولا بقوله اسلمي وان زال واخواتها انما تقتضي ثبوت الخبر للاسم على جاري العادة في مثله كقولنا ما زال زيد يصلي فان معناه انه مذ تأتى منه فعل الصلاة لم يتر كها في أوقاتها الا انه مذ خلق لم يزل يصلي ليلا ونهارا لا يفتر والثاني ان يكون مصدر الصاب يصوب بمعنى نزل والثالث أن يكون مصدر الصاب بمعنى قصد كقول رجل من عبد القيس يمدح النعمان بن الحرث ابن المنذر

تعاليت ان تعزى الى الانس جلة * وللانس من يعزوك فهو كذوب

فلست لانسي ولكن لملاك * تنزل من جو السماء يصوب

أي يقصد الى الارض هذا هو الصواب في تفسيره وهو قول أبي محمد بن السيد وأما قول الجوهري والاعلم واللخمي والواحدي وغيرهم ان معناه ينزل فيلزم منه التكرار والاحسن أن يقال أصاب بالهمز ومنه قوله تعالى تجري بامره رخاء حيث أصاب أي تجري لينة سريعة حيث أراد قاله ابن عباس رضي الله عنهما ونقل الزجاج اجماع أهل اللغة والتفسير عليه قال ومنه قولهم للمجيب أصبت أي قصدت الجواب فلم تخطئه انتهى وما أدري من أين استفيد معنى قوله لم تخطئه وانما الظاهر انه من قولهم أصبت الشيء اذا وجدته وان الاصل أصبت الجواب وعلى التفسير ين فهذا الفعل قد هجر مفعوله كما في قولهم بنى على امرأته أي قبة وافاضوا من عرفات أي رواحلهم لانه مستعار من افاضة الماء وهو صبه بكثرة ونظيره في المعنى قوله

* وسالت باعناق المطي الاباطح * (ويحكى) ان رجلين قصدا رؤبة بن العجاج يسألانه عن معنى أصاب في الآية فصادفاه في الطريق فقال لهما اين تصيبان فرجعا ولم يسألاه والرابع أن يكون بمعنى الصواب كقول أوس بن غلباء

الا قالت امامة يوم غول * تقطع بابن غلباء الحبال

ذريني انما خطئي وصوبي * علي وان ما أهلكت مال

اي وان الذي أهلكته مالي لا مال غيري فحذف ياء الاضافة منسية فظهر اعراب ما قبلها قاله أبو عمرو وخالفه بعضهم وقال انما أراد ان الذي أهلكته مال لا عرض والمراد في بيت كعب المعنى الاول وهو محتمل لان يكون منقولا من المعنى الثاني أو الثالث وجزم عبد اللطيف بان الصوب في البيت مصدر وان الاسم المخفوض باضافته في موضع رفع على الفاعلية وليس بشيء بل هو اسم للمطر ولا محل للاسم بعده بل هو كزيد في غلام زيد (قوله سارية) هي السحابة تأتي ليلا وهي في الاصل صفة ثم غلبت عليها الاسمية وفعلها سرت تسري

قبولا أتت من مطلع الشمس شرقية * دبورا أتت من مغرب الشمس فاعلمن * اذا عند مصر سم باصاح غربية شمالا تجي من عن شمال مشرق * يسار بها في البحر تدعي بحريه جنوب تسمى بالمريسي نسبة * لبلدان سودان وتنمى لقبلية ٢٣ وما بين ريحين تهب فسمها * بنكباء تجري كالاصول بلا مرية ولاهل البحر الملاحين المعرفة التامة في ذلك فهو كما قيل علم نفيس في جنس خسيس والقذا بفتح القاف والذال المعجمة ما يسقط في العين والشراب والمراد به هنا ما يقع في الماء مما يشوبه و يكدره وعنه جار ومجرور متعلق بالفعل قبله والضمير عائد على الابطح وعلى الماء فالمعنى على الاول ان الرياح تهب على الابطح قبل وجود الماء فيه فتنسف ما فيه من تراب ونحوه فلا يبقى فيه الا دقاق الحصى فلا يجد الماء فيه عند حلوله ما يكدره فيبقى على صفائه والمعنى على الثاني ان الرياح تهب على الماء وهو في الابطح فتقذف ما على وجهه مما كان في الابطح قبل وجود الماء فطفا على وجهه فتطرده الرياح الى شاطئ الوادي والمعنى الاول أبلغ في الصفاء لعدم ملاقاة القذى للماء جملة وهو أقرب الى مراد الناظم وعلى كل فالجملة في المعنى تعليل لقوله صاف وتأكيد له وقوله وأفرطه أي وأفرط ذلك الابطح بالماء أي ملأه به و يشير بذلك لكثرة الماء و زيادته فان كثرته و زيادته تدفع عنه الاستقذار فلا تعاف النفوس شربه وقوله من صوب جار ومجرور متعلق بالفعل قبله * والصوب المطر و يستعمل بمعنى القصد فيكون مصدر الصاب بمعنى قصد و يحكى ان رجلين أتيا رؤبة بن العجاج يسألانه عن قوله تعالى فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث أصاب فصادفاه في الطريق فقال أين تصيبان فرجعا ولم يسألاه وقوله سارية

ومصدره السرى وهو سير الليل خاصة والتأويب سير النهار خاصة والاسئاد بمهملتين مصدر اسأدت الابل اذا سارت ليلا ونهارا والحجازيون يقولون اسرى بالالف وقد اجتمعت اللغتان فى قول حسان رضى الله عنه

حى العشيةربة الخدر * اسرت الى ولم تكن تسرى

لرواية بفتح حرف المضارعة وقرئ بهما فى السبع فى نحو فاسر باهلك فاسر بعبادى واتفق على الحجازية فى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا وانما ذكر الليل مع اختصاص الاسراء به ليشار بتنكيره الدال على التقليل والتبعيض الى انه قطع به عليه الصلاة والسلام مسافة أربعين ليلة فى بعض ليلة ويؤيده قراءة ابن مسعود وحذيفة رضى الله عنهما من الليل وانما جاز فى هذه القراءة تعدى اسرى بمن مرتين لان الاولى تبعيضية والثانية لابتداء الغاية وتأتى السارية بمعنى الاسطوانة ويروى غادية بدل سارية وهى السحابة تأتى بالغداة وهى أيضا من الصفات الغالبة عليها الاسمية وفعلها غدت تغدو (وقوله بيض) فاعل بافرطه وهو جمع أبيض أو بيضاء على ما يأتى فى تفسير المراد به وعليهما فاصله فعل بضم الفاء ثم كسرت لتسلم الياء من الانقلاب واوا وقوله يعاليل صفة لبيض ووزنه يفاعيل لانه من العلل وهو الشرب الثانى ومفرده يعلول قالوا ثوب يعلول اذا علل بالصبغ أى أعيد عليه مرة بعد أخرى واختلف فى المراد بالبيض اليعاليل فقال أبو السمح الجبال المرتفعة والاشتقاق لا يساعده على تفسير اليعاليل بالمرتفعة وقال أبو عمرو البيض السحاب واليعاليل التى تجىء مرة بعد أخرى ولا واحد لها كالابابيل وتابعه على تفسير البيض بالسحاب التبريزى وعبد اللطيف وابن الانبارى وغيرهم وهو مردود لاقتضائه أن السحابة السارية أمدت السحائب البيض التى ملأت الاباطح وليس هذا مراد المتكلم ولا هو الواقع وقيل هى الغدران وهو بعيد لانه ليس فى العرف انها توصف بالبياض ولانها عند الاباطح والذى يظهر انها الجبال المفرطة البياض وان المعنى وملأ هذا الابطح من ماء سحابة آتية بالليل ماء جبال شديدة البياض وذلك لان ماء السحاب يحصل أولا فى الجبال ثم ينصب منها عند اجتماعه وكثرته الى الاباطح وفى هذا الكلام تأكيد لوصف الماء بالبرد والصفاء وجوز التبريزى أن يكون افرطه بمعنى تركه أى ترك ماء المطر فى هذا الابطح سحائب بيض قال ومن ثم سمى الغدير غديرا لان السيل غادره أى تركه يقال أفرطت القوم اذا تركتهم وراءك ومنه الحديث أنا فرطكم على الحوض وقوله تعالى وأنهم مفرطون أى مؤخرون انتهى ويلزمه ما قدمناه من ان بعض السحاب يستمد من بعض وأيضا فلم يثبت مجىء أفرطه بمعنى تركه فى موضع بل جاء بمعنى سبقه وكل من سبقته فقد خلفته وراءك وليس هذا مما نحن فيه وقد تقدم القول فى تفسير ذلك مشبعا قال

*(أكرم بها خلة لو انها صدقت * موعودها أولو ان النصح مقبول)*

(قوله اكرم بها) أى ما أكرمها ومثله اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا أى ما أسمعهم وما أبصرهم فى ذلك اليوم * وقد اختلف فى ذلك ونحوه على ثلاثة مذاهب أحدها ان أفعل فعل صورته صورة الامر ومعناه التعجب وأصله الاول فعل ثلاثى ثم حول الى فعل ماض مزيد فيه وهو افعل بمعنى صار ذا كذا كاغد البعير وابقل المكان أى صار ذوى غدة وبقل ثم حول هذا الى صيغة الطلب مع بقاء المعنى الخبرى وضمن معنى التعجب فقبح حينئذ رفعه الظاهر لكونه على صورة فعل الامر فزيدت فى فاعله الباء كما زيدت فى فاعل كفى فى نحو كفى بالله

أى سحابة تأتى ليلا من السرى وهو السير ليلا ويروى غادية بدل سارية وهى سحابة تأتى غدوة وفى كل منهما اشارة الى برودة الماء لان السحابة اذا أتت ليلا أو غدوة بقى الماء على أصله فى البرودة فاذا أخذ من صبيحة تلك الليلة كان فى غاية البرودة وهو من آكد المطلوب فيه وقوله بيض فاعل افرطه وهى جمع أبيض أو بيضاء واختلف فى معناها فقيل الجبال وهو الظاهر الذى يرشد اليه المعنى وقيل السحب ورد بان المعنى عليه ان السحب البيض التى ملأت الابطح استمدت الماء من مطر تلك السحابة وذلك يؤدى الى أن بعض السحب تستمد المطر من بعض وهو غير المراد وخلاف الواقع وأيضا السحب البيض تكون خالية من المطر وأما الحاملة للمطر فان لونها يكون أغبر وقوله يعاليل صفة لبيض ومفرده يعلول يقال ثوب يعلول اذا غذى بالصبغ مرة بعد أخرى واختلف فى معناها فقيل شديدة البياض وقيل التى ينزل بها الماء مرة بعد أخرى أخذا من العلل وهو الشرب مرة بعد أخرى كما تقدم وقيل المرتفعة وهذا كله على تفسير البيض بالجبال وأما على تفسيرها بالسحب فتفسر اليعاليل بالتى تجىء مرة بعد أخرى أخذا من العلل كامر وأقوى التفاسير ان البيض اليعاليل الجبال الشديدة البياض لان ماء السحاب يحصل أولا فى الجبال ثم ينصب منها الى الاباطح وحينئذ يكون أصفى لان الجبال مع صفائها صلبة لا ينفصل منها شىء بوقوع المطر عليها قبل نزوله الى الابطح الذى هو مقره بخلاف الاباطح فانها لا تخلو عن تراب ونحوه فلو وقع عليها المطر أولا لربما أثار تربتها الشدة وقعه عليها وحاصل معنى البيت ان الريح ترى ل القذى عن ذلك الابطح أو الماء الذى أخذ منه الماء الممزوج به الراح حتى لم يبق فيه ما يكدره وملأ ذلك الابطح الجبال الشديدة البياض من مطر سحابة جاءت ليلا أو غدوة فاجتمع فيه الصفاء والبرودة والكثرة (قوله أكرم بها الخ) أى ما أكرمها الخ فاكرم فعل تعجب جىء به على صورة فعل الامر ولذلك لا يرفع الظاهر وفاعله هنا الضمير المجرور بالباء الزائدة لاصلاح اللفظ على حد قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا أى ما أسمعهم وما أبصرهم فى ذلك اليوم ثم ان قوله أكرم بها يحتمل المعنيين الاول وهو الاقرب الى مراده شهيدا

شهيدا الا ان زيادة الباء في فاعل كفى غالبة لالازمة بدليل قول سحيم

عميرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

وعن عمر رضى الله عنه انه قال له لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك وزيادة الباء فى فاعل أفعل هذا لازمة لاصلاح اللفظ اذ صار بسببها على صورة قولك فى الامر الحقيقى امرر بزيد وهذا قول جمهور البصريين المذهب الثانى انه محول من الثلاثى الى الامر من غير واسطة بينهما وانه أمر باعتبار الصيغة والمعنى جميعا وان المأمور المخاطب وان الفعل متحمل لضميره وان ذلك الضمير التزم استتاره فى الافراد والتذكير وفر وعهما لانه كلام جرى مجرى المثل وان المتكلم بما أفعله متعجب والمتكلم بافعل به آمر غيره بالتعجب قاله الفراء من الكوفيين والزجاج من البصريين وابن خروف والزمخشرى من المتأخرين والمذهب الثالث انه أمر كما قال هؤلاء ولكن المأمور المصدر الذى دل عليه الفعل فمعنى احسن بزيد احسن يا حسن بزيد أى دم به والزمه وعلى هذا فلا يحتاج الى الاعتذار عن التزام الافراد والتذكير لان المأمور واحد فى جميع الصور وهذا قول ابن كيسان وتبعه ابن الطراوة ونقله أبو عبد الله الفارسى عن الزجاج ونقل القول الذى قبله عن الكوفيين وعلى المذهبين فالباء باء التعدية وهى متعلقة بالفعل قبلها والاسم بعدها فى موضع نصب اما على القول الاول فلا تتعلق بشئ كسائر الحروف الزائدة والاسم بعدها فى موضع رفع (وقوله خلة) منصوب على التمييز والخلة هنا الصديقة ونظيره قول الآخر

ألا قبح الله الوشاة وقولهم * فلانة أضحت خلة لفلان

قالوا ويطلق أيضا على الصديق وأنشدوا

ألا أبلغا خلتى جابرا * بان خليلك لم يقتل

تخطأت النبل احشاءه * فاخر دهرا ولم يعجل

ووجه الاستدلال انه أبدل جابرا من خلتى ولك ان تقول لعله على حذف مضاف أى داخلتى كما فى قوله تعالى ولكن البر من آمن أى ولكن ذا البر والخلة على هذا نفس الصداقة مثلها فى قوله تعالى يوم لا بيع فيه ولا خلة وجمعت هذه على خلال كقلة وقلال ومنه يوم لا بيع فيه ولا خلال وقيل بل هو مصدر خاللته ويرجحه افراد ما قبله والآية التى قبل فيها ولا خلة ويروى فيا لها خلة ويا هذه اما حرف نداء والمنادى محذوف واما حرف تنبيه بمنزلة ألا وعليهما فاللام متعلقة بفعل محذوف والتقدير فيا قوم اعجبوا لها خلة أو ألا اعجبوا لها خلة فان قلت هلا قدرت الضمير منادى دخلت عليه لام التعجب كما فى قوله

فيالك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل

والاصل يا اياك أو يا أنت ثم لما دخلت عليه لام الجر انقلب الضمير المنفصل المنصوب أو المرفوع ضميرا متصلا مخفوضا قلت منع من ذلك ان ضمير الغيبة لا ينادى والمغار بضم الميم وبالمعجمة من قولهم أغرت الحبل اذا أحكمت فتله ويذبل جبل أى كان نجوم هذا الليل شدت بحبال محكمة الفتل الى هذا الجبل فهى لا تسرى ولا تغور ويروى يا ويحها خلة ويا ويلها خلة وقد مضى فى صدر هذا الكتاب شرح كلتى ويح وويل والفرق بينهما ونزيد هنا ان الاصل ويل أمها فحذفت الهمزة لثقلها ابتداء وبالضمة وكونها بعد الضمة مع كثرة الاستعمال ثم حركت اللام بالكسرة لتناسب الكسرة بعدها والياء قبلها وهذا قول البصريين وقيل بل الاصل وى لامها وى بمعنى أعجب ولامها جار ومجرور ثم حذفت الالف للتخفيف ويؤيد قول البصريين قولهم ويلمها وويلمه بضم اللام (وقوله لو انها صدقت موعودها) فيه أربع مسائل * المسئلة الاولى فى لو وهى محتملة لوجهين أحدهما التمنى مثلها فى لو أن لنا كرة والثانى الشرط ويرجح الاول سلامته

ان المراد به كرم الحسب والشرف والارومة أى الاصل والثانى وهو الحق المتبادر الى افهام العامة ان المراد به خلاف البخل وهو الجود فان أريد الاول كان هو الغاية القصوى فى المدح اذ العراقة فى النسب مطلوبة فى المرأة مرغوب فيها خصوصا عند العرب وقد وردت السنة باعتبار ذلك كما يدل له حديث تخيروا لنطفكم وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن المرأة الدنيئة الاصل بقوله واياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء فشبه صلى الله عليه وسلم المرأة الحسناء الدنيئة الاصل بالزرع الحسن النابت فى الروث لان الدواب اذا راثت فى المرعى ينبت الزرع فى موضع الروث تراه حسنا مرتفعا على غيره من الزرع والحديث مصرح بضعفه لتفرد الواقدى به وان كان المعنى صحيحا وان أريد الثانى كان مفيدا للمدح أيضا الا انه دون الاول لان الجود من صفات المدح فى الرجل دون المرأة كذا قيل والحق ان الجود فخر لصاحبه مطلقا رجلا كان أو امرأة وهذا كله على الرواية المشهورة وهى اكرم بها ويروى فيا لها أى فيا قوم اعجبوا لها لكونها اشتملت على حسن الصورة وبديع الجمال وهى مع ذلك مشتملة على سوء العشرة وقلة المواتاة وذلك فى غاية العجب فان حسن الصورة مقرون بحسن الفعال وكرم الاخلاق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الحوائج عند صباح الوجوه فالانسان كما يحتاج لحسن الصورة وكرم الاصل كذلك يحتاج لحسن المعاشرة من الوفاء والصدق ولود ولين الجانب ونحو ذلك اذ لو كان الانسان فى غاية الحسن والجمال وكان سيئ المعاشرة قليل المواتاة لمجته النفوس ونفرت عنه القلوب ولهذا قال صلى الله عليه

وسلم لجرير بن عبد الله وكان جميلا انت امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وقد قال الامام فخر الدين ان حسن الصورة وان كان مرغوبا فيه لكن حسن السيرة افضل منه اذ حسن الصورة انما يبقى اياما وحسن السيرة لا يزول اثره وحسن الصورة ربما ادى بصاحبه الى الوقوع فى المهالك وحسن السيرة يوجب له الملك ٢٦ الا ترى ان حسن الصورة ادى بيوسف عليه السلام الى السجن وما وقع له من المحن وحسن سيرته أوجب له الجلوس على سرير الملك ويروى ايضا او يحها وهى كلمة ترحم تقال لمن وقع فى مهلكة لا يستحقها تأسفا عليه كما فى قوله صلى الله عليه وسلم ويح عمار تقتله الفئة الباغية وقد خرج عمار مع سيدنا على كرم الله وجهه فى قتاله مع معاوية رضى الله عنه فقتلت جماعة معاوية رضى الله عنه عمارا فقال على رضى الله عنه لمعاوية قد بان بغيكم لانكم قتلتم عمارا وقد قال صلى الله عليه وسلم تقتله الفئة الباغية فقال معاوية رضى الله عنه انما قتله من أخرجه رضى الله عنهم أجمعين والغرض هنا التأسف عليها حيث لم تتخلق بالاخلاق المناسبة لبديع منظرها وكرم حسبها بل حادت عن طريق الصدق ومالت الى الاخلاف فقطعت حبال المودة وهدمت مبانى الالفة وكذلك يروى باويلها وهى كلمة عذاب تقال لمن يستحق الهلكة كما فى قوله تعالى وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق وكانه لما اضجره اعراضها واعياه صعوبة اخلاقها هفت منه هفوة فقال يا ويلها لكن لم يقصد بذلك حقيقة الدعاء لان دعاء المحب على المحبوب المطلوب فيه عدم الاجابة كما قيل أدعو عليك وقلبى * يقول يا رب لالا واذا دعا المحب على محبوبه لو بلويل فما عسى يدعو به العدو على عدوه وقوله خلة بضم الخاء وتشديد اللام كما فى السيوطى وغيره وان ضبطه بعض الشراح بكسر الخاء وهو منصوب على التمييز اى من جهة كونها خلة والخلة بالضم صفاء المودة وأطلقها هنا على المحبوبة التى هى سعاد مبالغة ويحتمل انه على تقدير مضاف

من دعوى حذف اذ لا يحتاج حينئذ لتقدير جواب بل سلامته من دعوى كثرة الحذف اذا قيل ان فى الكلام حذف فعل الشرط أو خبر المبتدا كما سيأتى ويرجح الثانى ان الغالب على لو كونها شرطية ثم الجواب المقدر محتمل لان يكون مدلولا عليه بالمعنى أى لو صدقت لتمت خلالها فتكون مثلها فى قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم أى لرأيت أمرا عظيما ولان يكون مدلولا عليه باللفظ أى لكانت كريمة فتكون مثلها فى قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الآية أى لكفروا به بدليل وهم يكفرون بالرحمن والنحويون يقدرون لكان هذا القرآن فتكون كالآية قبلها والذى ذكرته أولى لان الاستدلال باللفظ أظهر ويرجح التقدير الثانى فى البيت بانه استدلال باللفظ وبان فيه ربطا للو بما قبلها لان دليل الجواب جواب فى المعنى حتى ادعى الكوفيون انه جواب فى الصناعة أيضا وانه لا تقدير وقد يقال انه يبعده أمران أحدهما ان فيه استدلالا بالانشاء على الخبر والثانى أن الكرم ان كان المراد به الشرف مثله فى انى ألقى الى كتاب كريم فلا يحسن بحال المحب تعليق كرم محبوبته على شرط ولا سيما شرط معلوم الانتفاء وهو شرط لو وان كان المراد به مقابل البخل لم يكن أكرم بها مناسبا لمقام النسيب بل لمقام الاستعطاء وقد يجاب عن الاول بأمرين أحدهما منع كون التعجب انشاء وانما هو خبر وانما امتنع وصل الموصول بما أفعله لابهامه وبافعل به كذلك مع انه على صيغة الانشاء لا لانه انشاء الثانى ان المراد من الدليل كونه ملوحا بالمعنى المراد وان لم يصلح لان يسد مسد المحذوف ألا ترى الى قول الحماسى

اذن لقام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

اذ المراد ان لان ذو لوثة خشنوا فاستدل بالمفرد على الجملة ومثله مررت بحسن اذا سئل أى اذا سئل أحسن واللوثة بالفتح القوة وعن الثانى ان المراد به ضد البخل وهو أعم من الكرم بالمال والوصال ولو قال قائل لو وفت لى لكانت أكرم الناس أو لكانت فى جود حاتم لم يمتنع ذلك وقد شرحت معنى لو الشرطية فى مقدمة قواعد الاعراب شرحا شافيا فاغنى ذلك عن ذكره هنا * المسئلة الثانية اختلف فى أن وصلتها بعد لو فى مثل هذا البيت وقوله تعالى ولو أنهم صبروا ولو أنهم آمنوا على ثلاثة مذاهب أحدها انها فاعل بفعل محذوف تقديره ثبت والدال عليه أن فانها تعطى معنى الثبوت وهذا قول الكوفيين والزجاج والزمخشرى ويبعده ان الفعل لم يحذف بعد لو وغيرها من أدوات الشرط الا مفسرا بفعل بعده نحو قوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك اذا السماء انشقت واذا الارض مدت قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى وقولهم لو ذات سوار لطمتنى ولا يستثنى من ذلك الا كان بعد ان ولو نحو قوله عليه الصلاة والسلام التمس ولو خاتما من حديد وقولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف والفعل المقرون بلا بعد ان كقوله

فطلقها فلست لها بكفء * والا يعل مفرقك الحسام

أى وان لا تطلقها والثانى انه مبتدا محذوف الخبر وجوبا كما يحذف بعد لولا كذلك نقله ابن هشام عن أكثر البصريين والثالث أنه مبتدا لا خبر له أصلا اكتفاء بجريان المسند والمسند اليه فى الذكر مع الطول نقله ابن عصفور عن البصريين وزعم انه لا يحفظ عنهم غيره والرابع انه يجوز هذا ويجوز كونه فاعلا قاله المبرد * المسئلة الثالثة ذكر الزمخشرى ان خبر أن الواقعة بعد لو انما يكون فعلا ورده ابن الحاجب بقوله تعالى ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام وقال الصواب تقييد الوجوب بما اذا كان الخبر مشتقا ورد ابن مالك على ابن الحاجب بانه قد جاء اسما مع كونه مشتقا كقوله

لوأن حيامدرك الفلاح * أدركه ملاعب الرماح

وقد يجاب بانه ضرورة كقوله * لاتكثرن انى عسيت صائما * والفلاح البقاء والمراد بملاعب الرماح ملاعب الاسنة وهو علم على شخص معروف ولما اضطر الشاعر غيره وهذا الجواب ليس بشئ لان ذلك واقع فى كتاب الله تعالى قال الله تعالى وان يأت الاحزاب يودوا لوأنهم بادون فى الاعراب ولو استحضر هذه الآية ابن مالك لم يعدل عنها الى الاستشهاد بالشعر ولو استحضرها الزمخشرى وابن الحاجب لم يقولا ما قالاه وقد اشتمل بيت كعب رحمه الله على الاخبار بالفعل فى قوله صدقت و بالاسم فى قوله مقبول * المسئلة الرابعة يحتمل قوله موعودها ثلاثة أوجه أحدها أن يكون اسم مفعول على ظاهره ويكون المراد به الشخص الموعود والثانى أن يكون كذلك و يكون المراد به الشئ الموعود به والثالث أن يكون مصدرا على رأى أبى الحسن فى ان المصدر يأتى على زنة مفعول كالمعسور والميسور فى قولهم دعه من معسوره الى ميسوره أى من عسره الى يسره وحمل عليه قوله تعالى بأيكم المفتون أى بأيكم الفتنة وقيل بل المفتون اسم مفعول وأيكم مبتدأ والباء فيه زائدة والمعنى أيكم الشخص المفتون فان قدرته اسما للشخص فانتصابه على المفعولية على وجه الكلام وحقيقته وان قدرته اسما للموعود به احتمل ان يكون مفعولا به على المجاز وكانها وعدت ذلك الشئ ان تفى به وان يكون على اسقاط فى توسعا كما فى قولهم فى المثل صدقنى سن بكره ويحتاج حينئذ الى تقدير مفعول حقيقى أى لو صدقتنى فى الذى وعدت به وان قدرته مصدرا كان على التوسع أى فى وعدها (قوله أولو أن النصح مقبول) فيه أربع مسائل أحدها انه قد يتمسك به من يرى ان أو تأتى بمعنى الواو و يدعى انه ليس مراده ان يقع أحد الامرين بل ان يقعا جميعا وهذا قول أبى الحسن والجرمى وجماعة من الكوفيين وجعلوا منه قوله تعالى الى مائة ألف أو يزيدون وقول الشاعر

قد زعمت ليلى بانى فاجر * لنفسى تقاها أو عليها فجورها

واستدل ابن مالك بقول الآخر

جاء الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر

ولعل الاستدلال ببيت كعب أظهر لان أو فى الآية الكريمة محتملة للابهام والشك مصروفا الى المخاطبين أى لو رأيتموهم لشككتم فى عدتهم فقلتم مائة ألف أو يزيدون وللاضراب عند من أثبته لا و كل ذلك مقول فى الآية واما البيت الاول فمعناه لنفسى تقاها ان كنت متقيا أو عليها فجورها ان كنت فاجرا ففيه لاحد الشيئين وليست بمعنى الواو واما البيت الثانى فالذى وقفت عليه فى انشاده فى كتب الشعر والادب اذ كانت فلعل الذال تصحفت بالواو وهو تصحيف قريب * المسئلة الثانية زعم الخليل أنه لا يجوز الجمع بين نحو يسوء و يسى فى قافيتين وان جاز جمع يعود و يعيد واحتج باختلاف الروى اذا خفف الهمز اذ يصيران واوا و ياء وخالفه أبو الحسن محتجا بان الشاعر اذا بنى القصيدة على التحقيق أمن الاختلاف واستدل أبو الفتح لابى الحسن بقول الحماسى لكل اناس مقبر بفنائهم * وهم ينقصون والقبور تزيد

وما ان يزال رسم دار قد اخلقت * وعهد لميت بالفناء جديد

وذلك ان الشاعر بناه على تخفيف همز اخلقت ولولا ذلك لانكسر الوزن واذا جاز بناء الشعر على التخفيف

أى ذات خلة فتكون الخلة بمعنى الصداقة كما فى قوله تعالى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وقوله لو أنها صدقت موعودها أى اتمنى انها صدقت موعودها فلو للتمنى كما هو الاقرب لاستغنائه عن التقدير اذ لا جواب لها فهذه جملة مستانفة لانشاء التمنى غير معلق عليها ما قبلها فيكون كعب رضى الله عنه أحب صدقها موعودها وتمناه فان قيل قضية تمنى ذلك ان صدقها موعودها ممتنع وهو فى غاية الذم وذلك مناف لمدحه اياها أولا أجيب بان عدم الصدق فى أمور الحب والعشق غير مذموم عندهم لانه يرجع للخفر والدلال فان المحبوب لو صدق فى كل شئ لم يكن محبوبا بل خادما ويحتمل انها شرطية وجوابها محذوف يدل عليه ما قبلها او يكون قد علق الامر على صدقها موعودها فعلى رواية أكرم بها يكون كرمها معلقا على صدقها موعودها وهذا لا بلاغة فيه بخلافه على جعلها للتمنى فان كرمها ثابت فى كل حال وفيه غاية المدح وعلى رواية فيالها أو يا ويحها أو يا ويلها يكون التقدير لو أنها صدقت موعودها لكملت خلالها أو لكان خيرا لها واختلف فى أن وصلتها بعد لو فى مثل ذلك فقيل فاعل بفعل محذوف والتقدير هنا لو ثبت انها صدقت موعودها ونقل عن أكثر البصريين أنه مبتدأ محذوف الخبر وجوبا كما حذف كذلك بعد لولا والتقدير هنا لو صدقها موعودها موجود وقال بعضهم انه مبتدأ لا خبر له اكتفاء بجريان المسند والمسند اليه فى الصورة وموعودها يحتمل ثلاثة أوجه الاول ان يراد به الشخص الموعود فيكون المعنى لو أنها صدقت الشخص الذى وعدته الثانى ان يراد به الشئ الموعود به فيكون المعنى لو أنها صدقت فى الشئ الذى وعدته به وعلى هذين الاحتمالين فهو اسم مفعول الثالث ان يراد به الوعد فيكون مصدرا على رأى أبى الحسن ان المصدر يأتى على زنة مفعول كالمعسور والميسور فان قيل ما المراد بالوعد الذى وعدته ولم تصدق فيه أجيب بانه وعد يتعلق بالوصل والمودة وحسن العشرة على انه قد تقدم ان محبتهم مصونة عن الخيانة بعيدة عن الريبة وقد حكى ان عزة دخلت على أم البنين بنت عمر بن عبد العزيز فقالت لها ما معنى قول كثير * قضى كل ذى دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها وما كان هذا الدين فقالت

فبناؤه على التحقيق أولى لانه الاصل و بيت كعب نظير بيت الحماسى وأغرب من الاحتياط الذى ذكره الخليل رحمه الله فى القوافى ما قاله أبو محمد بن الخشاب رحمه الله من انه لا يجوز أن تكون القوافى المقيدة لو أطلقت لاختلف اعرابها واعترض على أبى القاسم الحريرى فى قوله فى المقامة التاسعة والعشرين

ياصارفاً عنى المودة * والزمان له صروف
ومعنفى فى نصح من * جاورت تعنيف العسوف
لا تلحنى فيما أتيت فاننى بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم * أرهم يراعون الضيوف
و بلوتهم فوجدتهم * لما سبكتهم زيوف

الا ترى انها اذا أطلقت ظهر الاول والثالث مرفوعين والرابع والخامس منصوبين والثانى مجرورا وكذا باقى القصيدة واعلم ان أشعارهم ناطقة بالفاء هذا الذى اعتبره ابن الخشاب بل قالوا فى الاسجاع مع انها أوسع مجالا من القوافى ان مبناها على سكون الاعجاز كقولهم ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت فانهما لو حركا لاختلفا ومن مجىء ذلك فى الشعر قول امرئ القيس

اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة * معتقة مما تجىء به التجر

(ثم قال)

اذا قامتا يضوع المسك منهما * برائحة مثل اللطيمة والقطر

قوله طعم يروى مرفوعا بتقدير هذا طعم ومنصوبا بتقدير ذقت والتجر جمع تجار ككتب وكتاب وتجار جمع تجر كصحاب وصحب والتجر اسم جمع تاجر عند سيبويه وجمع له عند أبى الحسن فالتجر بضمتين عنده هو جمع جمع الجمع عنده وعند سيبويه جمع جمع اسم الجمع واللطيمة العير التى تحمل المسك والقطر العود * المسئلة الثالثة الالف واللام فى النصح خلف عن الضمير والاصل أولوان نصحها على اضافة المصدر الى المفعول ومنه قوله تعالى رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا أى واشتعل رأسى شيبا وقوله تعالى فان الجنة هى المأوى أى مأواه وقول العرب مررت بالرجل الحسن الوجه برفع الوجه أى وجهه سواء قدر فاعلا كما يقول الجمهور أو بدل بعض من ضمير مستتر فى الوصف كما يقول أبو على ذكره فى قوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب وهو تكلف خلاف الظاهر وليس بمتأت فى مثل مررت بالرجل الكريم الاب ولا مخلص من دعوى تقدير الضمير أو كون أل نائبة عنه لان الصفة كما تفتقر الى ضمير يربطها بالموصوف كذلك بدل البعض يفتقر الى ضمير يربطه بالمبدل منه ونيابة أل عن الضمير قال بها الكوفيون و بعض البصريين وهذا ظاهر مذهب سيبويه لقوله فى ضرب زيد البطن والظهر فيمن رفع ان المعنى ظهره و بطنه ولم يقل الظهر منه والبطن منه كما يقول أكثر البصريين ومن حجتهم قول طرفة بن العبد

رحيب قطاب الجيب منها دقيقة * بجس الندامى بضة المتجرد

فجمع بين أل والضمير فدل على انها ليست عوضا عنه والجواب ان أل هنا لمجرد التعريف مثلها فى الرجل لا للتعريف والتعويض مثلها فى فان الجنة هى المأوى كما أن الهاء فى وجهة لمجرد التأنيث مثلها فى مسلمة لا للتأنيث والتعويض مثلها فى عدة وأيضا فقد يجتمع العوض والمعوض منه فى الضرورة كقوله
* أقول يا اللهم يا اللهما * وقوله * هما نفثا فى فى من فمويهما * والرحيب الواسع والقطاب مجتمع الجيب ومنه قطب بين عينيه اذا جمع وجاؤنى قاطبة أى جميعا يقول ان عنقها واسع بدليل اتساع مجتمع جيبها والبضة البيضاء الرخصة والمتجرد بفتح الراء الجسد * (تنبيه) * نيابة أل عن الضمير فى نحو حسن الوجه من

وعدته بقبلة ومطلته بها فقالت انجز بها له وعلى اثمها ففعلت وكانت أم البنين صالحة فاعتقت أربعين عبدا عند الكعبة وقالت اللهم انى أبرأ اليك مما قلته لعزة وقوله أولوان النصح مقبول يقرأ بنقل حركة الهمزة للواو قبلها وحذف الهمزة للوزن ولما أشار الى عدم وفائها بالوعد اتبع ذلك بوصفها بعدم قبول النصح وأو حرف عطف وهى بمعنى الواو لانه يتمنى كلا من الصدق فى الوعد وقبول النصح لا أحدهما على جعل لو للتمنى وكرمها معلق على كل منهما لا على أحدهما فقط على جعلها شرطية وفى أن ومدخولها ما تقدم من الاقوال الثلاثة فى التى قبلها والنصح بضم النون خلاف الغش وهو ارادة الخير للمنصوح والمراد نصحى اياها والمقبول خلاف المردود وكلامه محتمل لان يكون مراده النصح فيما يتعلق بخاصتها وهو نهيها عن الحالات الذميمة من الكذب واخلاف الوعد والملال الى غير ذلك مما تضمنته الابيات السابقة واللاحقة مع انه وصفها فى صدر القصيدة بالجلالة والجمال والخفر وهى لا يليق بصاحبها معاطاة ذميم الخلال لانه قل ما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة وان يكون مراده النصح فيما يتعلق به ويرجع نفعه فى الحقيقة اليه وهو ترك الهجر والمطل والوفاء بما وعدته به من الوصل ووجه كون ذلك نصحا لها ان المرء مجازى بفعله والظلوم منصور فربما رماها الدهر الى من يوقعها فى حبالة الحب فيأخذ منها بثاره كما قيل

قلت لمحبوبى وقد مربى * محبوبه كالقمر السارى هذا الذى يأخذ لى طرفه * من طرفك الوسنان بالثار حيث
واذا وصلته أبقت عليه روحه فغازت بأجره كما قيل فديت من ترحم عاشقها * وراحم العشاق مأجور بل ربما حمله الحب على تعويض

النصح من جانبها لحصول الاجر لها مع اعراضه عن حال نفسه فى الوصل كما قيل   وماطلبى للوصل حرصا على اللقا * ولكنه أجر اليك أسوقه
وحاصل معنى البيت انها كريمة من جهة كونها صديقة ولو أنها صدقت فى الوعد وقبلت النصح لكانت على اتم الخلال وأكمل الاحوال (قوله لكنها خلة الخ) لما أشار فى البيت الذى تقدم الى اتصافها بصفتين وهما عدم صدق الوعد وعدم قبول النصح أشار فى هذا البيت الى انها اشتملت على أربع خصال مستلزمة لما فى البيت الذى قبله وزيادة فلكن هنا لتأكيد مفهوم ماقبلها مع زيادة عليه والضمير فى لكنها يعود على المحبوبة التى هى سعاد وخلة بمعنى صديقة وخليلة كما تقدم وقد حرف تحقيق مع الماضى كما هنا وقوله سيط بكسر السين المهملة أو الشين المعجمة معناه خلط يقال ساطه اذا خلطه بغيره حتى صارا شيأ واحدا ومنه قيل للآلة التى يضرب بها سوط لانها تسوط اللحم بالدم أى تخلطه به ومن دمها جار ومجرور متعلق بسيط ومن بمعنى الباء أو فى فالمعنى قد خلط بدمها أو فيه هذه الخلال الاربع وهذا كناية عن كونها صارت لها خلقا طبيعيا لاتنفك عنه والدم أحد الاخلاط الاربعة التى بها قوام البدن وهى الدم والبلغم والصفراء والسوداء وقوله فجع نائب فاعل سيط والفجع بفتح الفاء وسكون الجيم وبالعين المهملة الاصابة بالمكروه لانه مصدر فجعه اذا أصابه بمكروه وهو يحتمل لامور منها الهجر ومايتبعه من مقاساة الآلام ومكابدة الاهوال ومعالجة الاسقام فالهجر يذيب القلوب ويشيب الرؤس ولله در القائل
ألا فاعجبوا من فعلها بحبيبها * ولاتعجبوا من لى ومشيبها
فان هجرتنى شيبتنى بهجرها * وان واصلتنى شيبتنى بطيبها ومنها ماياقاه منها من الحيف والاساءة وما أحسن قول القائل وأكثر افعال الغوانى اساءة * وأكثر ماتلقى الامانى كواذبا وقد قيل من العناية ان تحب ويعك من تحب ومن الشقاوة ان تحب ولايحبك من تحب ومنها ماينا له من العذال كاللوم والتوبيخ كما قال ابن بسام لقد صبرت على المكروه أسمعه * من معشر فيك لولا أنت ماانطقوا * وفيك داريت قوما لا خلاق لهم * لولاك ماكنت أدرى انهم خلقوا وقوله وولع عطف على فجع والولع بسكون اللام والولعان بفتحها الكذب ففى القاموس ولع كوضع

حيث هو ضمير لا من حيث هو مضاف اليه ور بما توهم من كلامهم الثانى وقد استحسن ذلك الزمخشرى حتى جوز نيابتها عن المضاف اليه المظهر فقال فى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها أن الاصل أسماء المسميات ولا أعلم أحدا قال بهذا قبله والمشهور فى الآية الكريمة قولان أحدهما ان الاصل مسميات الاسماء ثم حذف المضاف وعاد الضمير من ثم عرضهم عليه كما عاد على المضاف المحذوف فى قوله تعالى أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج الاصل أو كذى ظلمات يغشاه الثانى ان الاسماء أريد بها المسميات فلا حذف البتة * المسئلة الرابعة انه أخبر عن اسم ان بعد لو بالمفرد وقد مضى ذلك مشروحا قال

*(لكنها خلة قد سيط من دمها * فجع وولع واخلاف وتبديل)*

(قوله لكنها خلة البيت) موقع لكن ومابعدها مما قبلها كموقعها فى قولك لو كان عالما لاكرمته لكنه ليس بعالم ولاصالح فى ان مابعدها توكيد لمفهوم ماقبلها مع زيادة عليه (وقوله قد سيط الى آخره) جملة فى موضع الرفع صفة لخلة ولولاهى لم تحصل الفائدة ونظيرها الجملة التى بعد قوم فى قوله تعالى بل أنتم قوم تجهلون بل أنتم قوم عادون وعلم بذلك ان الفائدة كما تحصل من الخبر كذلك تحصل من صفته وهذا يشكل على أبى على فى مسئلة وذلك انه حكى عن أبى الحسن رحمه الله انه امتنع من اجازة أحق الناس بمال أبيه ابنه لانه ليس فى الخبر الا مافى المبتدا ثم قال فان قلت أحق الناس بمال أبيه ابنه البار به أو النافع له أو نحو ذلك كانت المسئلة على فسادها أيضا لان الخبر نفسه غير مفيد ولا ينفعه مجىء الصفة من بعده لان وضع الخبر على تناول الفائدة منه لامن غيره حكى ذلك عنه عبد المنعم الاسكندرى فى كتاب التحفة ونظير تصحيح الصفة للخبرية تصحيحها للابتدائية فى قوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك وتصحيحها لدخول الفاء فى الخبر فى قوله تعالى قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ومن هنا أجاز يونس فى الندبة وازيد الطويلاه تنزيلا للصفة والموصوف منزلة الشئ الواحد ويشهد له قول بعض العرب واجمجمتى الشاميتيناه واذا جاز للحال ان تحصل به الفائدة المقصودة من الكلام كما فى قوله تعالى فمالهم عن التذكرة معرضين فما للذين كفروا قبلك مهطعين اذ السؤال انما هو فى المعنى عن الحال فجواز ذلك فى الصفة أجدر وعلى مسئلة الحال يتخرج قول الحسن البصرى كانك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل وذلك بان تقدر الظرف خبرا والجملة المنفية حالا ويؤيده انها رويت مقرونة بلوا وفانتفى ان تكون خبرا وعلى ذلك قولهم كانك بالشمس وقد طلعت وقول الحريرى

كانى بك تنحط * الى القبر وتضغط * وقد أسلمك الرهط
* الى أضيق من سم *

أى كانى بك منحطا وأما قول المطرزى ان الاصل كانى أبصرك ثم حذف الفعل ففيه حذف فعل وزيادة حرف (وقوله قد سيط) من ساط الماء وغيره يسوطه سوطا اذا خلطه بغيره وضربهما حتى اختلطا ومنه قيل للآلة التى يضرب بها سوط لانه يسوط اللحم بالدم ويجوز ان يقرأ قد شيط بالشين المعجمة لانه يقال شاطه بمعنى ساطه وقد روى بيت المتلمس بالوجهين وهو

احارث انا لو تساط دماؤنا * تزايلن حتى لايمس دم دما

قوله تزايلن البيت جار على ماتزعمه العرب من ان دم المتباغضين لايختلط ولهذا قال

وأعاوولعانا بفتح اللام كذب اه وهو يحتمل لامور منها الكذب فى اخفاء محبته واظهار كراهته وتقاصيها عن وصله كما قال بعضهم
من منصفى من قناة قد علقت بها * ٣٠ أضحت بمازجها وصل وهجران تبدى صدودا وتخفى تحته شغفا * فالنفس راضية والطرف غضبان

ومنها كذبها فى دعوى العوائق عن الوصل واقامة الحجج المانعة منه كما قال بعضهم

تقيم معاذيرا وتزعم صدقها *
وتطمع آمالى بها فاألين
وتحلف لو تسطاع جادت بوصلها
وليس لمخضوب البنان يمين

وقوله واخلاف عطف على فجع أيضا والاخلاف بكسر الهمزة وسكون الخاء وبالفاء فى آخره خلاف الوفاء والمراد هنا اخلاف الوعد بدليل قوله فى البيت الذى قبل هذا وأنها صدقت موعودها فتعده وتمنيه وتمطله ولا تفيه وقوله وتبديل عطف على فجع مثل ماقبله وهو تبديل شئ بغيره والمراد به هنا تبديل خليل بخليل فلا تبقى على خليل بل تصاحب هذا مرة وهذا أخرى للالها من الصحبة فكلما خالت خليلا ملته وانتقلت عنه الى آخر كما أشار اليه العباس بن الاحنف بقوله

ياقوم لم أهجركم لملالة
منى ولا لمقال واش حاسد
لكننى جربتكم فوجدتكم
* لاتصبرون على طعام واحد

ثم انه يحتمل ان يكون ذلك حقيقة ويحتمل أن يكون خيالا منه قد خيلته الغيرة فى نفسه من شدة الحب كما قال القائل

وانى لارجو أن تدوم لعهدها * ولكن سوء الظن من شدة الحب (وحاصل معنى البيت) ان هذه المحبوبة التى ابتلى بحبها قد امتزج بدمها وصار طبعا لها لاتنفك عنه الاصابة بالمكر وهو الكذب واخلاف الوعد والملال على ماتقدم بيانه والثانى

فلواناعلى حجر ذبحنا * جرى الدميان بالخبر اليقين

ولما الحظوة بين المتباغضين من تباعدهما وتزايل دمائهما سموهما خصمين لان كل واحد منهما فى خصم والخصم بالضم الجانب والناحية وقال الزمخشرى أتانى آت فى النوم فقال مم اشتق اسم العدو فقلت من العدوة لان كلا من المتعادين فى عدوة واشتقه غيره من عدا يعدو لان كلا منهما يعدو على الآخر والعدوة شط الوادى وأولها مثلث ويقال أيضا عدية بقلب الواو ياء للكسرة ولم يعتد بالدال لسكونها ونظيره صبية وقد قرئ بالاوجه الاربعة ويجوز فى أول سيط وشيط ونحوهما من فعل المفعول الثلاثى المعل العين اخلاص الكسر وهو لغة قريش ومن جاورهم واشمام الكسر الضم وهو لغة كثير من قيس وأكثر بنى أسد واخلاص الضم وهو لغة بعض تميم وجميع فقعس ودبير وهما من فصحاء بنى أسد ونظير بيت المتلمس فى روايته بالسين والشين بيت ابن دريد

ارمق العيش على برض فان * رمت ارتشافا رمت صعب المنتسا

فمن رواه بالمهملة فهو من قولهم نسأ الله فى أجلك أى أخر والالف على هذا مبدلة عن الهمز والمعنى اعطى من العيش مايسد رمقى أى بقية نفسى فان قصدت مص الشئ رمت المستبعد الصعب وفيه تقدم الصفة واضافتها الى الموصوف كقولهم أخلاق ثياب ومن رواه بالمعجمة فمعناه استقصاء الشرب بالمشافر وبيت عمرو بن اذينة

لقد علمت وما الاشراف من خلقى * ان الذى هو رزقى سوف يأتينى

وهو بالمعجمة أظهر ومعناه التطلع الى الشئ وبعده

اسعى اليه فيعيينى تطلبه * ولوقعدت أتانى لا يعنينى

ولهذا الشعر حكاية حسنة وهى ان قائله وفد على هشام بن عبد الملك فى جماعة من الشعراء فقال له ألست القائل وأنشده البيتين قال نعم قال فما بالك قد جئت من الحجاز الى الشام فى طلب الرزق فقال له لقد وعظت يا أمير المؤمنين وأذكرتنى ما أنسانيه الدهر ثم خرج من فوره فركب راحلته وتيمم الحجاز ومكث هشام يومه مشتغلا عنه فلما جاء الليل ودخل الى فراشه ذكره فقال رجل من قريش قال حكمة فرددته ثم هو شاعر ولا آمن لسانه فلما أصبح جهز مولى له الى الحجاز وأعطاه مائتى دينار فلم يدركه حتى دخل بيته فلما دفعها اليه قال له أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له كيف رأيت البيتين سعيت فأكديت ورجعت الى بيتى فأتانى رزقى ومن ذلك قول الآخر

أعلمه الرماية كل يوم * فلما استد ساعده رمانى
وكم علمته نظم القوافى * فلما قال قافية هجانى

الرواية الجيدة استد بالمهملة من السداد وهو الصواب ومن أعجمها ذهب به الى معنى الاشتداد والقوة ومن ذلك قولهم سمت العاطس وشمته فمن أهملها فمعناه دعا له بالبقاء على سمته ومن أعجمها فمعناه دعا له بان يسلب عنه شامتوه أى أن لايصيبه شئ فيشمت به عدو وقد فسرنا بغير ماذكرناه وليس بمناسب وكذلك قولهم الشطرنج يروى بالمهملة لانه يجعل أسطرا وبالمعجمة لان اللاعبين يقتسمان القطع شطرين والشطر النصف قال عنترة ابن شداد العبسى

انى امرؤ من خير عبس منصبا * شطرى وأحمى سائرى بالمنصل

وذلك لان أباه عربى وأمه أمة فشطره من جهة أبيه يفاخر به الناس وشطره من جهة أمه يحامى عنه بالمنصل وهو السيف وفى البيت استعمال سائر بمعنى الباقى لابمعنى الجميع ولا أعلم أحدا من أئمة اللغة ذكر أنها بمعنى الجميع الاصاحب الصحاح وهو وهم (وقوله من دمها) أى فى دمها كقوله تعالى أرونى ماذا خلقوا من الارض اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة واختلف فى وزن دم فقال سيبويه وأصحابه فعل بالاسكان واحتجوا بامرين أحدهما جمعه على دماء ودمى كما جمع نحو ظبى ودلو على ذلك ولو كان مثل عصا وقفا لم يجمع عليهما

والثانى ان الحركة زيادة فلا تدعى الا بدليل وقال المبرد فعل بالتحريك بدليلين أحدهما ان فعله دمى يدمى كفرح يفرح فاصل الدم دمى كفرح قال أبو بكر وليس قوله بشئ لان كلا منا فى الدم الذى هو جوهر لا فى الدم الذى هو حدث والثانى انهم لما رجعوا اليه لامه قلبوها ألفا كقوله

غفلت ثم أتت تطلبه * فاذا هى بعظام ودما

ولو كانت العين ساكنة لصحت اللام كما فى ظبى وغزو وقال أبو الفتح والجواب عن هذا ان المراد اما المصدر على حذف مضاف أى دمى دما واما الجوهر ولكنه رد اللام وأبقى العين متحركة كما كانت قبل الرد فلت ويؤيد الثانى قوله قد أقسموا لا يمنحونك نفعهم * حتى تمد اليهم كف اليدا

واليد فعل بالاسكان عند المبرد وغيره من البصريين بل ذكر الجوهرى انه متفق عليه وليس كذلك بل قال الكوفيون انها فعل بالتحريك واختاره ابن طاهر فان قلت فكيف قال الآخر * ان مع اليوم أخاه غدوا * قلت يجب ان يدعى انه نطق بالكلمة على أصلها ولم يقدر انه رد اللام بعد حذفها وانما وجب هذا التقدير للجمع بين الادلة (قوله فجع) هو مصدر فجعه اذا أصابه بمكروه والفجيعة ما أو جع من المصائب (قوله وولع) هو مصدر ولع بالفتح اذا كذب وانما قالوا واع والع على المجاز الاسنادى كما قالوا عجب عاجب وجمع لوالع والعة ككاذب وكذبة والولعان بالتحريك بمعنى الولع بالاسكان قال * وهن من الاخلاف والولعان * أى من أهل الاخلاف أو قدر انهن خلقن من هذين الوصفين على المبالغة فى وصفهن بهما ومثله خلق الانسان من عجل ويؤيده ان بعده فلا تستعجلون وقيل العجل الطين بلغة حمير وأنشد * والنخل تنبت بين الماء والعجل * وليس يثبت عند علماء اللغة (قوله واخلاف وتبديل) مصدر اخلف وبدل ومعنى البيت ان هذه المرأة قد خلط بدمها الافجاع بالمكر وهو الكذب فى الخبر والاخلاف فى الوعد وتبديل خليل بآخر وصار ذلك سجية لها لا طمع فى زواله عنها قال

*(فما تدوم على حال تكون بها * كما تلون فى أثوابها الغول

(قوله فما تدوم) الفاء للسببية أى فلما جبلت عليه من الاخلاف والتبديل لا تدوم على حال وتدوم تامة لا ناقصة لان ما المتقدمة عليها نافية لا ظرفية ولانها بلفظ المضارع والناقصة جامدة على لفظ المضى على الصحيح (وقوله على حال) متعلق بتدوم أو حال والحال ما الانسان عليه من خير أو شر وتأنيثها كما جاء فى البيت أكثر من تذكيرها والتذكير لغة الحجازيين والجمع أحوال كمال وأموال وربما قالوا احولة حكاه اللحيانى وقد يقال حالة قال الفرزدق على حالة لو ان فى القوم حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم

هذا المشهور فى رواية هذا البيت ورواه المبرد فى الكامل على ساعة وحاتم فى البيت مخفوض بدلا من الهاء من جوده ولم يجعل الجوهرى الحال والحالة بمعنى بل جعلهما من باب تمرة وتمر وهو غريب وقد يقال فى الحالة آلة بالهمزة مكان الحاء قال الراجز

قد أركب الآلة بعد الآله * وأترك العاجز بالجداله

ورواه بعضهم قد أركب الحالة بعد الحالة والجدالة بالفتح الارض يقال طعنه فجدله أى رماه الى الارض (وقوله تكون بها) فى موضع خفض صفة لحال رابطها الضمير المجرور ويحتمل قوله تكون التمام والنقصان فالظرف متعلق بها أو بالاستقرار ويجوز على وجه التمام كون الظرف حالا فيتعلق بالاستقرار كما فى وجه النقصان والباء للالصاق مثلها فى قولك بزيد داء أو بمعنى على مثلها فى قوله تعالى ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار الآية أو بمعنى فى مثلها فى قوله تعالى حتى توارت بالحجاب ويحتمل باء الحجاب والسببية (وقوله كما) الكاف وما حرفان جار ومصدرى خلافا لابن مضاء فى زعمه ان الكاف اسم أبدا لانها بمعنى مثل وللاخفش فى اجازته كونها اسما وان لم يدخل عليها عامل من عوامل الاسماء وله ولابن السراج فى اسمية ما المصدرية وترد كما فى العربية على خمسة أوجه أحدها ما ذكرنا من كون الكاف جارة وما مصدرية وهى وصلتها فى موضع

(قوله فما تدوم على حال الخ) أى فبسبب ما جبلت عليه من الاخلاف والتبديل لا تستمر على حال بل تتغير من حال الى حال فتارة تصل وتارة تقطع وتارة ترضى وتارة تغضب وتارة تود وتارة تجفو وتارة ترغب فى خليل وتارة ترغب عنه فظهر من ذلك ان الفاء للسببية وما نافية وتدوم تامة وفاعلها ضمير يعود على خلة وعلى حال متعلق بتدوم والحال ما عليه الانسان من خير أو شر وتذكر وتؤنث وتذكير لفظها أفصح من تأنيثه وتأنيث وصفها أو ضميرها أفصح من تذكيره وقد جرى الناظم على الافصح فيهما حيث قال على حال ولم يقل على حالة وقال تكون بها ولم يقل تكون به وجملة تكون بها فى محل جر صفة لحال والضمير المستتر فى تكون عائد على الخلة فقد جرت الصفة على غير من هى له فكان عليه ابراز الضمير أى تكون هى متلبسة بها فالباء للملابسة ويحتمل أن تكون بمعنى على أى تكون عليها وقوله كما تلون فى أثوابها الغول صفة مصدر محذوف دل عليه ما قبله اذ الذى لا يدوم على حال يكون متلونا فكأنه قال انها تتلون لونا كما تتلون فى أثوابها الغول فالكاف مع مدخولها صفة لذلك المصدر المحذوف وما مصدرية وتلون فعل مضارع فأصله تتلون حذفت احدى تائيه للتخفيف وفى أثوابها جار ومجرور حال من الغول مقدمة عليه والغول فاعل للفعل قبله والتقدير كما تتلون الغول حال كونها فى أثوابها فالهاء من أثوابها عائدة على الغول لكونه وان كان متأخرا لفظا متقدما رتبة واعلم ان العرب

جر الثاني ان تكون الكاف جارة وما موصولا اسميا وقد أجيز ذلك في قوله تعالى قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة فقيل التقدير كالذي هو آلهة لهم الثالث ان تكون الكاف جارة وما زائدة غير لازمة كقوله

وننصر مولانا ونعلم انه * كما الناس مجروم عليه وجارم

الرابع ان تكون كذلك الا ان زيادة ما لازمة وذلك في نحو قولهم هذا حق كما انك ههنا قال سيبويه رحمه الله زعم الخليل ان ما لغو الا انهم لا تحذف كراهة ان يجيء لفظها كلفظ كان الخامس ان تكون ما كافة للكاف عن عمل الجر كقوله

أخ ماجد لم يخزني يوم مشهد * كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

وقد خرج عليه الآية الزمخشري وغيره ومن جوز وصل ما المصدرية بالجمل الاسمية ادعى ذلك هنا وأبطل هذا القسم (وقوله تلون) أصله تتلون فحذفت التاء الثانية للتخفيف وقال هشام الكوفي المحذوف الاولى وهو بعيد لان حرف المضارعة حرف معنى ولان الثقل انما حصل بالثانية قيل ولان الثانية قد ثبت لها التغيير في مثل تذكرون بالادغام ويرده ان الاولى ثبت فيها ذلك أيضا كما في قراءة البزي ولا تيمموا (وقوله تلون في أثوابها الغول) صلة لما وما وصلتها في موضع جر بالكاف والكاف ومجرورها في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف دل عليه ما قبله لان الذي لا يدوم على حالة متلون فكأنه قال تتلون تلونا كما تتلون الغول وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس كتشبيه العلم بالنور والهاء من أثوابها عائدة على متأخر لفظا متقدم رتبة ونية معا كالهاء من قوله تعالى فأوجس في نفسه خيفة موسى ويستفاد من قوله تلون وقوله في أثوابها تأنيث الغول كما استفيد من قوله بها تأنيث الخال والغول بالضم كل شيء اغتال الانسان فاهلكه والمراد هنا الواحدة من السعالى وهي اناث الشياطين سميت بذلك لانها فيما زعموا اتعتا لهم أو لانها تتلون كل وقت من قولهم تغولت على البلاد اذا اختلفت والعرب أمور تزعمها لا حقيقة لها منها ان الغول تتراءى لهم في الفلوات وتتلون لهم وتضلهم عن الطريق ومنها الهديل زعموا انه فرخ كان على عهد نوح عليه السلام فصاده بعض الجوارح وان جميع الحمام يبكيه الى يوم القيامة قال يذكرنيك حنين العجول * وصوت الحمامة تدعو هديلا العجول بالفتح الفاقدة لولدها من الابل * ومنها الصفر زعموا انه حية في جوف الانسان تعض عند الجوع شراسيفه وهي أطراف الاضلاع التي تشرف على البطن قال أعشى باهلة

لا يتأرى لما في القدر يرقبه * ولا يعض على شرسوفه الصفر

يقال تأرى بالمكان اذا أقام به أي لا يحبس نفسه لادراك الطعام القدر ليأكله ومنها الهامة زعموا انها طائر يخرج من رأس المقتول فيصيح اسقوني فاني عطشان الى ان يؤخذ بثاره قال

ياعمرو ان لا تدع شتمي ومنقصتي * اضربك حتى تقول الهامة اسقوني

* ومنها النوء وهو أن يسقط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين من المغرب مع طلوع الفجر ويطلع في تلك الساعة آخر يقابله من المشرق فيأتي المطر وأمور أخر من الخرافات لا حقيقة لشيء منها وفي الحديث لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر وفي حديث آخر لا طيرة ولا نوء ولا غول رواهما مسلم وقال بعض الشعراء

الجود والغول والعنقاء ثالثة * اسماء أشياء لم تخلق ولم تكن

ويجمع الغول على غيلان وعلى أغوال قال

أيقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كانياب أغوال

وليس بذي رمح فيطعنني به * وليس بذي سيف وليس بنبال

قوله والمشرفي مضاجعي حال من المفعول وقوله وليس بذي رمح حال من الفاعل والواوان واوا الحال اذ لا يعطف حال على أخرى مخالفة لها في صاحبها فلا يقال لقيته مصعدا ومنحدرا ورابط كل من الجملتين بصاحبها الواو والضمير والمشرفي بفتح الميم السيف منسوب الى المشارف قرى من أرض العرب يجود فيها طبع السيوف والزرق النصال وصفها بالزرقة لخضرتها وصقالتها واستوفى في البيت الثاني ذكر المشهور من آلات القتل

تزعم ان الغول ترى في الفلاة بالوان شتى فتأخذ جانبا عن الطريق فيتبعها من يراها ظنا انها على طريق فيضل عن الطريق فيهلك ور بما قالوا انها تعترضهم في الطرقات فتحار بهم وقد اختلف اهل لها وجود حقيقة أوهي من خرافات العرب فذهب قوم الى الاول محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم اذا تغولت الغيلان فبادروا بالاذان وفي حديث أبي أيوب كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تجيء فتأخذ هاو عليه فهي نوع من الشياطين سميت بذلك لاغتيالها الشخص وكل شيء اغتال الانسان فهو غول وذهب آخرون الى الثاني محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم كما ثبت في صحيح مسلم لا طيرة ولا نوء ولا غول فنفى صلى الله عليه وسلم الغول كما نفى الطيرة ووقوع المطر بنوء الكواكب فهي من الامور المستحيلة التي هي على غير مسميات كما أشار لذلك بعض الشعراء بقوله

الجود والغول والعنقاء ثالثها * أسماء أشياء لم تخلق ولم تكن

لكن نظر في الجود بان كثيرا من الناس اتصفوا به حتى كان سجيتهم والصواب ان يقول والخل بدل الجود والمراد الخل الوفي كما قال بعضهم

لما اختبرت بني الزمان فلم أجد * خلا وفيا للشدائد أصطفي

أيقنت ان المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفي

وحاصل معنى البيت ان المحبوبة لا تدوم على حال تكون عليها بل تتغير من حال الى حال فتتلون بالوان شتى وترى في صور مختلفة كما تتلون وتتشكل الغول في أثوابها بالوان واشكال كثيرة المعنى

المعنى ليس من الفرسان فيطعننى بالرمح أو يقتلنى بالسيف ولامن الرماة فيرميني والغول بالفتح ما يغتال الشئ فيذهب به ومنه قولهم الغضب غول الحلم والحرب غول النفوس وقوله تعالى لا فيها غول أى ليس فيها ما يغتال عقولهم فيذهب بها قال أبو عبيدة وأنشد

وما زالت الكاسات تغتالنا * وتذهب بالاول الاول

وقال الجوهرى المعنى انه ليس فيها غائلة الصداع واستدل بقوله تعالى لا يصدعون عنها ولا ينزفون وقوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وقال البخارى فى صحيحه فى تفسير الآية الكريمة الغول وجع البطن اه وهو غريب وأما الغيل فيأتى تفسيره عند ذكره ان شاء الله تعالى فى القصيدة قال

ولا تمسك بالوعد الذى زعمت * الا كما تمسك الماء الغرابيل

(قوله ولا تمسك) عطف على فما تدوم وتمسك أما بضم التاء وكسر السين المشددة مضارع مسك بالتشديد واما بفتحها مضارع تمسك والاصل تتمسك فحذفت احدى التاءين يقال مسك بالشئ وتمسك به وامسك واستمسك بمعنى وقرئ ولا تمسكوا بعصم الكوافر بضم التاء وفتح الميم وتمسكوا بضم التاء وسكون الميم وقرئ فى غير السبع بفتحها وقال تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى قيل فى التشديد معنى التكثير وهذا وهم وانما يفيد التشديد معنى التكثير اذا لم يكن الفعل موضوعا عليه كما فى حدث وخبر ولم يكن لافادة تعدية القاصر الى المفعول كما فى فرحته ولا المتعدى لواحد الى المتعدى لاثنين كعلمته الحساب ومثال ذلك قتلت وكسرت وجولت وطوفت (وقوله زعمت) اما بمعنى تكفلت ومصدره الزعم بالفتح والزعامة والتقدير الذى زعمت به كما قال تعالى وأنا به زعيم وقوله تقول هلكنا ان هلكت وانما * على الله أرزاق العباد كما زعم

واما بمعنى قالت ومصدره الزعم مثلث الفاء وهو قول يدعيه المدعى يحتمل للحق والباطل وغلب استعماله فى الباطل ومنه زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا فقالوا هذا لله بزعمهم ومن استعماله فى الحق قول أبى طالب يخاطب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

ودعوتنى وزعمت أنك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وقول كثير

وقد زعمت أنى تغيرت بعدها * ومن ذا الذى ياعز لا يتغير

تغير جسمى والخليقة كالتى * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

وقول سيبويه وزعم الخليل وانما يقول سيبويه ذلك اذا كان الخليل قد خولف فى ذلك القول وكان الراجح قوله والتقدير على هذا الوجه الذى زعمت انها تفى به أو الذى زعمت الوفاء به واقعا والاول اولى لان صاحب العين ذكر ان الغالب وقوع زعم على ان وصلتها او ان وقوعه على الاسمين خاص بالشعر كقوله

زعمتنى شيخا ولست بشيخ * انما الشيخ من يدب دبيبا

وقال تعالى أين شركائى الذين كنتم تزعمون اى انهم شركائى وهذا اولى من ان يكون التقدير تزعمونهم شركاء لما ذكرنا ولانه قد جاء فى مكان آخر وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء (وقوله كما) الكاف جارة وما مصدرية وهى وصلتها فى موضع جر والجار والمجرور اما حال من ضمير مصدر تمسك اى

(قوله ولا تمسك الخ) لما وصفها فى البيت السابع بالاصابة بالمكروه والكذب واخلاف الوعد وتبديل خليل بآخر ثم وصفها فى البيت الثامن بعدم المداومة على حال واحد والتلون بالوان مختلفة وصفها فى هذا البيت بعدم التمسك على العهد فقال ولا تمسك الخ وهو معطوف على قوله فما تدوم الخ فالواو عاطفة ولا نافية وتمسك بفتح التا والميم والسين المشددة وأصله تتمسك حذفت احدى التاءين وهو مضارع تمسك أو بضم التاء وفتح الميم وكسر السين المشددة وهو مضارع مسك يقال تمسك ومسك وأمسك واستمسك بمعنى واحد وبالعهد متعلق بالفعل قبله وفى نسخة بالوعد وفى بعض النسخ بالقول والذى صفة لما قبله وجملة زعمت صلة الذى والعائد محذوف وزعمت اما بمعنى تكفلت فيكون مصدره الزعم بفتح الزاى بمعنى الكفالة قال تعالى وأنا به زعيم أى كفيل واما بمعنى قالت فيكون مصدره الزعم مثلث الزاى وهو قول يدعيه المدعى يحتمل الحق والباطل وغلب استعماله فى الباطل ومنه قوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ومن استعماله فى الحق قول أبى طالب يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم

ودعوتنى وزعمت انك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وقول كثير عزة

وقد زعمت انى تغيرت بعدها * ومن ذا الذى ياعز لا يتغير

فان عجز البيتين يدل على استعماله فى الصدق وقوله الا كما تمسك الماء الغرابيل أى الا تمسكا كما تمسك الغرابيل الماء فشبه تمسكها بالعهد بامساك الغرابيل للماء مبالغة فى النقض والنكث وعدم الوفاء بالعهد لان الماء بمجرد وضعه فى الغربال الذى

تغربل به الحنطة ونحوها يخرج منه ففيه تشبيه معدوم بمعدوم فى صفة العدم وهذا الاستثناء نظير الغاية فى قوله تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار فالمقصود منه توكيد انتفاء تمسكها بالعهد فالايجاب الذى صورة تأكيد معنى والكاف حرف جر وما حرف مصدرى فيؤول الفعل بعدها بمصدر والكاف ومدخولها نعت لمصدر محذوف ولا يخفى ان الماء مفعول مقدم والغرابيل فاعل مؤخر وحاصل معنى البيت انه هذه المحبوبة لا تتمسك بالعهد الذى تكفلت الوفاء به أو الذى قالت انها تفى به الا تمسكا

وما تمسكه الا مشبها لهذا الامساك وامانعت لمصدر محذوف اى الا تمسكا كهذا الامساك وهذا الاستثناء نظير الغاية فى قوله تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار وحتى يؤوب القارظان وهما رجلان من عنزة خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا وقد كثر وصفهم النساء بالاخلاف ومنه قول ابن السراج الحوى

مـيزت بـين جمالها وفعالها * فاذا الملاحة بالخيانة لا تفى

حلفت انا ان لا تخون عهودنا * فكأنما حلفت لنا ان لا تفى

وقول الآخر

وان حلفت لا ينقض النأى عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

وقول المعرى

كل انثى وان بدى لك منها * آية الحب حبها خيتعور

أى باطل مضمحل وهو بالخاء المعجمة والعين المهملة بينهما مثناة من تحت ثم مثناة من فوق قال

(فلا يغرنك ما منت وما وعدت * ان الامانى والاحلام تضليل)

الفاء لمحض السببية كالواقعة فى جواب الشرط لان ما قبلها خبر وما بعدها طلب وعطف احدهما على الآخر ممتنع على الصحيح ومثله زيد كاذب فلا تعتر بقوله ولا ناهية فالفعل بعدها فى موضع جزم ولكنه مبنى لنون التوكيد المباشرة وقيل لا تشترط المباشرة فيه ولتبلون مبنى أيضا وقيل الجميع معرب تقديرا والمختار الاول ونون التوكيد الخفيفة بمنزلة اعادة الفعل ثانيا والشديدة بمنزلة اعادته ثانيا وثالثا قاله الخليل وليست الخفيفة مخففة من الشديدة خلافا للكوفيين وتوكيد الفعل بعد لا جائز فى النثر باتفاق ان كانت ناهية نحو ولا تحسبن الله غافلا وقول كعب فلا يغرنك وخاص بالشعر عند الجمهور ان كانت نافية كقوله

تالله لا يحمدن المرء مجتنبا * فعل الكرام وان فاق الورى حسبا

وأجازه ابن جنى وابن مالك وغيرهما فى النثر تمسكا بظاهر قوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة والكاف مفعول قدم وجوبا لانه ضمير لو تأخر لزم انفصاله ومثله أكرمنى زيد والخطاب اما لغير معين مثل ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم على أحد الوجهين واما لنفسه على طريقة التجريد ومثله قولك يا نفس وقول امرئ القيس بن عابس لامرئ القيس ابن حجر خلافا لمن غلط

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى ولم ترقد

والاثمد بفتح الهمزة وضم الميم اسم موضع (وقوله ما منت) يحتمل ما أوجها * أحدها ان تكون موصولا اسميا بمعنى الذى فموضعها رفع على الفاعلية وقول بعض المعربين فى مثل ذلك انها وصلتها فى موضع رفع مردود بظهور الاعراب فى نفس الموصول فى نحو جاء اللذان قاما وليقم أيهم هو أفضل وقول بنى عقيل أو هذيل جاء الذون قاموا وقول بنى هذيل جاء اللاؤن فعلوا قال

هم اللاؤن فكوا الغل عنى * بمرو الشاهجان وهم جناحى

الثانى ان تكون نكرة موصوفة بمعنى شئ فتكون أيضا فى موضع رفع على الفاعلية * الثالث ان تكون مصدرية بمنزلة أن وأن فتكون هى وصلتها فى موضع رفع ولا يكون الموضع لها وحدها لانها حرف على الصحيح

كما سال الغراب بسل للماء فى العدم فان قيل كيف ساغ له ان يصف محبوبته بهذه الصفات مع انه لا يليق ان يصف الشخص ما عدوه فضلا عن حبيبه اجيب بجوابين احدهما ان وصفه لها بهذه الصفات راجع الى ما يتعلق باحوال المحبة من الوصل والهجر وما شاكلهما وحينئذ لا يكون قادحا فى الموصوف بها فشأن المحبوب الهجر والاعراض والتعنت ولا يكون مؤثرا فى محبته ولا قادحا فى ودادته ثانيهما ان يكون وصفه لها بتلك الصفات لتنفير الغير عنها فاراد ان يبين انها لا تفى بوعد ولا تقف عند عهد لتقل الرغبات فى طلبها وتنفر النفوس عن حبها واعلم ان هذه الاوصاف تقع من المحبوب على أربعة أنواع (الاول) ان يكون عن تيه ودلال وعلاجه بالتذلل كما أشار اليه بعضهم بقوله

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل * اذا رضى المحبوب صح لك الوصل

(الثانى) أن يكون عن ملال وضجر وعلاجه بتحمل المشقة والامساك عن المحبوب فمتى أحس منه بالملال امسك عنه الى ان يتحقق منه ذهاب الملال (الثالث) أن يكون ذلك ناشئا عن ذنب صدر من المحب وعلاجه بالتوبة من ذلك الذنب حتى لو رماه محبوبه بذنب لا حقيقة له أظهر له التوبة منه (الرابع) أن يكون عن بغض من المحبوب له وهذا هو الداء العضال الذى يعسر علاجه فلا حيلة للمحب الا التحمل والصبر والمغالطة والخداع لعله ان يخدع أو يرق وبعضهم يأخذ المحبوب بالقهر ان لم يسمح بالوصل كما أشار اليه بعضهم بقوله

اذا لم يكن وصل الى الحب مسعف * وامسيت تحت الضيم العشق والضنك

لم استطع صبرا على الذل والهوى * فما عزم الوصل اولى من الترك

ولم يرتض ذلك الصلاح الصفدى ولذلك قال و و زن

تمسك بذل فهو أليق بالهوى * لتنظم مع أهل المحبة فى سلك

متى لاق بالعشاق عز وسطوة * كاملك من ذل المحبة فى شك

(قوله فلا يغرنك الخ) اى اذا كانت المحبوبة متصفة بما ذكرته من الصفات فلا يغرنك الخ فالفاء واقعة فى جواب شرط مقدر فتكون للسببية بدون عطف لان ما قبلها انشاء وما بعدها انشاء وعطف احدهما على الآخر ممنوع على الصحيح ولا ناهية ويغرنك فعل مضارع مبنى على الفتح لمباشرة نون التوكيد

الخفيفة وتوكيد الفعل بعد لا جائز باتفاق ان كانت ناهية كما هنا دون ما اذا كانت نافية فلا يجوز الا في الشعر عند الجمهور كقوله   فلا الجارة الدنيا بها تلحينها
المرء مجتنبا * ومن الكرام وان واق لورى حسبا   والخطاب في قوله فلا يغرنك يحتمل أن يكون لنفسه فيكون المصنف قد جرد من نفسه شخصا
ووجه الخطاب اليه فيكون في كلامه التفات من التكلم الى الخطاب لانه صدر الكلام بالتكلم حيث قال وقلبي اليوم متبول ثم التفت الى
الخطاب لنفسه بقوله فلا يغرنك الخ ويحتمل أن يكون لغيره ممن يصلح للخطاب وعليه فلا التفات وقوله ما منت اي ما منتك اياه بمعنى جعلتك
على تمنيه فمنت من التمنية وهي ان تحمل غيرك على ان يتمنى منك شيأ أو بمعنى كذبت عليك فيه فانه يقال مناه بكذا يمنيه اذا كذب عليه فيه وما
يحتمل ان تكون اسما موصولا بمعنى الذي وان تكون نكرة موصوفة بمعنى شئ وعلى كل   ٣٥   فهي في محل رفع على الفاعلية وجملة
منت لا محل لها على الاول لانها صلة وفي محل رفع على الثاني لانها صفة ويحتمل ان تكون مصدرية فتكون هي وصلتها في تأويل مصدر وهو الفاعل أي تمنيتها اياك الوصل ولا تقدر المفعول حينئذ ضميرا بان تقول اياه لان الضمير لا يعود الا على الاسماء وما المصدرية من الحروف وقوله وما وعدت أي وما وعدتك اياه أو وعدها اياك الوصل فتجري فيها الاوجه الثلاثة السابقة وهي ان تكون اسما موصولا أو نكرة موصوفة أو مصدرية والوعد هنا مستعمل في الخير لا غير كما يقتضيه المقام وقد يستعمل في الشر ان كان هناك قرينة كما في قوله تعالى وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فان لم تكن قرينة فالوعد للخير والايعاد للشر قال الشاعر
ونحو وان أوعدته أو وعدته
* لمخلف ايعادي ومنجز موعدي   ثم علل الناظم المصراع الاول وهو قوله فلا يغرنك ما منت وما وعدت بالمصراع الثاني وهو قوله ان الاماني
والاحلام تضليل فالاماني راجعة لقوله ما منت والاحلام راجعة لقوله وما وعدت فيكون من قبيل اللف والنشر المرتب فالاول للاول والثاني
للثاني كذا قال السيوطي وتبعه غيره وهذا يقتضي ان قوله وما وعدت معناه ما وعدت به في النوم حتى تكون الاحلام راجعة اليه والظاهر ان
المراد ما وعدت به في اليقظة أو ما هو اعم في الحالتين ويمكن توجيه رجوع الاحلام لما وعدت بشموله لما في النوم ولا ظهر انه ضم الاحلام الى الاماني
لمناسبتها لها في عدم التحقق وأشار الى تعليل قوله وما وعدت بالبيت بعد هذا وهو قوله   كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها الا
الاباطيل كما أفاده شيخنا ومقتضى التعليل فتح همزة ان على تقدير اللام وهو جائز لغة لكن الرواية بالكسر على انه تعليل مستأنف وهو تعليل

ووزن منت فعت وأصله منيت على وزن فعلت فتحركت الياء وانفتح ما قبلها وقلبت ألفا فالتقى ساكنان
فحذفت وهو متعد لاثنين قال   فانعق بضأنك يا جرير فانما * منتك نفسك في الخلاء ضلالا
وهما محذوفان في البيت والتقدير اذا جعلت ما اسما منتكه أو منتك اياه واذا جعلت حرفا ما منتك الوصل أي
ولا يغرنك تمنيتها اياك الوصل ولم يقدر الثاني حينئذ ضميرا لان الضمير لا يعود الا على الاسماء ولهذا استدل على
اسمية مهما وما التعجبية وأل الموصولة بعود الضمير عليهن في قوله تعالى مهما تأتنا به وقولك ما أحسن زيدا
وجاء في الضارب ومن زعم حرفية أل قدر مرجع الضمير موصوفا محذوفا فان قلت كيف جوزت تقدير المفعول
الثاني على الوجهين الاولين ضميرا منفصلا مع انهم نصوا على امتناع حذف العائد المنفصل نحو جاء الذي اياه
أكرمت أو ما أكرمت الا اياه قلت انما يمتنع في نحو ما أوردته لان حذفه في المثال الثاني مستلزم لحذف
الا فيوهم نفي الفعل عن المذكور وانما المراد نفيه عما عداه وأما المثال الاول فان فصل الضمير فيه يفيد
الاختصاص عند البياني والاهتمام عند النحوي فاذا حذف فانما يتبادر الذهن الى تقديره متصلا جريا على الاصل
فيفوت الغرض الذي فصل لاجله وأما الضمير في البيت فانه يستوي معنى منتكه ومنتك اياه فلا يفوت بتقديره
متصلا غرض وبهذا يجاب عن سؤال يورد في نحو قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وتقديره انه ان قدر ومما
رزقناهموه لزم اتصال الضميرين المتحدي الرتبة وذلك قليل في ضمير الغيبة ممتنع في غيرهما ولا يحسن حمل
التنزيل على القليل وان قدر رزقناهم اياه لزم حذف العائد المنفصل والجواب بالثاني وأن العائد المنفصل
لا يمتنع حذفه على الاطلاق (وقوله وما وعدت) لك فيها هذه الاوجه الثلاثة ووعد أيضا يتعدى لاثنين نحو
وعدكم الله مغانم كثيرة أفمن وعدناه وعدا حسنا فالتقدير أيضا ما وعدتكه أو ما وعدتك اياه أو ما وعدتك
الوصل والوعد هنا للخير لان الموضع لا يحتمل غيره وعكسه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم واذا لم
تكن قرينة فالوعد للخير والايعاد للشر قال
واني وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادي ومنجز موعدي
(وقوله ان الاماني) الرواية بكسر الهمزة من ان على انه تعليل مستأنف ومثله في تعليل النهي ولا تأكلوا
أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا وفي تعليل الامر وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم استعينوا بالصبر
والصلاة ان الله مع الصابرين اخلع نعليك انك بالوادي المقدس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم وفي
تعليل الخبر انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم وفتح أن فيهن على اضمار لام العلة جائز لغة وقد جاءت
الرواية بالوجهين في آية الطور وجوزوهما في قول الملبي لبيك ان الحمد والنعمة لك والكسر أرجح لان
الكلام حينئذ جملتان لا جملة واحدة وتكثير الجمل في مقام الثناء والتعظيم مطلوب ولان اطلاق الثناء أولى من
تقييده وانما يلزم التقييد على الكسر اذا قدر استئنافا بيانيا أعني أن يقدروا بالسؤال مقدرا اما اذا قدر

فى المعنى ومثله قوله تعالى ولاتأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا والامانى بتشديد الياء جمع أمنية كالاضاحى جمع أضحية وتخفيف الياء جائز يقال تمنيت الشئ أى اشتهى حصوله ومنه قوله تعالى أم للانسان ماتمنى والاحلام جمع حلم بضمتين وهو مايراه النائم وفعله حلم بفتحات وقد غلبت الرؤيا على مايراه فى الخير والحلم على مايراه فى الشر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان وقوله تعالى أضغاث أحلام كما قاله السيوطى والتضليل تفعيل من الضلال وهو على تقدير مضاف والاصل ذوات تضليل أو جعلت نفس التضليل مبالغة على حد قولهم رجل عدل وقولهم انما هى اقبال ٣٦ وادبار أو انها مضللة بكسر اللام لكن الاسناد اليها مجاز عقلى لانها سبب التضليل اما الامانى فلانها تخايل فاسدة وضياع زمان فى غير فائدة قال على بن عبيد الامانى تخايل الجهل وقال افلاطون الامانى حلم المتيقظ وقال رجل لابن سيرين رأيت كأنى أسبح فى غير ماء وأطير فى غير هواء فقال أنت رجل تكثر الامانى لكن العاشق ربما استراح اليها وعلل نفسه بالركون اليها ولله در الحارثى حيث يقول

أمنى سعدى حسان كأنما * سقتنا بها سعدى على ظمأ بردا
منى ان تكن حقا يكن أحسن المنا * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

واما الحلم بالمحبوب وزيادة طيفه فى المنام فانه الخيال الحائل والوصال الذى ليس تحته طائل ولله در القائل

وزارنى طيف من أهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك سترالحب بى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تخيبنى * نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفا

وبعض المحبين يأنس بالخيال ويتسلى به كما قال البحترى

اذا ما الكرى أهدى الى خياله * شفى قلبه التبريح أونقع الصدا بل بالغ التهامى ومقتول حتى فضله على اليقظة حيث قال

الطيف أحسن وصلا ان لذته * تخلو عن الاثم والتنغيص والندم

وحاصل معنى البيت لاتغتر بما جاءتك على تمنيه منها أو بما كذبت عليك فيه من لوصل وما وعدتك به من ترك الهجر فان الامانى التى يتمناها الانسان والاحلام التى يراها فى منامه سبب فى الضلال وضياع الزمان بلا فائدة فمن تعلق بذلك فقد أتعب نفسه وشتت خاطره (قوله كانت مواعيد عرقوب الخ) أى صارت مواعيد عرقوب لها مثلا لشهرة اتصافها بالاخلاف فكانت بمعنى صارت كما فى قوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة أى فصرت وصرتم

استثناها نحو يا فلا والامانى جمع أمنية كالاثافى جمع أثفية ومثله الاضاحى والاواقى وتخفيف يا آتهن جائز وأصل أمنية أمنوية أفعولة كأكذوبة وأعجوبة قلبوا وأدغموا ثم أبدلوا الضمة كسرة (وقوله والاحلام) هو جمع حلم بضمتين وهو مايراه النائم وفعله حلم بالفتح بوزن رأى وأما الحلم بالكسر فهو الصفح وكرم الخلق وفعله حلم بالضم مثل كرم لانه سجية وأما الحلم بالفتح فهو فساد الجلد ونتنه وفعله حلم بالكسر لانه وزن يغلب فى العاهات الظاهرة كمرض وسقم والباطنة كحمق وعن قال عمرو بن العاص يخاطب معاوية رضى الله عنه وقد كتب الى أمير المؤمنين على رضى الله عنهم أجمعين فانك والكتاب الى على * كدابغة وقد حلم الاديم قوله والاحلام عطف على اسم ان ويجوز رفعه فان قلت انما يجيز ذلك الكسائى وقد خالفه تلميذه الفراء فاشترط خفاء اعراب الاسم نحو انك وزيد ذاهبان وخالفهما جميع البصريين فمنعوا ذلك مطلقا قلت هذا موضع يكثر فيه الوهم وانما الخلاف حيث يتعين كون الخبر للاسمين جميعا نحو انك وزيد ذاهبان واما نحو ان زيدا وعمرو فى الدار فجائز اتفاقا ومنه قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وبيت كعب اذا رفع الاحلام اذ التضليل مصدر فيصح الاخبار به عن الواحد ومافوقه وانما الخلاف فى تخريج ذلك فقال الكوفيون معطوف على محل الاسم وقال البصريون هو امامبتدأ حذف خبره والجملة معترضة بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ خبره مابعده وحذف خبران لدلالة خبر المبتدأ عليه ويشهد للاول قوله

فمن يك امسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب

وقيار اسم لفرسه بدليل ان اللام لاتدخل فى خبر المبتدأ ويشهد للثانى قوله

خليلى هل طب فانى وأنتما * وان لم تبوحا بالهوى دنفان

بدليل انه لايخبر عن الواحد بالمثنى ومنه قراءة بعضهم ان الله وملائكته يصلون على النبى برفع ملائكته أى ان الله يصلى وملائكته يصلون اذ لايخبر عن الواحد بالجمع وقد يخرج على الوجه الاول على أن يقدر الجمع للتعظيم مثله فى قال رب ارجعون (وقوله تضليل) تفعيل من الضلال أى تضييع وابطال ومنه ألم يجعل كيدهم فى تضليل ولهذا قيل لامرئ القيس بن حجر الملك الضليل لانه ضلل ملك أبيه أى ضيعه والاصل ذوات تضليل ومثله هم درجات عند الله أى هم ذوو درجات عند الله او جعلت نفس التضليل مبالغة كقول الآخر يذكر ظبية فقدت ولدها

ترتع مارتعت حتى اذا ادكرت * فانما هى اقبال وادبار

فجعلها نفس الاقبال والادبار لكثرة وقوعهما منها قال

*(كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها الا الاباطيل)*

لكان الناقصة معنيان أحدهما الدلالة على ثبوت خبرها لاسمها فى الزمن الماضى نحو كان زيد فقيرا والثانى الدلالة على تحول اسمها من وصف الى آخر نحو وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة أى فصارت وصرتم ومنه كانت فى البيت أى صارت مواعيد عرقوب مثلا لها بين الناس لشهرة اتصافها بالاخلاف ومواعيد جمع ميعاد كموازين فى جمع ميزان لاجمع موعد لان المعنى ليس عليه ولان مفعولا صفة كمضروب

ومقتول لا يكسر واما نحو مشائيم وملاعين فشاذ فان قلت انما يجوز أن يكون جمع الموعود بمعنى الوعد فانه مجيء المصدر على مفعول اما معدوم أو نادر وجمع المصدر غير قياسي وعرقوب بضم أوله كعصفور وليس في العربية فعلول بالفتح الا صعفوق وخرنوب في لغة وهو علم منقول من عرقوب الرجل وهو ما انحنى فوق عقبها وعرقوب الوادي وهو منعطفه وهو رجل من العمالقة وهو عرقوب بن معبد بن زهير أحد بني عبد شمس بن ثعلبة أو عرقوب بن صخر على خلاف في ذلك وكان من خبره انه وعد أخاله ثمرة نخلة وقال ائتني اذا أطلع النخل فلما أطلع قال اذا أبلح فلما أبلح قال اذا أزهى فلما أزهى قال اذا أرطب فلما أرطب قال اذا صار تمرا فلما صار تمرا جده من الليل ولم يعطه شيأ فضربوا به المثل في الاخلاف فقالوا أخلف من عرقوب وقال علقمة الاشجعي

وعدت وكان الخلف منك سجية * مواعيد عرقوب أخاه بيترب

قال التبريزي والناس يروون يثرب في هذا البيت بالثاء المثلثة والراء المكسورة وانما هو بالمثناة وبالراء المهملة المفتوحة موضع بقرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قاله ابن الكلبي قلت وقاله أيضا أبو عبيدة وقد خولفا في ذلك قال ابن دريد اختلفوا في عرقوب فقيل هو من الاوس فيصح على هذا ان يكون بالمثلثة والمكسورة وقيل من العماليق فيكون بالمثناة وبالمفتوحة لان العماليق كانت منازلهم من اليمامة الى وبار ويترب هنالك قال وكانت العماليق ايضا في المدينة اهـ وقال الحافظ أبو الخطاب بن دحية سميت المدينة يثرب باسم الذي نزلها من العماليق وهو يثرب بن عبيد وبنو عبيد هم الذين سكنوا الجحفة فاجحفت بهم السيول فسميت الجحفة ولا يجوز الآن ان تسمى المدينة يثرب لقول النبي صلى الله عليه وسلم يقولون يثرب وهي المدينة وكأنه كره هذا الاسم لانه من مادة التثريب وأما قوله تعالى يا اهل يثرب فحكاية عمن قاله من المنافقين اهـ ومن الغريب قول بعضهم ان عرقوبا جبل مظلل بالسحاب وانه لا يمطر أبدا فالاضافة في مواعيد عرقوب الى المفعول كأنه وعد بالمطر ولم يمطر أو الى الفاعل على المجاز كانه وعد الناظر اليه أن يمطر ولم يوف بذلك وعلى ما سبق فهو فاعل لا غير (قوله لها) تحتمل اللام ثلاثة أوجه أحدها أن تتعلق بكان على القول بان لها دلالة على الحدث وهو الصحيح وقد استدل على صحة التعليق بها بقوله تعالى أكان للناس عجبا أن أوحينا اذ لا تتعلق اللام بعجبا ولا بأوحينا لامتناع تقدم معمول المصدر عليه وتقدم معمول الصلة على الموصول ولان المعنى ليس على الثاني واذا بطل تعلقها بهما تعين تعلقها بكان وفيه نظر لان المصدر هنا ليس في تقدير فعل وحرف مصدري اذ ليس فيه معنى الحدوث بل هو مثله في قولك لزيد معرفة بالنحو وذكاء في الطب ولا يقدح ذلك في عمله في الظرف وان قدح في عمله في الفاعل والمفعول الصريح لان الظرف يعمل فيه رائحة الفعل وهذا الموضع قد وهم فيه كثير حتى انهم احتاجوا الى تقدير عامل للظرف في قوله تعالى لا يبغون عنها حولا وقول الحماسي

وبعض الحلم عند الجهـ * ـل للذلة اذعان

والثاني أن يكون حالا من مثلا على انه كان صفة له ثم قدم عليه على حد قوله

لمية موحشا طلل *

الثالث أن يكون خبرا لكان ومثلا حال توقفت عليها فائدة الخبر كما في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وعليهما فتعلقها بمحذوف (قوله مثلا) المثل كل شئ حاكيت به شيأ ومن ثم قالوا للصور المنقوشة تماثيل وهي جمع تمثال ويطلق على ثلاثة أمور أحدها المثل بكسر الميم وسكون الثاء وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كما يقال شبه وشبه وشبيه الثاني القول السائر الممثل مضربه بمورده وقد صنف العلماء في هذا كتبا الثالث النعت نحو ولله المثل الاعلى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع الآية مثل الجنة التي وعد المتقون مثلهم كمثل الذي استوقد نارا (قوله وما مواعيدها) الضمير للمرأة ويروى مواعيده أي مواعيد عرقوب (وقوله أباطيل) جمع باطل ضد الحق وهو جمع على غير قياس واحده ونظيره حديث وأحاديث وعروض وأعاريض قال

*(ارجو وآمل ان تدنو مودتها * وما اخال لدينا منك تنويل)*

ومواعيد جمع ميعاد كموازين جمع ميزان وعرقوب بضم العين واسكان الراء وضم القاف وبعدها واو وفي آخره باء موحدة وهو علم منقول من عرقوب الرجل وهو ما انحنى فوق عقبها أو من عرقوب الوادي وهو منعطفه واختلف في نسبه فقيل هو عرقوب بن معبد بن زهير وقيل عرقوب بن صخر وقد اشتهر هذا الشخص عند العرب باخلاف الوعد وكان من أمره انه وعد اخاه بيثرب ثمر نخلة وقال له ائتني اذا أطلع النخل فلما أطلع قال ائتني اذا أبلح فلما أبلح قال ائتني اذا أزهى فلما أزهى قال ائتني اذا أرطب فلما أرطب قال ائتني اذا صار تمرا ولما صار تمرا جزه من الليل ولم يعطه شيأ فضرب به المثل في خلف الوعد فقالوا أخلف من عرقوب وتداوله العرب في شعرهم حتى قال علقمة الاشجعي

وعدت وكان الخلف منك سجية * مواعيد عرقوب أخاه بيترب

قال التبريزي والناس يروون البيت بالثاء المثلثة والراء المكسورة وانما هو بالمثناة الفوقية والراء المفتوحة موضع بقرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو عبيدة والكلبي وقد خولفا في ذلك قال ابن دريد اختلفوا في عرقوب فقيل من الاوس فيصح على هذا أن يكون البيت بالثاء المثلثة والراء المكسورة وقيل من العماليق فيكون بالمثناة وبالراء المفتوحة لان العماليق كانت من اليمامة الى وبار ويترب هنالك قال وكانت العماليق أيضا في المدينة اهـ وقال ابن دحية

للرجاء معنيان أحدهما التأميل وهو المراد هنا ويستعمل في الايجاب والنفي وقد اجتمعا في قوله تعالى وترجون من الله ما لا يرجون والثاني الخوف وذكر الفراء انه مختص بالنفي نحو ما لكم لا ترجون لله وقارا أي ما لكم لا تخافون لله عظمة وقول أبي ذؤيب الهذلي يصف مشتار عسل وهو الذي يأخذ العسل من الجبل

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * وحالفها في بيت نوب عواسل

وحالفها بالحاء المهملة أي خالطها والنوب النحل وهي جمع نائب كفاره وفره سميت نوبا لسوادها ويروى وخالفها بالخاء المعجمة وقيل لا تختص بالنفي بدليل وارجوا اليوم الآخر وجوز ابن الخباز في قول ابن مقبل يقول راجي ربه الغفور كونه بمعنى الآمل أو الخائف والظاهر الاول لقرينة ذكر الغفور وأما الآية فتحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يراد وافعلوا ما ترجون به حسن العاقبة وأقيم المسبب مقام السبب الثاني أن يكون أمروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة هذا الشرط الثالث أن يكون الرجاء بمعنى الخوف (وقوله وآمل) الامل هو الرجاء قيل وانما عطف عليه لانه يكون في الممكن والمستحيل والرجاء يخص الممكن قلت وانما هذا الفرق بين التمني والرجاء وانما المصحح للعطف اختلاف اللفظ نحو فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وقوله * أقوى وأقفر بعد أم الهيثم * ومثله في الاسماء انما أشكو بثي وحزني الى الله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقوله * وألفى قولها كذبا ومينا * ولا يعطف هذا النوع الا بالواو وقال ابن مالك وقد تنوب أو عنها في اللفظ في قوله تعالى ومن يكسب خطيئة أو اثما وفيه نظر لامكان أن يراد بالخطيئة ما وقع خطأ وبالاثم ما وقع عمدا فان قلت هلا قدرت الجملة حالا من فاعل أرجو ليسلم من مخالفة الاصل في العطف قلت نسلم من ذلك ونقع في مخالفة أصلين اذ الاصل في الحال أن تكون مبينة لا مؤكدة والاصل في المضارع المثبت الحالي من قد اذا وقع حالا أن لا يقترن بالواو نحو ولا تمنن تستكثر ونحو ونذرهم في طغيانهم يعمهون وفي قوله هما وآمل وقوله فيه سيأتي * وقال كل خليل كنت آمله * وقوله * والعفو عند رسول الله مأمول * دليل على انه كما يقال آملته بالتشديد فهو مؤمل كذلك يقال أملته بالتخفيف فهو مأمول وقد سئل في مدينة السلام عن مسائل من جملتها هذه فكتب أبو نزار الملقب بملك النحاة انه لا يجوز أن يقال مأمول الا أن يسمعه الثقة أمل بالتخفيف وكتب الامام أبو منصور الجواليقي انه لا ريب في جواز ذلك وان الائمة ردوه كالخليل وغيره ثم انشد بيت كعب * والعفو عند رسول الله مأمول * وقول بعض المعمرين

المرء يأمل أن يعيـ * ـش وطول عيش قد يضره

وكتب الامام أبو السعادات ابن الشجري بالجواز أيضا وتعرض لابي نزار ونسبه الى الجهل ثم قال وقوله انه لا يجوز أن يقال مأمول الا أن يسمعه الثقة أمل قول من لم يعلم انهم قالوا فقير مع انهم لم يقولوا فقر وانما يقولون افتقر فقر فقيع ورفقير السكون الثقة لم يسمعه فقر مع ان القرآن قد ورد به في قوله تعالى اني لما أنزلت الي من خير فقير وليت شعري ما الذي سمع هذا الرجل من اللغة حتى أنكر أن يفوته هذا الحرف بل ينبغي له اذا أمعن النظر في كتب اللغة ولم يجده ثم سمع * والعفو عند رسول الله مأمول * أن يسلم لكعب ويذعن صاغرا انتهى ملخصا ومن الغريب ان هذين الامامين لم يستدلا على مجيء أمل بالبيتين المذكورين في هذه القصيدة بل تكلف ابن الجواليقي وأنشد قول شاعر آخر وقول ابن الشجري انه لم يسمع فقر اعتمد فيه على كلام سيبويه والاكثرين وذكر ابن مالك ان جماعة من أئمة اللغة نقلوا مجيء فقر وفقر بالضم والكسر وان قولهم في التعجب ما أفقره مبني على ذلك وليس بشاذ كما زعموا وفي قوله أرجو وآمل التفات عن الخطاب في قوله فلا يغرنك الى التكلم لدى بدأ به في قوله فقلبي اليوم متبول وان كان الخطاب في قوله فلا يغرنك لغيره فلا التفات في واحد منهما (قوله أن تدنو) تنازعه الفعلان فأعمل الثاني وحذف معمول الاول ولا يحسن أن يقال أعمل الاول وحذف معمول الثاني على حد قوله بعكاظ يعشي الناظر * ين اذا هم لمحوا شعاعه

سميت المدينة يثرب باسم من نزلها من العماليق وهو يثرب بن عبيد ولا تسمى الآن يثرب لانه من مادة التثريب وأما قوله تعالى يا أهل يثرب فحكاية عمن قاله من المنافقين وقوله لها أي للمحبوبة وهو متعلق بكان على القول ان لها دلالة على الحدث وهو الصحيح أو هو حال مقدم من مثلا لانه كان صفة له فلما قدم عليه صار حالا على حد قوله * لمية موحشا طلل * أو هو خبر لكان ومثلا حال توقفت عليها فائدة الخبر كما في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين والمثل هو الذي حاكيت به شيأ آخر ويطلق على المثل بكسر الميم وسكون المثلثة بقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه وعلى القول السائر وعلى النعت ومنه قوله تعالى وله المثل الاعلى وقوله عز وجل ذلك مثلهم في التوراة وقوله وما مواعيدها الا الاباطيل أي وما مواعيد سعاد الا باطلة لا حقيقة لها وهذا تأكيد لاخلافها الوعد فلم يكتف بضرب مواعيد عرقوب لها مثلا بل بعد ذلك جعل مواعيدها باطلة لا حقيقة لها فكانت أسوأ حالا في المطل والاخلاف وهذا على رواية وما مواعيدها الا الاباطيل وهي الرواية المشهورة ويروى وما مواعيده الا الاباطيل أي وما مواعيد عرقوب الا باطلة لا حقيقة لها وغرضه بذلك على هذه الرواية بيان صفة مواعيد عرقوب التي ضرب بها المثل لها فبين انها باطلة لا حقيقة لها فتكون مواعيدها كذلك والاباطيل جمع باطل على غير الاصل

الاصل لحوه لان ذلك ضرورة فلا يخرج عليه ما وجدت عنه مندوحة (وقوله ان تدنو) بالاسكان يحتمل لوجهين أحدهما ان يكون أهمل ان المصدرية حملا على ما المصدرية كما قال

اذا كان أمر الناس عند عموزهم * فلابد أن لقون كل ثور

وكقراءة مجاهد لمن أراد أن يتم لرضاعة كذا قالوا ويمكن أن يخرج على انها عاملة وذلك بان يكون الاصل يتمون بواو الجماعة حملا على معنى من مثل ومنهم من يستمعون ثم حذفت النون للناصب والواو للساكنين والوجه الثاني انه أجرى الفتحة على الواو مجرى الضمة للضرورة قال المبرد وهو من أحسن الضرورات وقد جاء ذلك في أخف من الواو وهي الياء كقول الاعشى

فآليت لا أرثى لها من كلالة * ولا من حفا حتى تلاقى محمدا

صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون أصله تلاقين على انه التفت من الغيبة الى الخطاب ويشهد له انه خاطبها في البيت بعده بقوله متى ما تناخى عند باب ابن هاشم * تراحى وتلقى من فواضله ندى

ولكنه يبعده ان الالتفات لا يوجد في جملة واحدة الا نادرا كقراءة الحسن اياك يعبد بل قد جاء اسكان الواو في النثر كقراءة بعض السلف أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح بل قد جاء اسكان الياء في النثر في الاسم مع ان الياء أخف من الواو والاسم أخف من الفعل كقراءة جعفر بن محمد من أوسط ما تطعمون أهاليكم وقرئ أيضا وانى خفت الموالى من ورائى فاذكروا اسم الله عليها صوافى بياء ساكنة جمع صافية أى خوالص لله **(قوله اخال)** بمعنى أظن وهما سيان في نصب المفعولين وجواز سد ان وأن وصلتهما مسدهما وجواز الالغاء للتوسط والتأخر واتحاد الفاعل والمفعول ضميرين متصلين لمسمى واحد والاعتراض فيهما بين حرف ومطلوبه ووجوب التعليق لاعتراض ماله صدر الكلام وحذف المفعولين اختصار الدليل واقتصار الافادة بتجدد الفعل وحدوثه مثال نصبها المفعولين قوله

وخلت بيوتى في يفاع ممنع * تخال به راعى الحمولة طائرا

اليفاع ما ارتفع من الارض والحمولة بالفتح الابل وغيرها مما يحمل عليه ومثال سد ما ذكر مسدهما قول الهذلى

فغبرت بعدهم بعيش ناصب * واخال انى لاحق مستتبع

وقول ابن دريد

ما خلت أن الدهر يثنينى على * ضراء لا يرضى بها ضب الكدى

الضراء بالصاد المهملة الصخرة الصماء الملساء والكدى جمع كدية وهى الارض الصلبة والضباب مولعة بها ومثال الالغاء قوله

أبالاراجيز يا ابن اللؤم توعدنى * وفي الاراجيز خلت اللؤم والخور

كذا رواه النحويون وزعم الجاحظ ان الصواب والفشل وان القصيدة لامية والصواب انهما قصيدتان ومثال الاتحاد والاعتراض المذكورين قوله

ما خلتنى زلت بعدكم ضمنا * أشكو اليكم حموة الالم

الضمن كالزمن وزنا ومعنى والحموة ضم المهملة وتشديد الواو السورة ومن الاعتراض قوله وما أدرى وسوف اخال أدرى البيت ومثال التعليق قوله * واخال انى لاحق مستتبع * فيمن رواه بكسر الهمزة من انى ووجهه ان الاصل انى للاحق فعلق باللام ثم حذف لفظها وبقى حكمها ومثال حذف المفعولين ان يقال أزيد قائم فتقول خلت وفي المثل من يسمع يخل أى من يسمع خبرا يحدث له ظن وكسر همزة اخال فصيحا استعمالا شاذ قياسا وفتحها لغة أسد وهو بالعكس وحكم حرف المضارعة في غير هذا الحرف ان يضم باجماع ان كان الماضى رباعيا نحو أدحرج وأكرم وتفتح في لغة الحجازيين فيما نقص أو زاد كيضرب وينطلق ويستخرج وأما غيرهم فيكسر غير الياء في ثلاث مسائل (احداها) في يفعل بالفتح مضارع فعل بالكسر كعلمت تعلم بخلاف

ياس وهو ضد الحق وقد جرى الناظم رضى الله عنه في قصيدته على مذهب بعض المحبين من دهشة المحبوب في المطال واخلاف الوعد وعدم الموافاة كما قال بعضهم يخاطب محبوبه

وانت الذى أخلفتنى ما وعدتنى * وأشمت بى من كان فيك يلوم

وذهب بعض المحبين الى استعذاب المطال والتسلى به عن الوصال كما قال شرف الدين بن الفارض

عدينى بوصل وامطلى بنجازه * فعندى اذا صح الهوى حسن المطال

حتى ان بعض المحبين يعد الوعد والامانى سبب الحياة ولولا ذلك لمات كما قال العفيف

لولا مواعيد آمال أعيش بها * مت يا أهل هذا الحى من زمن

وكأن ذلك يختلف باختلاف رتب المحبين في المحبة (قوله ارجو وآمل الخ) لما وصفها بأوصاف القطيعة والجفاء من أول البيت السابع وهو قوله أكرم بخلة الخ البيت الحادى عشر وهو قوله فلا يغرنك ما منت الخ على ما تقدم بيانه في مواضعه أحدثته دهشة المحبة وذهل عما هى عليه من ذلك فتعلق بالرجاء وجنح الى الامل فقال ارجو وآمل الخ اذ لا يليق بالشخص أن يقطع رجاءه من مطلوبه وأن ييأس من محبوبه فقد قيل من طلب شيأ ناله أو كاد وربما كان غير المرجو أقرب الى الحصول من المرجو قال الحسين بن على رضى الله عنهما كن لما لا ترجوه أرجى

منك لما ترجوه فان موسى عليه السلام ذهب الى الطور يقتبس نارا فلم يظفر بها ورجع نبيا مرسلا والله در القائل [illegible]

تذهب فان ماضيه مفتوح و يتق فان المضارع مكسور ومن قال تحسب بالفتح كسر ومن كسر فتح وقرئ ولا تركنوا وقال الشاعر

قلت لبوّاب لديه دارها * تيذن فانى حموها وجارها

أى لتأذن أمر الفاعل المخاطب باللام وحذفها و بقى عملها وكسر أول المضارع وسمعت بدويا يقول فى المسعى انك تعلم مالا نعلم بكسر التاء والنون (الثانية) أن يكون الماضى مبدوا بهمزة الوصل نحو ينطلق و يستخرج وقرئ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وإياك نستعين وأما من كسر فى نعبد فكانه ناسب بين كسر النونين (الثالثة) أن يكون مبدوا بتاء المطاوعة أو شبهها نحو تتذكر وتتكلم وكانهم جعلوا هذا الكسر عوضا عن كسر أول الماضى فى نحو نستعين وثانيه فى نحو تعلم وأما نحو تتكلم فكانهم حملوا تفعل على انفعل لانهما للمطاوعة نحو كسرته بالتشديد فتكسر وكسرته بالتخفيف فانكسر واعلم يجيز واكسر الياء لثقل الكسرة عليها ولكنهم جوزوه اذا تلاها واو ليتوصلوا به الى قلبها ياء نحو وجل ييجل (قوله لديها) قيل لدى لغة فى لدن والصحيح انها مرادفة لعند وهو قول سيبويه فتكون للقرب الحسى نحو اذ القلوب لدى الحناجر ألفيا سيدها لدى الباب والمعنوى نحو قولك لديه فقه وأدب وتقلب ألفها ياء مع الضمير فى لغة الجمهور (قوله منك) بعد قوله مودتها فيه التفات من الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى اياك نعبد فان كان قوله أرجو وآمل التفاتا عن الخطاب فى قوله فلا يغرنك ففى البيت التفاتان (قوله تنويل) لك فى ارتفاعه وجهان (أحدهما) ان يكون فاعلا اما بالظرف الاول أو الثانى أما على قول الاخفش والكوفيين انه لا يشترط فى اعمال الظرف الاعتماد فلا اشكال وأما على قول الجمهور ان ذلك شرط فعلى ان تكون الحال معترضة بين النافى والظرفين فان قلت هل يجوز ان يكون الظرفان تنازعاه فان أعملت الاول أضمرت فى الثانى اتفاقا وان أعملت الثانى أضمرت فى الاول عند البصريين وحذفت معموله عند الكسائى وأعملت فيه الاثنين عند الفراء كما تقول فى قام وقعد زيد قلت شرط صحة التنازع أن يكون بين العاملين ارتباط فلا يجوز نحو قام قعد زيد بغير عطف وهذا بمنزلته فان قلت فما الدليل على جواز ما زعمته من صحة الاعتراض بين النافى والمنفى قلت قول الشاعر

ولا أراها تزال ظالمة * تحدث لى قرحة وتنكؤها

وقد ثبت الاعتراض بين الحرف ومصحوبه فى كأنى خلت والحال أنفسهما فالاول كما تقدم من قول الشاعر

ماخلتنى زلت بعدكم ضمنا * والثانى كقول زهير

وما أدرى وسوف اخال أدرى * أقوم آل حصن ام نساء

فان تكن النساء مخبآت * فحق لكل محصنة هداء

وفى البيت الاول دليل على ان القوم مختص بالرجال ونظيره قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال تعالى ولا نساء من نساء وكثير من الناس يرفع النساء فى البيت توهما منهم أنه الاسم ومخبآت الخبر وانما الاسم ضمير آل حصن والنساء خبر ومخبآت حال أى فان تكن آل حصن النساء مخبآت فحق لهن ان يهدين الى أزواجهن كسائر المتزوجات والوجه الثانى أن يكون مبتدأ مخبرا عنه بالظرف الاول أو الثانى أو كليهما وساغ الابتداء به حينئذ لتقدم النفى ولتقدم خبره ظرفا واذا قدر الظرفان خبرين قدر لكل منهما متعلق يخصه واذا قدر الخبر الاول فالظرف الثانى اما متعلق به أو بمتعلقه المحذوف على الخلاف المشهور فى ان العمل للظرف أو للاستقرار واما حال ويتعلق بمحذوف وفى صاحب الحال وجهان أحدهما انه الضمير المستتر فى الظرف الاول لان الصحيح ان الظرف يتحمل ضميرا منتقلا اليه من الاستقرار المحذوف ولهذا أكد فى قول كثير

فان تك جثمانى بارض سواكم * فان فؤادى عندك الدهر أجمع

وزعم ابن خروف انه لا يتحمله الا بشرط التأخر عن المبتدا وزعم آخرون انه لا يتحمله مطلقا تقدم أو تأخر

* يظنان كل الظن أن لا تلاقيا و يحتمل أن يكون الرجاء والامل وقعا منه على سبيل تعليل النفس ومراوحتها كيلا يغلب عليها اليأس كما قيل أعلل بالامانى قلبى لعلى * أروح بالامانى الهم عنى ٤٠ وأعلم ان وصلك لا يرجى * ولكن لا أقل من التمنى ثم ان جعل قوله فى البيت الحادى عشر فلا يغرنك خطابا لنفسه كان هنالك التفات من الخطاب الى التكلم كما ان هنالك التفاتا من التكلم الى الخطاب و يكون قد رجع الى الحالة الاولى التى هى التكلم وان جعل قوله فى البيت المذكور فلا يغرنك خطابا للغير فلا التفات هنا كالا التفات هنالك والرجاء بالمد غلبة الظن بحصول الشئ تقول رجوت الشئ ارجوه اذا غلب على ظنك حصوله و يطلق الرجاء على الخوف ومنه قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا أى لا تخافون لله عظمة والامل هو الرجاء قال أملت الشئ آمله بمد الهمزة وضم الميم واللام اذا رجوته فالعطف فى قوله وآمل من قبيل عطف الرديف والمصحح للعطف اختلاف اللفظين كما فى قوله تعالى فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا خلافا لمن جعله من عطف العام على الخاص معللا له بأن الامل يكون فى الممكن والمستحيل والرجاء يخص الممكن ورد بأن الفرق المذكور انما هو بين التمنى والرجاء لا بين الامل والرجاء وقوله أن تدنو مودتها أى تقرب محبة سعاد فتدنو بمعنى تقرب والمودة خلاف العداوة وهو المحبة وا ضمير لسعاد وقد تنازع قوله ان تدنو السعلان ب له فأعمل الثانى واضمر فى الاول ضميره ثم حذف ولا يحسن أن يقال اعمل الاول واضمر فى الثانى والصحيح ثم حذف لان ذلك شاذ لوجوب أن يضمر فى الثانى جميع ما يحتاج اليه ولا يرد قوله بعكاظ يعشى الناظر ين اذا هم لمحوا شعاعه والاصل

نحوه ثم حذف الضمير لانه ضرورة وسكنت الواو من تدنوا اما لكونه أهمل أن المصدرية حملا على ما أختها كما فى قراءة بعضهم لمن أراد أن يتم
الرضاعة برفع يتم ويمكن أن يكون الاصل يتمون بواو الجمع حملا على معنى من ثم حذفت النون للناصب واما لكونه أجرى الفتحة مجرى الضمة
فى تقديرها على الواو للضرورة قال المبرد وهو من أحسن الضرورات بل قد جاء اسكان الواو فى النثر كقراءة بعض السلف أو يعفو الذى بيده
عقدة النكاح باسكان الواو وقوله وما اخال لدينا منك تنويل أى وما أظن عندنا من ٤١ جهتك عطاء نوال وايصال وصال فاخال بكسر
الهمزة على الافصح بمعنى
أظن وهما سيان فى العمل
وسائر الاحكام ويجوز أن
تكون أخال هنا معملة أو
ملغاة أو معلقة أما الاعمال
فجزم به بدر الدين بن مالك
وعليه فجملة لدينا منك تنويل
فى محل نصب لانها مفعول ثان
والمفعول الاول ضمير الشأن
والتقدير وما اخاله أى الحال
والشأن وبحث فيه بان ضمير
الشان خارج عن القياس
فلا ينبغى الحمل عليه مع امكان
غيره وأما الالغاء فلان النافى
لما تقدمها أزال عنها التصدر
المحض فسهل الغاؤها وعليه
تكون تلك الجملة لا محل لها
لالغاء العامل وأما التعليق
فعلى ان الاصل لدينا فعلق
الفعل باللام ثم حذفت وبقى
التعليق وعليه تكون تلك
الجملة المذكورة فى محل نصب
لانها سدت مسد المفعولين
ولدى بمعنى عند وقلبت ألفه
ياء لاضافته للضمير وتكون
للقرب الحسى كما فى قوله تعالى
وألفيا سيدها لدى الباب
أى عند الباب والمعنوى كما فى
قولك لديه فقه وأدب ومنك
بكسر الكاف بمعنى من
جهتك وفيه بعد قوله مودتها

والصحيح الاول ومن ثم قال ابن جنى فى قول الشاعر

ألا يا نخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

الناس يتلقون هذا البيت على انه من تقديم المعطوف على المعطوف عليه وليس بلازم لجواز ان يكون العطف
على ضمير الرحمة المستتر فى عليك على حد قول بعضهم مررت برجل سواء والعدم ولا يرد عليه أن يقال تخلص
من وجه ضعيف الى آخر ضعيف لان غرضه ان البيت محتمل فلا دليل عليه ولان العطف على الضمير المرفوع
اسهل من تقديم المعطوف فانه لا يقع الا فى الشعر نعم من زعم ان الظرف لا يتحمل ضميرا مطلقا ولا يتحمله مع
التقدم لزم عنده ان يكون البيت من تقديم المعطوف والوجه الثانى من وجهى صاحب الحال انه نفس
التنويل على ان الظرف كان فى الاصل صفة له فلما تقدم صار حالا منه وعامله على هذا الوجه أيضا الاستقرار
المقدر لا الابتداء العامل فى تنويل لان الحال انما يعمل فيها الفعل وشبهه أو معناه وانما جوزنا هذا الوجه
بناء على صحة اختلاف عاملى الحال وصاحبها وهو قول سيبويه ولهذا قال فى قوله تعالى وان هذه أمتكم أمة
واحدة ان أمة حال من أمتكم مع ان أمتكم معمول لان والحال معمولة للتنبيه أو للاشارة وقال فى قول
الشاعر * لمية موحشا طلل * ان موحشا حال من الطلل مع انه لا يجيز ارتفاع طلل على الفاعلية لعدم
اعتماد الظرف واذا قدر الخبر الظرف الثانى كان الظرف الاول متعلقا به وجاز تقديمه عليه للاتساع فى الظرف
ونظيره قولهم أكل يوم لك ثوب بتقدم الظرف على الجملة باسرها ولا يجوز ذلك فى الحال لا تقول جالسا زيد
فى الدار ونقل جماعة الاجماع على ذلك وان الخلاف انما هو فى التوسط بين الظرف المؤخر وبين المخبر عنه
فمنعه الجمهور لضعف العامل وأجازه الاخفش ومتابعوه تمسكا بقراءة الحسن والسموات مطويات بيمينه
وقراءة آخر ما فى بطون هذه الانعام خالصة بنصب مطويات بالكسر وخالصة بالفتح وقيل الاجماع فى المسئلة
كقول الاخفش فى فداء لك أبى ان فداء حال وكقول ابن برهان فى هنالك الولاية لله الحق ان هنالك حال فان
قلت أخبرنى عن اخال فى البيت أمعملة أم ملغاة أم معلقة قلت كل ذلك جائز أما الالغاء فعلى ان النافى لما
تقدمها أزال عنها التصدر المحض فسهل الغاؤها كما سهل الغاء ظننت تقدم متى وانى فى متى ظننت زيد منطلق
وقول الحماسى كذاك أدبت حتى صار من خلقى * انى رأيت ملاك الشيمة الادب
أو على تقدير النافى داخلا على الجملة الاسمية وتقدير اخال معترضة بينهما كما تقدم واما التعليق فعلى ان
الاصل لدينا فعلق الفعل باللام ثم حذفت وبقى التعليق كما تقدم فى قول الهذلى واخال أنى لاحق فيمن كسر
الهمزة واما الاعمال فجزم به ابن مالك بدر الدين وليس كذلك لما بينا ولما نبين ووجهه ان يكون مفعولها
الاول ضمير الشان محذوفا والاصل وما اخاله ومن حذف ضمير الشان الحديث ان من أشد الناس عذابا يوم
القيامة المصورون وحكاية الخليل ان بك زيد مأخوذ أى انه كذا قالوا وليس بمتعين فى حكاية الخليل بل
يجوز أن يكون التقدير انك وهو أولى لان ضمير الشأن خارج عن القياس لعوده على المتأخر ولتفسيره
بالجملة فلا ينبغى الحمل عليه مع امكان غيره ولهذا كان الاولى فى الضمير المنصوب بان من قوله تعالى انه يراكم
هو وقبيله ان يقدر عائدا على الشيطان لا ضمير الشان خلافا للزمخشرى ومما يؤيد ذلك قراءة بعضهم وقبيله
بالنصب وضمير الشان لا يتبع بتابع والاصل توافق القراءتين واعلم ان البيت مشتمل على أربع جمل

(٦ - بانت سعاد) التفات من الغيبة الى الخطاب فان كان فى قوله أرجو وآمل التفات عن الخطاب فى قوله فلا يغرنك الى التكلم كان فى
البيت التفاتان والتنويل العطاء والمراد به هنا الوصل ولك فى ارتفاعه وجهان أحدهما ان يكون مبتدا الخبر عنه باحد الظرفين وساغ الابتداء
به وان كان نكرة لتقدم النفى عليه وتقدم خبره الظرف وثانيهما ان يكون فاعلا باحد الظرفين على ما ذهب اليه الاخفش والكوفيون من انه
لا يشترط فى اعمال الظرف الاعتماد * فان قيل كيف ساغ له نفى حصول المودة بقوله وما اخال لدينا منك تنويل * بعد رجائه وتأميله بقوله

الاولى أرجو وفاعله ولا محل لها الا انها مستأنفة والثانية آمل وفاعله ولا محل لها الا انها معطوفة على ما لا محل له وقد مضى أنه لا يحسن تقديرها حالية والثالثة اخال وفاعله وهى مستأنفة أيضا لا حالية لان المضارع المنفى بما كالمضارع المثبت فى وجوب تجرده من واو الحال كقوله

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبة * فمالك بعد الشيب صبا متيما

الرابعة لدينا منك تنويل ولا محل لها ان قدرت اخال ملغاة لانها حينئذ مستأنفة ومحلها النصب ان قدرت معملة أو معلقة لانها مفعول ثان على الاول وفى موضع المفعولين على الثانى قال ابن النحاس المتأخر أعنى زمنا أقول القياس يقتضى جواز العطف على محل الجملة المعلق عنها العامل بالنصب ثم رأيت ذلك منصوصا عليه انتهى بمعناه وهذه مسئلة ظاهرة من قول النحويين ان المعلق غير عامل فى اللفظ وهو عامل فى المحل كلهم يقول ذلك وصرحوا أيضا بجواز العطف بالنصب وجاء السماع به كقول كثير

وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا * ولا موجعات القلب حتى تولت

فعطف موجعات بالنصب على محل ما البكا فان قلت كيف جاز أن ينفى ظن حصول التنويل بعد ما أثبت رجاء دنو المودة قلت المودة والتنويل شيآن لا شئ واحد فلا يمتنع ان توده بقلبها وتمنعه من نوالها على انهما لو كانا شيأ واحدا لا يضر ذلك فان للشعراء طريقة مألوفة يعود أحدهم على ما قرره بالنقض ايذانا بالدهش والحيرة ويسمى ذلك فى علم البديع رجوعا ومنه قوله

قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

وقوله

فانك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد

وأما قوله

وقد زعموا ان المحب اذا دنا * يمل وان النأى يشفى من الصد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذى ود

فليس من ذلك خلافا لمن وهم وانما هو من باب التخصيص والتقييد وذلك ان صدر البيت الثانى لما اقتضى انه لا خير للمحب فى قرب الدار استدركه بما ذكر فى عجزه ولما اقتضى هذا العجز أن قرب الدار نافع بكل حال استدركه بما ذكر فى البيت الثالث قال

*(أمست سعاد بارض ما يبلغها * الا العتاق النجيبات المراسيل)*

(قوله أمست) يحتمل أمسى وجهين أحدهما أن تكون لتقييد ثبوت الخبر للاسم بزمن المساء وذلك على تفسير غداة البين بالغدوة والمعنى انها ارتحلت غدوة وأمست بارض بعيدة والثانى ان تكون بمعنى صارت كقوله

أرجو وآمل ان تدنو مودتها أجيب بان نفى حصول التنويل من حيث بعدها كما أشار اليه فى البيت الذى يليه وأجاب ابن هشام بان المودة والتنويل شيآن لا شئ واحد ولا يمتنع ان توده بقلبها وتمنعه من نوالها على انه قد تقدم انه انما قال أرجو وآمل ان تدنو مودتها لكونه أخذته دهشة المحبة فذهل عما هى عليه من الاوصاف فيحتمل انه رجع اليه عقله فتذكر أوصافها المخالفة للمودة فقال وما اخال لدينا منك تنويل وهذا يسميه أهل البديع بالرجوع لانه رجع الى كلامه السابق بالنقض كما فى قول القائل أليس قليلا نظرة ان نظرتها * ولكن قليل ليس منك قليل فانه أولا استقل النظرة ثم تذكر ان ذلك ذهول منه حيث عد النظر من محبوبه قليلا فقال ولكن قليل ليس منك قليل وحاصل معنى البيت انى مع اتصافها بالجفاء والخلاف ٤٣ الوعد وعدم الوفاء بالعهد لا اقطع الرجاء من مودتها ولا ايئس من وصلها بل أرجو وآمل ان تقرب مودتها وان كان فى ذلك بعد (قوله أمست سعاد الخ) لما ذكر ما حملته عليه المحبة من الرجاء والامل بقوله أرجو وآمل ان تدنو مودتها * اتبعه بذكر ان محبوبته صارت الى أرض بعيدة لا يوصله اليها الا النوق النفائس من الابل القوية السريعة السير فقال أمست سعاد الخ أى صارت سعاد بارض بعيدة فامست بمعنى صارت كما هو الظاهر ويحتمل انها بمعنى دخلت فى وقت المساء فتكون تامة والمعنى دخلت فى وقت المساء بارض بعيدة ويكون هذا مقابلا للغداة فى قوله وما سعاد غداة البين اذ رحلوا فكانه قال رحلت غدوة وأمست بارض بعيدة وهذا اشارة لسرعة سيرها لانها سارت فى اليوم مسافة طويلة والمقصود بالحقيقة الاخبار ببعد محبوبته مع ان بعد الاحباب عذاب واذا كان المحب مع قرب الدار لا يشتفى غليله ولا يشفى عليله فكيف يصبر على البعاد أو يلذ له طيب الرقاد ولله در القائل

أمست

وقد زعموا ان المحب اذا دنا * يمل وان النأى يشفى من الصد بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد وكيف يطيق البعد من يقول وكدت وهو ضجيعى أن أقول له * من شدة الحب قد أبعدت فاقترب أومن يقول ومن عجب انى أحن اليهم * واسأل عنهم من رأى وهم معى وتطلبهم عينى وهم فى سوادها * ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلعى والمراد بسعاد محبوبته المحدث عنها أولا وانما أعاد ذكرها بالاسم الظاهر لانه قصد استئناف نوع آخر من الكلام وهو وصف أرض سعاد بالبعد وذكر أوصاف ما يوصل اليها وقوله بأرض أى فى أرض فالباء بمعنى فى كما فى قوله تعالى وما كنت بجانب الغربى أى فى جانبه وقد بالغ فى بعدها حيث وصف الارض التى أمست بها سعاد بقوله لا يبلغها الا العتاق النجيبات المراسيل أى لا يبلغ تلك الارض الا الابل الموصوفة بثلاث صفات محمودة فى الابل ووجه المبالغة فى البعد انه اختار الابل دون غيرها لان لها قوة

أمست خلاء وأمسى أهلها ارتحلوا * أخنى عليها الذى أخنى على لبد

ومعنى أخنى أفسد لان الخنى الفساد والقبح والنقصان ولبد آخر نسور لقمان بن عاد لانه أعطى عمر سبعة انسر لان النسر يعمر طويلا (وقوله سعاد) اسم ظاهر أقيم مقام المضمر وذكره فى هذا البيت بعد ذكر ضميره فى البيت قبله أحسن منه فى قوله أول القصيدة متيم اثرها ثم قال وما سعاد وذلك لانه هنا قصد استئناف نوع آخر من الكلام وهو وصف أرض سعاد بالبعد وذكر ما يتصل بذلك من وصف الناقة * وقوله بارض الباء ظرفية مثلها فى وما كنت بجانب الغربى * وقوله يبلغها يحتمل وجهين أحدهما ان يكون منقولا بالتضعيف من بلغ فيتعدى حينئذ الى مفعولين كعرفته المسئلة والاصل ما يبلغنيها ثم حذف المفعول الاول والوجه الثانى أن يكون بمعنى يبلغها فيكون متعديا الى واحد وقد جاء فعل وفعل بمعنى القاصر والمتعدى فالاول كمشى ومشى قال

ودوية قفر تمشى نعامها * كمشى النصارى فى خفاف الارندج

الارندج واليرندج جلد أسود وهو معرب والثانى كقولك زلته وزيلته بمعنى فرقته ومنه فزيلنا بينهم أى فرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا فان قلت لم جزمت بانه فعل مع انه محتمل لفيعل كبيطر وقد أجازه أبو البقاء وغيره الوجهين قلت الصواب ما ذكرته لقولهم فى مصدره التزييل ولو كان فيعل لقالوا زيلة كبيطرة والضمير المتصل بيبلغ عائد الى الارض لانها مؤنثة بدليل ان الارض لله يورثها من يشاء وقولهم فى تصغيرها أريضة ولا يكون عائدا الى سعاد لان الجملة صفة لارض فلا بد لها من ضمير يربطها بها ولا تكون مستأنفة لان الجار والمجرور حينئذ لا يصلح خبرا اذ جميع الناس كائنون بارض ومن هنا امتنع الاخبار بالزمان عن الجثة فى نحو قولك زيد فى يوم وصح اذا وصف الزمان بصفة مفيدة كقولك زيد فى يوم طيب والعتاق فاعل لفظا وبدل من الفاعل تقديرا اذ لا بد من تقدير المستثنى منه أى ما يبلغها شئ وكذا كل استثناء مفرغ والا كثر مراعاة المحذوف ولهذا اكثر ما جاءنى الا هند وندر ما جاءتنى الا هند والنجيبات جمع نجيبة وهى الكريمة من الخيل ويروى النجيات بالياء المشددة أى السريعات والعتيق من الابل والخيل وغيرهما الكريم الاصيل وعلى هذا فالعتيق والعتاق كالكريم والكرام وزنا ومعنى وفى الصحاح فرس عتيق أى رائع اه وعلى هذا فهو من قولهم وجه عتيق أى حسن كأنه عتق من جميع العيوب قيل ولهذا لقب أبو بكر الصديق رضى الله عنه عتيقا لحسن وجهه وقيل لقوله عليه الصلاة والسلام أبو بكر عتيق الله من النار رواه الترمذى وفيه فمن يومئذ سمى عتيقا وقيل لانه لم يكن فى نسبه شئ يعاب به قاله مصعب بن الزبير وهذا هو المعنى الاول الذى قدمناه فى تفسير العتيق من الابل والخيل وغيرهما واسم أبى بكر رضى الله عنه عبد الله بن عثمان رضى الله عنهما والمراسيل جمع مرسال مفعال من قولهم ناقة مرسلة اذا كانت سريعة وضع اليدين فى السير ونظيره جمع مطعان ومطعام ومجزاع على مفاعيل قال * مطاعين فى الهيجا مطاعيم فى القرى * وقال كعب فى هذه القصيدة

لا يفرحون اذا نالت رماحهم * قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا

وانما تمتنع الصفة المبدوأة بالميم من التكسير فى مسئلتين احداهما أن تكون على وزن مفعول كمضروب وشذ نحو ملاعين ومشائيم والثانى أن تكون الميم مضمومة كمكرم ومنطاق ويستثنى من هذه مفعل ومفعل المختصين بالمؤنث كمرضع ومكعب فيجوز تكسيرهما قال الله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل وقال أبو ذؤيب

وان حديثا منك لو تبذلينه * جنى النحل فى البان عوذ مطافل

مطافيل ابكار حديث نتاجها * يشاب بماء مثل ماء المفاصل

العوذ بالذال المعجمة جمع عائذ كحائل وحول والعائذ القريبة العهد بالنتاج من الظباء والابل والخيل ويجمع أيضا على عوذان مثل راعى ورعيان وحائر وحوران فاذا تجاوزت عشرة أيام من يوم نتاجها أو خمسة عشر فهى مطفل وسميت بذلك لان معها طفلها وجمعها مطافل والمطافيل بالياء اشباع كقوله * نفى الدراهيم تنقاد

على طول السير مع الاسراع لان لها طاقة على حمل الاثقال وناهيك فى الاخبار عن تبليغها المسافة البعيدة قوله تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس والخيل وان كانت أسرع سيرا منها لكن فى المسافة القصيرة وقد أفاد هو انه لا يبلغها كل نوع من الابل بل لا يبلغها الا الابل الموصوفة بأنها العتاق النجيبات المراسيل وهذه الصفات ترجع اليها الاوصاف المحمودة فى الابل ومعنى يبلغها يوصلنى اليها وهو بالتضعيف من بلغ بالتضعيف أيضا فيتعدى لمفعولين والاصل لا يبلغنيها ثم حذف المفعول الاول ومعنى العتاق بكسر العين التى هى جمع عتيق الكرام الاصول سميت بذلك لانها عتقت من العيوب والمراد ما كان منها منسوبا الى نتاج فحل كريم كالعزيزية والشدقمية والجديلية نسبة الى عزيز وشدقم والجديل وهى فحول كريمة ومعنى النجيبات التى هى جمع نجيبة القوية الخفيفة وقيل النفيسة الفاضلة فى نوعها وقيل الكرام الاصول فيكون على هذا توكيدا لقوله العتاق ويروى النجيات بتشديد الياء من غير باء موحدة ومعناها السريعات وعلى هذه الرواية يكون قوله المراسيل بفتح الميم جمع مرسال بكسرها توكيدا لان معناه السريعات من قولهم ناقة رسلة بفتح الراء وسكون السين اذا كانت سريعة رفع اليدين فى السير وحاصل معنى البيت ان محبوبته التى هى سعاد صارت بأرض

بعيـدة أودخلت فى المساء بأرض بعيدة لا يوصله اليها الا الابل الكرام الاصول القوية السريعة لبعد مسافة ما بينى وبينها (قوله وان يبلغها الخ) هذا البيت زيادة تأكيد فى بعد المسافة لانه ذكر فيه انه لا يبلغه تلك الارض الا الناقة الشديدة التى لا تكل بالتعب ولا يضعف سيرها بالاعياء ويلوح بذلك لناقته وقد أطنب فى مدحها وأمعن فى وصفها فى تسعة عشر بيتا فوصفها فى هذا البيت بوصفين من أوصاف الابل الجيدة فقال ولن يبلغها الخ وفى بعض النسخ ولا يبلغها الخ وفى نسخة وما يبلغها الخ وعلى كل فهو معطوف على قوله لا يبلغها الا العتاق الخ فكل منهما صفة للارض وحينئذ فالضمير عائد الى الارض لا الى سعاد لانه لابد من أن تشتمل الصفة على ضمير يعود على الموصوف فان قيل لو جعلنا الواو للاستئناف صح رجوع الضمير الى سعاد أجيب بأن فى جعلها للاستئناف خروجا عن أصلين أحدهما نحوى وهو أن الاصل فى الواو العطف لا الاستئناف وثانيهما بيانى وهو أن تناسب الضمائر أولى من تنافرها وقوله الا عذافرة أى الا ناقة عذافرة فهى صفة لموصوف محذوف والعذافرة بضم العين وفتح الذال وبعدها ألف وبفتح الفاء والراء الناقة الصلبة العظيمة ويقال للجمل عذافر اذا كان كذلك وقوله فيها وفى نسخة لها أى فى تلك الناقة أو لتلك الناقة وقوله على الاين أى مع الاين فعلى بمعنى مع كما فى قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والاين الاعياء والتعب قال أبو زيد وابن فارس ولا يبنى منه فعل وقد خولفا وقوله ارقال مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله أو فاعل بالظرف لانه اعتمد على موصوف والارقال بكسر الهمزة واسكان الراء المهملة وقاف بعدها ألف ولام ضرب من السير سريع قال الجوهرى هو نوع من الخبب وقال ابن الاثير هو فوق الخبب وقوله وتبغيل معطوف على ارقال والتبغيل بفتح التاء واسكان الباء وكسر الغين بعدها ياء ساكنة ثم لام ضرب من السير سريع أيضا فوق الخبب ودون الارقال فلو ترقى المصنف لقال تبغيل وارقال لان الارقال أقوى من التبغيل وانما لم يصنع كذلك لضرورة النظم وكأنه شبيه بمشى البغال ولذلك سمى تبغيلا واعلم أن سير الابل فى الاسراع على مراتب فأولها العنق بفتح العين والنون فى آخره قاف وهو الذى يتحرك فيه عنق البعير وفى سائر مراتبه للناس اختلاف كبير والذى ذكره ابن أصبغ الازدى فى ارجوزته ان اعلاه التشعر بفتح التاء المثناة فوق والشين المعجمة وضم العين المهملة المشددة وبعدها راء مهملة وهو غاية الطاقة فى السير والارقال دونه فى الرتبة والتبغيل فوق العنق ودون الارقال فيكون سير تلك الناقة مع الاعياء والتعب دائرا بين الارقال والتبغيل فاذا اشتد بها التعب والاعياء يكون غاية ما ينتهى اليه

الصيار يف * الشاهد فى الصيار يف فانه جمع صيرف وأما الدراهيم فانه جمع درهام لغة فى درهم قال

لو كان عندى مائتا درهام * لابتعت دارا فى بنى حزام

والمفاصل قال الاصمعى منفصل الجبل من الرملة يكون بينهما رضراض وحصى صغار فان ماء ذلك يكون صافيا فاذا بريق قال

*(ولن يبلغها الا عذافرة * لها على الاين ارقال وتبغيل)*

لك فى يبلغها الوجهان السابقان وضميرها كضميرها فى رجوعه الى أرض لا الى سعاد لان يبلغها هذه معطوفة على تلك فهى مثلها فى انها صفة لارض فلابد من تحملها ضميرها فان قلت قدر الواو للاستئناف وقد صح رجوع الضمير لسعاد قلت فى هذا التقدير خروج عن أصلين نحوى وبيانى أما النحوى فلان الاصل فى الواو العطف لا الاستئناف واما البيانى فلان تناسب الضمائر أولى من تنافرها ولهذا قال الزمخشرى فى قوله تعالى أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له الضمائر كلها لموسى لما يؤدى اليه رجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت من تنافر النظم فان قلت المقذوف فى البحر والملقى الى الساحل هو التابوت قلت ماضرك لو قلت هو موسى فى جوف التابوت حتى لا يتنافر النظم اهـ فان قلت هلا اكتفى من الجملتين بضمير واحد لتوسط الواو بينهما ومن شأنها ان تجمع بين الشيئين وتصيرهما كالشئ الواحد قلت انما تفعل الواو ذلك بين المفردات لا بين الجمل ألا ترى انه يجوز أن يقال هذان ضارب زيد وتاركه ويمتنع هذان يضرب زيد ويتركه فان قلت فلم قال هشام بن معاذ النحوى الكوفى وهو من أئمتهم ان المسوغ للنصب فى نحو زيد قام وعمرا أكرمته ان الواو للجمع مع انها بين جملتين كما ترى قلت هى مقالة تفرد بها وقد ردت عليه بما ذكرنا فان قلت فلم ساغ للجميع تقدير الجملتين كالجملة الواحدة مع الفاء حتى أجاز والذى يطير فيغضب زيد الذباب قلت لان الفاء للسببية فما قبلها وما بعدها بمنزلة جملة الشرط والجزاء وهما فى حكم الجملة الواحدة ألا ترى انه يجوز زيد ان قام غضب عمرو ونحو زيد ان سافر غضب عمرو وأقام (قوله عذافرة) مهمل الاول مضمومه معجم الثانى وهى الناقة الصلبة العظيمة ويقال للجمل اذا كان كذلك عذافر وجمعهما عذافر بفتح أوله وألفه كألف مساجد وليست بالتى كانت فى المفرد بل تلك محذوفة وقد اجتمع فى هذا التكسير ما افترق فى نحو كتب وفلك من التغيير بين اللفظى والتقديرى (قوله على) هى وجبر ورها حال فتتعلق بمحذوف وهى بمعنى مع مثلها فى قوله تعالى الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم (قوله الاين) هو الاعياء والتعب قال أبو زيد ولا يبنى منه فعل وكذا قال ابن فارس وقد خولفا (قوله ارقال) مبتدأ أو فاعل بالظرف لانه قد اعتمد على موصوف وهو مصدر ارقل البعير وارقلت الناقة والارقال نوع من الخبب ويقال ناقة مرقل بغير تاء فاذا كثر واقالوا مرقال ومفعال من افعل قليل مثل معطاء ومهداء ومعوان (قوله وتبغيل) هو مشى فيه اختلاف بين العنق والهملجة وكأنه مشبه بسير البغال

سيرها فى قلة السرعة التبغيل واذا خف تعبها ترقت الى الارقال واما مع النشاط فيكون سيرها التشمر ولا تسير عنقا لانقوتها على السير السريع جدا فاذا كان سيرها مع الاعياء والتعب على هذين الضربين السريعين من السير فما ظنك بها اذا كانت فى حال نشاطها وحاصل معنى البيت انه لا يبلغ تلك الارض الا ناقة موصوفة بصفتين محمودتين فى الابل الاولى كونها عظيمة صلبة وهو المعنى بالعذافرة الثانى كونها لا تضعف بكثرة السير وهو المعنى بقوله لها على الاين ارقال وتبغيل فاذا كانت عظيمة صلبة سريعة السير مع الاعياء ومع عدمه بالاولى بلغ بها راكبها الى المدى البعيد فى الزمن القصير (قوله من كل نضاخة الذفرى الخ) لما وصف الناقة بوصفين فى البيت الذى قبل هذا وهما كونها عظيمة صلبة وكونها لا تضعف بكثرة السير وصفها فى هذا البيت بوصفين وهما كونها كثيرة عرق الذفرى وكونها عارفة بالطريق الطامسى الاعلام الذاهب الآثار فقال من كل نضاخة الذفرى الخ والجار والمجرور خبر لمبتدا محذوف تقديره هى أى الناقة المذكورة أو حال من العذافرة ومن تبعيضية أو مبينة للجنس قال ابن هشام الاول أوضح لان المعنى عليه ان تلك الناقة بعض افراد ذلك الجنس والثانى أحسن لان المعنى عليه ان تلك الناقة جميع هذا الجنس على سبيل المبالغة ويحتمل وجها ثالثا وهو أن تكون لابتداء الغاية والمعنى عليه ان تلك الناقة ابتداء خلقها واتخاذها من هذا الجنس فيكون قصده ان يصفها بكرم الاصل ويؤيد هذا الثالث ان ابتداء الغاية هو المعنى الغالب على من ونضاخة الذفرى صفة لموصوف محذوف أى ناقة نضاخة الذفرى واضافة نضاخة للذفرى من اضافة الصفة لمعمولها بعد تحويل الاسناد والاصل نضاخة ذفراها ثم حول الاسناد عن الذفرى الى ضمير الناقة وانتصب على التشبيه بالمفعول به ثم أضيفت الصفة الى معمولها والنضاخة بفتح النون وتشديد الضاد وبعدها ألف وخاء ثم تاء التأنيث الكثيرة السيلان يقال عين نضاخة اذا كانت كثيرة الماء وكانت فوارة ومنه قوله تعالى فيهما عينان نضاختان أى فوارتان وفيه مبالغتان من جهة الزنة والمادة اما الزنة فلانها محولة من فاعل الى فعال للتكثير والمبالغة واما المادة فلان النضخ بالخاء المعجمة

لشدته وهذا البيت تأكيد لما قبله فى افادة بعد المسافة ومعناه ان هذه الارض لا يبلغها الا ناقة عظيمة صلبة سريعة العدو من صفتها انها اذا أعيت وكلت من السير سارت مع ذلك التعب هذين النوعين من السير فما ظنك بها اذا لم تكل به قال

*(من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت * عرضتها طامس الاعلام مجهول)*

(قوله من كل) قال عبد اللطيف بن يوسف من تبعيضية أو مبينة للجنس أى التى هى كل ناقة نضاخة اه والاول واضح وأما الثانى فقد يظهر انه أحسن وأبلغ لانه جعلها جميع هذا الجنس كما قالوا أطعمنا شاة كل شاة قال

وان الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

ولكن التحقيق انه لا يجوز لانه لابد أن يتقدم المبينة شئ لا يدرى جنسه فتكون من ومجرورها بيانا له كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان والذى تقدم هنا معلوم الجنس وهى الناقة العذافرة ثم قوله فى تفسيرها أى التى هى كل ناقة نضاخة مشكل لان المفسر عذافرة وهى نكرة والنكرة لا تفسر بالمعرفة وانما كان الصواب أن يقال هى نضاخة ليكون المفسر جملة كما قالوا فى يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس ان المعنى من أساور هى ذهب وثيابا خضرا هى سندس والذى غره انهم يمثلون لمن الجنسية غالبا بقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان ويقولون التقدير الذى هو الاوثان وانما قدر وه كذلك لان المفسر معرفة فقدر وا تفسيره معرفة لان المبينة دائما تقدر كذلك وتحتمل من وجها ثالثا أظهر مما ذكروه وأن تكون لابتداء الغاية اى عذافرة ابتداء خلقها وايجادها من كل ناقة نضاخة يصفها بكرم الاصل وابتداء الغاية هو المعنى الغالب على من حتى زعم المبرد وابن السراج والاخفش الصغير والسهيلى ان سائر ما ذكر لها من المعانى يرجع اليه وعلى الاوجه الثلاثة فيحتمل الظرف ثلاثة أوجه أحدها أن يكون رفعا بالتبعية على انها صفة لعذافرة والثانى أن يكون رفعا بمباشرة العامل على انها خبر لهى محذوفة والثالث أن يكون نصبا على الحال من عذافرة لانها قد اختصت بالوصف (قوله نضاخة) صفة لمحذوف أى من كل ناقة نضاخة وفيه مبالغتان من جهتى الزنة والمادة اما الزنة فلانها محولة من فاعل الى فعال للتكثير والمبالغة وأما المادة فلان النضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالمهملة ولهذا قالوا النضح بالمهملة الرش وقالوا فى قوله تعالى نضاختان معناه فوارتان بالماء هذا هو المعروف وعليه حذاق أهل الاشتقاق وان الواضع يضع الحرف القوى للمعنى القوى والضعيف للضعيف وذلك كوضعه القصم بالقاف الذى هو حرف شديد لكسر الشئ حتى يبين والفصم بالفاء الذى هو حرف رخو لكسر الشئ من غير أن يبين وعلى هذا تاول الامام أبو يعقوب السكاكى قول عباد بن سليمان ان بين الحروف والمعانى تناسبا طبيعيا المار أى ان حمله على ظاهره موقع فى فساد ظاهر وذلك بادلة منها ان اللفظ يوضع للمتضادين كالجون للابيض والاسود ومن المحال مناسبة شئ بطبيعته الشئ وضده وبنوا من النضخ بالمعجمة فعلا على فعل يفعل كسلخ يسلخ وذلك لاجل حرف الحلق هذا هو المعروف وهو قول أبى زيد وقال الاصمعى لم يبن من هذه المادة فعل وأما النضح بالمهملة فلا خلاف فى بناء الفعل منه وهو فعل بالفتح يفعل بالكسر على القياس وفى حديث المقداد توضأ وانضح فرجك وهذا فى الحلق نظير نحت ينحت لان حرف الحلق يبيح توافق الماضى والمضارع فى الفتح ولا يوجبه (وقوله الذفرى) بالمعجمة وهى النقرة التى خلف أذن

أعلى من النضح بالحاء المهملة لان الاول الرش الكثير والثانى القليل ولهذا قال حذاق أهل الاشتقاق ان الواضع يضع الحرف القوى للمعنى القوى والحرف الضعيف للمعنى الضعيف وذلك كوضعه القصم بالقاف الذى هو حرف شديد لكسر الشئ حتى أبين والفصم بالفاء الذى هو حرف رخو لكسر الشئ من غير ان يبان والذفرى بكسر الذال المعجمة وسكون الفاء وفتح الراء المهملة وفى آخره ألف التأنيث فهى بزنة ذكرى وهى النفرة التى خلف اذن الناقة وهى أول ٤٦ ما يعرق منها واشتقاقها من الذفر بفتحتين وهى الرائحة الظاهرة طيبة كانت كرائحة المسك أو غير طيبة كرائحة النتن ومن الاولى قولهم مسك اذفر ومن الثانى قولهم رجل ذفر أى له خبث ريح وأما الدفر بالدال المهملة وسكون الفاء فهو النتن خاصة ثم ان الذفرى مفرد قائم مقام المثنى فأل فيها للجنس الصادق بالمتعدد اذ الناقة لها ذفريان لا ذفرى واحدة ونظيره قوله

الاان عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجارى دمعها لجمود

وفى كلامهم عكسه وهو كون المثنى قائما مقام المفرد كقول بشر

على كل ذى ميعة سابح

يقطع ذوابهريه الحزاما

وانما له ابهر واحد واجاز الفراء ان يكون من هذا قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله اذا عرقت أى وقت ان عرقت بكسر الراء من باب طرب وهو ظرف لنضاخة ولا جواب لاذا ان جعلت مجردة عن معنى الشرط وان قدر فيها ذلك فعاملها شرطها والجواب محذوف والتقدير اذا عرقت فهى نضاخة الذفرى أو الجواب مذكور وهو الجملة الاسمية بعدها وتكون الفاء حذفت للضرورة كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان وكانه يصفها بشدة جهد نفسها فى السير حتى دلول يصير العرق يسيل من ذفريها فان العرق لا يكون الامع اشتداد فى السير واهتمام به وناهيك ما وصف به ذفريها من النضخ الذى هو فى غاية الكثرة على ما تقدم تفسيره وقوله عرضتها طامس الاعلام مجهول أى همتها سلوك طريق مندرس العلامات مجهول المسالك فعرضتها بضم العين وسكون الراء وفتح الضاد بمعنى همتها ومنه قول حسان رضى الله عنه وقال الله قد أعددت جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء وذكر التبريزى

الناقة والبعير وهو أول ما يعرق منهما واشتقاقها من الذفر بفتحتين وهو الرائحة الطاهرة طيبة كانت أو غيرها ومن الاول قولهم مسك أذفر ومن الثانى رجل ذفر أى له خبث ريح وأما الدفر باهمال الدال واسكان الفاء فهو النتن خاصة ومنه قولهم دفرا له أى نتنا وللمرأة اذا سبت يادفار وقول عمر وادفراه وقولهم فى كنية الدنيا وكنية الداهية أم دفر وأكثر العرب يقدر ألف الذفرى للتانيث كالف الذكرى فيقول هذه ذفرى أسيلة غير منونة وبعضهم يقدرها للالحاق بدرهم فينونها الا ان سمى بها ونظير الذفرى الدفلى بدال مهملة اسم لنبت مر ينون ولا ينون وجمعها ذفريات كعلقيات وذفار كجوار وصحار وذفارى كصحارى وعذارى وليست ألف الجمع بألف المفرد لان تلك للتانيث أو للالحاق وهذه منقلبة عن ياء ومحل الذفرى فى البيت نصب على التشبيه بالمفعول به وهذا النصب ناشئ عن رفع على الفاعلية والاصل نضاخة ذفراها ثم حول الاسناد عن الذفرى الى ضمير الناقة وانتصبت الذفرى على التشبيه بالمفعول به لانها سببية للموصوف وأنيبت أل عن الضمير ولو كانت الاضافة عن رفع كما زعم عبد اللطيف لزم اضافة الشئ الى نفسه وكذا البحث فى نحو حسن الوجه ونظائره ومما يدل على ذلك قطعا انك تقول مررت بامرأة حسن وجهها وحسنة الوجه فتذكر الصفة اذا رفعت وتؤنثها اذا خفضت فدل على انها فى حالة الخفض متحملة لضمير الموصوف كما انها كذلك اذا نصبت فقلت حسنة وجها وأما تأنيث الصفة هنا فلا دليل فيه لجواز أن يقال انه لاجل تأنيث الذفرى لا لتأنيث الموصوف (وقوله الذفرى) مفرد قائم مقام التثنية اذ الناقة لها ذفريان لا ذفرى واحدة ونظيره قوله

الاان عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجارى دمعها لجمود

(وقول الآخر) اظن انهمال الدمع ليس بمنته * عن العين حتى يضمحل سوادها

وفى كلامهم عكس هذا وهو انابة الاثنين عن الواحد كقول بشر

على كل ذى ميعة سابح * يقطع ذوابهريه الحزاما

وانما له أبهر واحد وقوله فجعلن مدفع عاقلين اماما * وجعلن امعز رامتين شمالا

أراد عاقلا وهو جبل وأجاز الفراء أن يكون من هذا ولمن خاف مقام ربه جنتان وأما قوله

اذا ما الغلام الاحمق الأم سافنى * باطراف أنفيه استمر فاسرعا

فيحتمل ان يكون من ذلك ويحتمل انه سمى المنخرين أنفين تسمية للجزء باسم الكل ويقال سفته أسوفه اذا شممته وفى النهاية لابن الخباز انهم قالوا مات حتف أنفيه وان من ذلك قول الشاعر

* ياحبذا عيناسليمى والفما * وان أصله الفمان فاسقط النون للضرورة اه وكما استعملوا المفرد فى موضع التثنية كذلك استعملوا الجمع فى موضعها فقالوا رجل عظيم المناكب وغليظ الحواجب وقد اجتمعت انابة الواحد والجمع عن الاثنين فى قول الهذلى

فالعين بعدهم كأن حداقها * سملت بشوك فهى عور تدمع

واضافة نضاخة الى الذفرى اضافة لفظية ولولا ذلك لم يجز اضافة كل اليها اذ لا تضاف كل وأى واسم التفضيل الى مفرد معرفة ونظير هذا البيت بيت الكتاب سل الهموم بكل معطى رأسه * ناج مخالط صهبة متعيس فاضاف كل الى معطى رأسه لما كان نكرة لانه فى نية التنوين والنصب ومعناه سل همومك بكل بعير تركبه

وجهين في معنى عرضتها في البيت أحدهما انه من قولهم بعير عرضة للسفر أي قوي عليه والثاني ما يعرض ويمنع من الشيء ومنه قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أي لا تجعلوا الحلف بالله معترضا مانعا لكم ولا مساغ لواحد من هذين المعنيين هنا وانما المعنى ما ذكرناه كما قاله ابن هشام ومعنى طامس الاعلام مندرس العلامات وهو صفة لموصوف محذوف مع تقدير مضاف أي سلوك طريق طامس الاعلام كما أشرنا اليه في الحل وطامس اسم فاعل من طمس الطريق اذا درس وانمحت اعلامه والاعلام بمعنى العلامات جمع ٤٧ علم بمعنى العلامة ومجهول صفة طامس مؤكدة لان كل طامس مجهول ولهذا لم نجعله خبرا لان الخبر لا يكون مؤكدا وقصده بذلك وصفها بمعرفة الطريق الطامس الاعلام لكثرة اسفارها وسلوكها المفازات وهذا وصف شريف من أوصاف الابل فربما ضل الراكب عن الطريق لنوم أو غيره فيهلك فاذا كانت ناقته لها دراية بمعرفة الطريق نجت به من تلك المفازة وقد حكى أبو علي بن سيناء انه كان في ركب فضلوا عن الطريق في مفازة عظيمة كادوا يهلكون فيها فعمدوا الى بعير كان معه فألقوا زمامه على غاربه وأرسلوه فسار بهم وما زال يقفو الطريق حتى خلص بهم الى المقصد الذي كانوا يقصدونه فسبحان الملهم وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة كثيرة العرق من ذفريها وذلك لا يكون الا مع اشتداد في السير وجهد نفسها فيه وانها عارفة للطريق المندرس العلامات المجهول المسالك لكثرة اسفارها وسلوكها المفازات (قوله ترمي الغيوب الخ) لما ذكر في البيت الذي قبل هذا ان همتها سلوك الطريق المندرس العلامات المجهول المسالك بين في هذا البيت وجه اهتمامها بذلك وهو انها في غاية حدة البصر حتى انه بمجرد رمي بصرها الى الارض تدرك الطريق وتبين السبيل فقال ترمي الغيوب الخ أي ترمي تلك الناقة الغيوب والمراد برمي الغيوب ايقاع النظر عليها بسرعة فانه يشبه الرمي في سرعة الوقوع على المحل والغيوب بضم الغين اما جمع غائب كشهود جمع شاهد او جمع غيب كفلوس جمع فلس لكن في الثاني تجوز اذ الغيب في الاصل مصدر غاب ثم اطلق على الغائب والمراد بالغيوب آثار الطريق التي غابت معالمها عن العيون وقوله بعيني مفرد لهق أي بعينين

ذلول منقاد سريع يضرب بياضه الى الحمرة (وقوله اذا) ظرف لنضاخة وان قدر فيها معنى الشرط فعاملها شرطها أو جواب محذوف أي اذا عرقت نضخت ذفرياها أو جواب مذكور وهو الجملة الاسمية بعدها على ان الفاء حذفت للضرورة كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان وقد حمل عليه أبو الحسن قوله تعالى ان ترك خيرا الوصية للوالدين والمختار قول غيره ان الجواب محذوف أي فليوص والدال على ذلك الوصية اذ هي في نية التقديم لانها على هذا التقدير مرفوعة بكتب لا بالابتداء واذا لم تقدر الجملة الاسمية في البيت جوابا فهي صفة ثانية للناقة المحذوفة أو مستأنفة (قوله عرضتها) أي همتها ومنه قول حسان رضي الله عنه

وقال الله قد أعددت جندا * من الانصار عرضتها اللقاء

وذكر التبريزي في تفسير عرضتها في البيت وجهين أحدهما انه من قولهم بعير عرضة للسفر أي قوي عليه وفلان عرضة للشر أي قوي عليه وجعلته عرضة لكذا اذا نصبته له والثاني ما يعرض ويمنع ومنه قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أي لا تجعلوا الحلف بالله معترضا مانعا لكم أن تبروا ولا مساغ لواحد من هذين المعنيين هنا وانما المعنى على ما ذكرت ولابد من تقدير مضاف أي مقصود همتها أو ذو همتها ولولا هذا التقدير لم يصح الاخبار لان المبتدأ على هذا التقدير غير الخبر ونظيره هم درجات عند الله أي هم ذو درجات وقوله طامس اسم فاعل من طمس الطريق بفتح الميم ورفع الطريق يطمس ويطمس طمسا وطموسا اذا درس وانمحت اعلامه وهو صفة لمحذوف أي همتها طريق طامس الاعلام فان قلت أما يجوز أن يكون طامس فاعلا بمعنى مفعول كما قيل في ماء دافق وسر كاتم وعيشة راضية قلت لا لوجهين أحدهما ان الصحيح ان فاعلا لا يأتي بمعنى مفعول وأما ما أوردت فمؤول عند البصريين والبيانيين اما البصريون فتأولوه على النسبة الى المصادر التي هي الدفق والكتم والرضا كما ان اللابن والتامر والدارع والنابل نسبة الى اللبن والتمر والدرع والنبل وأما البيانيون فتأولوه على الاسناد المجازي وحقيقته دافق صاحبه وكاتم صاحبه وراض صاحبها والثاني ان ذلك لم تدع ضرورة اليه فان طمس يتعدى ولا يتعدى قالوا طمس الطريق بالرفع كما قدمنا وطمست الريح الطريق (قوله الاعلام) جمع علم وهو العلامة وقرئ وانه لعلم للساعة أي وان عيسى عليه السلام لعلامة على الساعة وأما قراءة الجماعة فوجهها تسمية ما يعلم به الشيء علما والكلام في اضافة طامس الى الاعلام كالكلام في اضافة نضاخة الى الذفرى (وقوله مجهول) صفة لطامس مؤكدة لان كل طامس مجهول ولهذا لم أقدره خبرا لان الخبر لا يكون مؤكدا ولهذا قيل في قوله

اذا ما بكى من خلفها انحرفت له * بشق وشق عندنا لم يحول

ان الظرف خبر ولم يحول جملة حالية مؤكدة وابتدئ بالنكرة لوقوعها تفصيلا ومثله الناس رجلان رجل أكرمته ورجل أهنته ولا يكون عندنا صفة ولم يحول الخبر لان الشق اذا كان عنده كان غير محول والخبر لا يكون مؤكدا بخلاف الحال قال

*(ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق * اذا توقدت الحزاز والميل)*

(قوله الغيوب) اما جمع غائب كشاهد وشهود او غيب والاول أولى ولم أرهم ذكروا الا الثاني مع انه مجاز اذ الغيب في الاصل مصدر غاب ثم أطلق على الغائب اطلاق الغور على الغائر في قوله تعالى قل أرأيتم ان أصبح

مثل عيني مفرد لهق فحذفت الصفة وهي لفظ مثل والمضاف بعدها والجار والمجرور متعلق بترمي والمفرد هو الثور الوحشي الذي انفرد عن انيسته وقد غلب عليه وصف المفرد كما غلب الاغن على الظبي فتى قيل مفرد انصرف للثور المذكور وانما شبه عينيها بعينيه لانه ألف البراري والفلوات وخبرها بكثرة مروره فيها واعتاد الصبر على شدة الحر ولكونه من أحد الوحوش نظرا خصه بالتشبيه به في حدة النظر واعتبر حال تفرده عن أنيسته لانه حينئذ يكثر تحديقه للنظر ٤٨ ويقوى نشاطه وخفته ومعنى لهق بفتح الهاء وكسرها الابيض فان قيل لم خصه بالابيض مع انه لا مدخل للون في تشبيه الناقة بالثور الوحشي في تحديق النظر وحدته أجيب بان ذلك لمعنى آخر غير تحديق النظر وحدته وهو زيادة الحسن لان عين البقر الوحشي في غاية السواد فاذا كان الثور من البقر الوحشي أبيض مع شدة سواد عينيه يكون في غاية من الحسن وذكر بعضهم انه اذا كان أبيض كان أقوى في النظر وعليه فوصف الثور الوحشي بالابيض له مدخل في تشبيه الناقة به في حدة البصر وقوله اذا توقدت الحزاز والميل أي وقت توقدهما واذا بمعنى وقت مجرد عن معنى الشرط وهو ظرف لترمي الغيوب الخ وان قدر فيه معنى الشرط فعاملها شرطها والجواب محذوف دل عليه ما تقدم أي فهي ترمي الغيوب وعلى كل فلا مفهوم له لانها اذا كانت حديدة البصر في هذه الحالة لكون شدة الحر لا تقدح في بصرها ولا تؤثر في عينيها بل كانت همتها ما كانت عليه من استخراج المغيبات ومعرفة المسالك الخفيات فما ظنك بها في غير هذه الحالة والمراد بالتوقد هنا اشتداد الحر تشبيها له بتوقد النار والحزاز بكسر الحاء المهملة وتشديد الزاي وفي آخره زاي أيضا هي وكنت الامكنة الغليظة الصلبة وهي جمع حزيز بفتح الحاء المهملة وكسر الزاي وفي آخره زاي أيضا وهو المكان الغليظ الصلب ويجمع في القلة على أحزة كعزيز واعزة والميل بكسر الميم جمع ميلاء بفتحها وهي العقدة الضخمة من الرمل وقيل المراد الميل الذي هو مد البصر وليس بشئ وعبارة التبريزي والميل من الارض معروف وليس في عبارته ما يعين المراد وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة في غاية حدة البصر حتى انها تبصر ما غاب من آثار

ماؤكم غور او فعل يجمع على فعول ان صحت عينه كفلس وفرخ أو اعتلت بالياء كبيت وشيخ وضيف وسيف فان اعتلت بالواو فجمعه عليه شاذ كفوج وقوس استثقالا للضمتين في صدر جمع وبعدهما واو ويجوز كسر أوله ليخف ويقرب من الياء وقرئ به في السبعة في نحو بيوت وعيون وغيوب وذكر الزجاج ان أكثر النحويين لا يعرفونه وانه عند البصريين ردئ جدا لانه ليس في العربية فعول بالكسر واستدل الفارسي على جوازه بانه يجوز في تحقير عين وبيت ونحوهما كسر الاول وممن حكى ذلك سيبويه مع ان فعيلا بالكسر ليس من أبنية التحقير وقوله بعيني مفرد أي بعينين مثل عيني ثور مفرد فحذف الصفة والمتضايفين بعدها وأضاف الموصوف الى صفة المضاف اليه الثاني المحذوف ونظيره قول الآخر

ابيتن الا اصطياد القلوب * بأعين وجرة حينا فحينا

أي بأعين مثل أعين ظباء وجرة بفتح الواو واسكان الجيم موضع وانما شبه عينيها بعيني الثور الوحشي الذي أفرد عن أنثاه لانه حينئذ يكثر تحديقه ويقوى نشاطه وخفته وهذا تشبيه بليغ لترك أداة التشبيه وليس باستعارة لاشتماله على ذكر طرفي التشبيه ويقال ثور مفرد وفرد بالاسكان وفرد بالفتح وفرد بالكسر وفارد وفريد وفردات (وقوله لهق) هو بفتح الهاء وكسرها فان فتحت احتمل وجهين أحدهما أن يكون مقصورا من اللهاق وهو الثور الابيض قال

لهاق تلألؤه كالهلال *

وقال اسامة الهذلي

والا النعام وحفانه * وطغيا مع اللهق الناشط

الحفان بفتح الحاء المهملة فراخ النعام وطغيا الصغير من بقر الوحش معجم الغين مهمل الطاء مضموما عند الاصمعي مفتوحها عند ثعلب وعلى هذا التقدير فهو بدل من قوله مفرد بدل كل من كل بدل نكرة من نكرة والثاني أن يكون صفة من قولهم لهق بالكسر لهقا بالفتح فهو لهق ولهق بالفتح والكسر مثل يقق ويقق اذا كان شديد البياض وان كسرت كان وصفا من لهق بالكسر كما ذكرنا وعلى هذين الوجهين فهو نعت وأجود الوجه الاول لانه لا مدخل للون في تشبيه الناقة بالثور المفرد في حدة النظر فاذا قدر مقصورا من اللهاق كان اسما وكانت افادته للون ضمنا واذا كان نعتا كانت افادته للون قصدا (وقوله الحزاز) بحاء مهملة وزاي معجمة مشددة وهو جمع حزيز بزايين المكان الغليظ الصلب كظلمان في جمع ظليم وهو ذكر النعام ويجمع في القلة على أحزة والميل جمع ميلاء وهي العقدة الضخمة من الرمل وقيل المراد الميل الذي هو مد البصر وليس بشئ وقال الخطيب التبريزي وعبد اللطيف البغدادي الميل جمع أميل وميلاء زاد التبريزي والميل من الارض معروف وليس في كلامهما ما يبين المراد ولا ضرورة لتكلفهما جعله جمعا للمذكر والمؤنث معا * (تنبيه) * اذا قيل بانه جمع فوزنه فعل بالضم ولكن أبدلت ضمته كسرة لتسلم ياؤه من الانقلاب واوا كما في بيض وعيس واذا قيل بانه مفرد احتمل عند سيبويه وجهين أحدهما أن يكون كذلك والثاني ان يكون فعلا بالكسر على الظاهر وكذلك يجوز عنده في نحو قيل وديك ان يكون فعلا أو فعلا وفي معيشة ان يكون مفعلة أو مفعلة وذلك لانه يوجب ابدال الضمة بقلبها كسرة حيث وقعت قبل ياء هي عين لئلا تنقلب تلك الياء ألفا أو لئلا تنقلب الياء واوا ويقول في قول الشاعر

وكنت اذا جارى دعا لمضوقة * اشمر حتى ينصف الساق مئزرى

انه شاذ وكان قياسه مضيقة والمضوقة الامر الذى يشق وأبو الحسن يخالفه فى ذلك و يقول اذا بنى من العيش مفعلة بالضم قيل معوشة ويجعل المضوقة قياسا ويوجب فى نحو ديك وقيل ومعيشة أن يكون وزنها على الظاهر ويقول انما تقل الضمة فى هذا النحو فى باب الجمع كبيض وعيس وفى الصفة التى على فعلى كمشية حيكى وقسمة ضيزى ومعنى البيت ان هذه الناقة تشبه فى وقت توقد الارض وشدتها بعيون الثور الوحشى الفاقد لانثاه فى حدة النظر وخفة الجسم والنشاط فما ظنك بها فى غير هذا الوقت قال

*(ضخم مقلدها عبل مقيدها * فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل)*

(قوله ضخم) فيه ثلاث مسائل (الاولى لغوية) وهى ان ضخم بضم الخاء ضخما بفتحها وكسر الضاد مثل غلظ غلظا وزنا ومعنى و يقال أيضا ضخامة كشهامة والوصف منه ضخم كشهم وضخم بكسر ففتح فتشديد على وزن مراده وهو خدب واضخم بوزن احمر واضخم بوزن ارزب وهو القصير وضخام بوزن شجاع وأنشد سيبويه لرؤبة بن العجاج * ضخم يحب الخلق الاضخما بهمزة مفتوحة مع التشديد وليس فى الابنية افعل ولكنه شدد للوقف ثم ألحق الف الاطلاق ووصل بنية الوقف و يروى الاضخما بكسر الهمزة والضخما بلا همزة فلاضرورة وجمع الضخم والضخمة ضخام وجمع الضخمة أيضا ضخمات بالاسكان لانه صفة والضخامة فى بيت رؤبة معنوية وهى علو الهمة وفى بيت كعب حسية وهى غلظ الرقبة *(المسئلة الثانية اعرابية)* يجوز فى ضخم الرفع والنصب والجر فاما الرفع فعلى أربعة أوجه أن يكون خبرا عن مقلدها أو عن هى مضمرة أو صفة لعذافرة وعليهما فانما لم يؤنث لاسناده لمذكر وهو مقلدها نحو من هذه القرية الظالم أهلها والرابع ان يكون مبتدأ وفاعله سادا مسد الخبر وذلك على رأى أبى الحسن والكوفيين فى اجازة قائم الزيدان من غير اعتماد وعلى غير الوجه الثالث من هذه الاوجه فقوله ضخم مقلدها جملة اما فى موضع رفع صفة لعذافرة أو نصب على الحال أو خفض صفة لنضاخة أولا موضع لها على انها مستأنفة * وأما النصب فاما باضمار أمدح أو على انه حال من عذافرة * وأما الجر فاما على انه صفة لنضاخة على لفظها أو لعذافرة على معناها اذ المعنى وان يبلغها غير عذافرة كما تقول ما جاءنى الا زيد وعمرو بخفض عمرو وأجازه ابن خروف وجماعة منهم ابن مالك تمسكا بامرين أحدهما القياس على ما جاءنى غير زيد وعمرو وبالرفع حملا لغير على الا كقوله

لم يبق غير طريد غير منفلت * وموثق فى حبال القد مجبوب

غير الاولى مرفوعة على الفاعلية والثانية مخفوضة صفة لطريد وروى رفعها بالحمل على معنى الا طريد وموثق مخفوض عطفا على طريد وروى رفعه عطفا على المعنى المذكور لا عطفا على غير لفساد المعنى والثانى ماورد من قوله

وماهاج هذا الشوق الاحمامة * تغنت على خضراء سمر قيودها

فمن خفض سمر صفة لحمامة والمراد بقيودها رجلاها لانها موضع القيود وله هذا يقول كعب فعم مقيدها وأجاب المانعون بانه لا يلزم من جواز حمل غير على الا جواز العكس لان الا أصل وبان سمر صفة لخضراء على ان المراد بقيودها عروقها النابتة فى الارض أو صفة لحمامة ولكنه خفض لمجاورة المخفوض وهذا الوجه غلط لان المراد بخفض الجوار التناسب اللفظى ولا تناسب بين مفتوح ومكسور والوجه الاول بعيد لان

الطريق عن العيون بعينيها الشبيهتين بعينى الثور الوحشى الابيض وقت اشتداد الحر فى الامكنة الغليظة الصلبة والرمال المتعقدة لضخمة حتى كأنها توقدت نارا وفى غير هذا الوقت من باب أولى (قوله ضخم مقلدها الخ) لما وصفها فى البيت قبل هذا بانها فى غاية حدة البصر وصفها فى هذا البيت بأنها فى غاية الضخامة والقوة والحسن على ما يقتضيه تفسير كلامه الآتى فقال ضخم مقلدها الخ أى غليظ موضع القلادة منها فالضخم بفتح الضاد وسكون الخاء الغليظ وهو وصف من ضخم بضم الخاء ضخما بكسر الضاد وفتح الخاء مثل ٤٩ غلظ غلظا وزنا ومعنى و يقال ضخامة كشهامة ومقلدها بضم الميم وفتح القاف وتشديد اللام موضع القلادة من العنق والظاهر ان المراد به هنا جميع العنق تسمية للكل باسم الجزء ويؤيده قوله فى البيت الآتى غلباء فان المراد به غليظة العنق كما سيأتى قال ابن هشام وقد عيب على الناظم فى ذلك فقد قال الاصمعى هذا خطأ فى الوصف وانما خير النجائب ما دق مذبحه وقال أبو هلال العسكرى فى كتاب الصناعتين من خطأ الوصف قول كعب ابن زهير ضخم مقلدها لان النجائب توصف برقة المذبح وقد كرر هذا الوصف اذ قال فى البيت بعده غلباء على ما سيأتى ويجاب عن الناظم بما قاله بعضهم من ان الضخم يمكن تفسيره بالعظيم فى ذاته والحسن فى صفاته وهذا لا ينافى رقة المذبح وقوله عبل مقيدها ويروى فعم مقيدها أى غليظ موضع القيد منها فالعبل بفتح العين وسكون الباء وباللام فى آخره الغليظ وكذا الفعم بفتح الفاء وسكون العين وبالميم فى آخره فهو بمعنى العبل ومقيدها بضم

الميم وفتح القاف وتشديد الياء موضع القيد منها وهو قوائمها و يجوز فى كل من ضخم وعبل أو فعم أوجه الاعراب الثلاثة أما الرفع فعلى انه خبر لهى مضمرة أو صفة لعذافرة أو على انه خبر مقدم وما بعده مبتدأ مؤخر او على انه مبتدأ وما بعده فاعل سد مسد الخبر بناء على رأى أبى الحسن والكوفيين من عدم اشتراط الاعتماد وأما النصب فعلى انه مفعول لمحذوف تقديره أمدح مثلا أو على انه حال من عذافرة وأما الجر فعلى انه صفة لنضاخة على لفظها أو لعذافرة على معناها لان المعنى غير عذافرة فقد أجاز ابن خروف وجماعة منهم ابن

ما اللث ان تقول ما جاءنى الا زيد وعمر و بخفض عمر و على معنى ما جاء فى غير زيد وعمر و وقوله فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل أى فى خلقتها عن الاناث من الابل المنسوبة للفحل المعد للضراب تفضيل لها فى الهيئة والقوة فخلقها بفتح الخاء وسكون اللام بمعنى الخلقة والمراد ببنات الفحل الاناث من الابل المنسوبة للفحل المعد للضراب وعن الداخلة على بنات الفحل بمعنى على وهى متعلقة بتفضيل ويصح ابقاؤها على بابها او تكون متعلقة بمحذوف تقديره متميزة أو ممتازة وفى خلقها خبر مقدم وتفضيل مبتدأ مؤخر وسوغ الابتداء به تقديم الخبر وهو جار ومجرور أو الوصف المستفاد من التنوين أى تفضيل جليل فيه تبجيل ٥٠ وهو محتمل لان يراد منه انها مفضلة على غيرها فى عظم الخلقة والضخامة أو فى حسن الخلقة والتكوين أو فيهما معا فعلى الاول يكون فيه اشارة الى ان بين اجزائها تناسبا وهو من صفات المدح بخلاف ما اذا كان بعض أجزائها لا يناسب بعضا فى الضخامة فانه مما يذم به وعلى الثانى يكون فيه اشارة الى انها جمعت بين ضخامة العنق والقوائم التى هى دليل على قوتها فى السير وبين حسن التكوين وعلى الثالث تكون جمعت بين الضخامة وعظم الخلقة وحسن التكوين والحاصل انه وصفها فى هذا البيت بثلاث صفات الاولى ضخامة العنق وذلك مؤذن بضخامة جميع هامتها وعظمها والثانية عظم قوائمها وذلك دليل على قوتها فى السير وطاقتها على ثقل الحمل والثالثة تفضيلها على غيرها فى عظم الخلقة أو فى حسن التكوين أو فيهما معا وقد اشتمل الشطر الاول من هذا البيت على أنواع من البديع أحدها الجناس بين مقلدها ومقيدها وهو جناس غير مستوفى لتخالف الكلمتين

العروق المستورة بالارض غير مشاهدة فلا يحصل بها تهييج للعب (المسئلة الثالثة أدبية) وهى ان المقلد موضع القلادة من العنق والمراد وصف الناقة بغلظ الرقبة وقد عيب ذلك فقال الاصمعى هذا خطأ فى الوصف وانما خير النجائب مادق مذبحه وقال أبو هلال العسكرى فى كتاب الصناعتين من خطأ الوصف قول كعب بن زهير ضخم مقلدها لان النجائب توصف برقة المذبح اه وقد كرر هذا الوصف اذ قال فى البيت بعده غلباء على ماسيأتى (قوله عبل مقيدها) اعرابه كاعراب ضخم مقلدها والعبل كالضخم وزنا ومعنى وفرس عبل الشوى أى غليظ القوائم وقد عبل بالضم عبالة كضخم ضخامة والانثى عبلة وجمعها عبال وجمع العبلة أيضا عبلات بالاسكان ويروى فعم وهو كالضخم والعبل وزنا ومعنى وفعله بالضم كفعلهما ومصدره الفعامة والفعومة وافعمته ملأته وقالوا سيل مفعم بفتح العين على المجاز وهو عكس عيشة راضية وحقيقتها سيل مفعم بالكسر لانه مالئ لاما لو وعيشة مرضية (وقوله مقيدها) أى موضع القيد منها وذلك انها اذا كانت أطرافها غليظة كان ذلك أقوى لها على السير (وههنا مسائل) الاولى ان صيغة المفعول مما زاد على ثلاثة يأتى مصدرا نحو ومزقناهم كل ممزق أى كل تمزيق وزمانا كقوله * الحمد لله ممسانا ومصبحنا * أى وقت امسائنا واصباحنا ومكانا نحو رب أدخلنى مدخل صدق الآية جاء فى التفسير أن مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة والسلطان النصير الانصار ومنه قول كعب مقلدها ومقيدها وزعم أبو الحسن ان اسم مفعول الثلاثى يأتى أيضا مصدرا ولكنه مسموع كقولهم ماله معقول ولا مجلود أى لا عقل ولا جلد (المسئلة الثانية) اشتمل هذا الشطر على أنواع من البديع أحدها الجناس وذلك فى مقلدها ومقيدها وهو جناس غير مستوفى اذ تخالفت الكلمتان فى الباء واللام ويسمى مثل ذلك اذا تقارب الحرفان جناسا مضارعا نحو وهم ينهون عنه وينأون عنه وفى الحديث الخيل معقود فى نواصيها الخير واذا لم يتقاربا جناسا لاحقا نحو ويل لكل همزة لمزة ومما مثل به صاحب الايضاح لذلك قوله تعالى واذا جاءهم أمر من الامن وهو سهو اذ الراء والنون اما من مخرج واحد او من مخرجين متقاربين * النوع الثانى التسجيع وهو اتفاق القرينتين فى الحرف الخاتم لها والثالث الترصيع وهو توازن كلمات السجع ومن بديع ما جاء منه قول الحريرى فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه (قوله فى خلقها) البيت الخلق بمعنى الخلقة وعن بمعنى على وهى متعلقة بتفضيل وان كان مصدرا لانه ليس منحلا لان والفعل ومن ظن ان المصدر لا يتقدمه معموله مطلقا فهو واهم وعلى هذا فاللام من قول الحماسى و بعض الحلم عند الجهـ ـل للذلة اذعان متعلقة باذعان المذكور لا باذعان آخر مقدر قال

*(غلباء وجناء علكوم مذكرة * فى دفها سعة قدامها ميل)*

(قوله غلباء) أى غليظة الرقبة والذكر أغلب وجمعهما غلب ويكون فى الآدمى أيضا وقال أبو حاتم الغلب قصر العنق مع غلظه وقيل قصر وميل والذى يظهر لى انه مشترك بين الغليظ والمائل فالاول كما فى بيت كعب ولا يجوز ان يريد به القصر وحده ولا مع وصف آخر لئلا يتناقض مع قوله قدامها ميل فانه كناية عن طول

فى اللام والباء ويسمى مثل ذلك اذا تقارب مخرج الحرفين جناسا مضارعا نحو وهم ينهون عنه وينأون عنه وفى الحديث الخيل معقود فى نواصيها الخير واذا لم يتقارب مخرجهما جناسا لاحقا نحو ويل لكل همزة لمزة ثانيها التسجيع وهو اتفاق القرينتين فى الحرف الخاتم لهما ثالثها الترصيع وهو توازن كلمات السجع ومن بديع ما جاء فيه قول الحريرى فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه (قوله غلباء وجناء الخ) قد وصف تلك الناقة فى هذا البيت بستة أوصاف الاول غلظ العنق وهو المعنى بقوله غلباء بفتح الغين وسكون اللام وفتح الباء بعدها ألف التأنيث أى غليظة الرقبة ويقال للذكر اغلب وفعله غلب بكسر اللام يغلب بفتحها غلبا بفتحتين وأما غلب بفتح اللا

يغلب بكسرها فكل منهما فعل الغالب قال تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون وجمع غلباء واغلب غلب بضم فسكون قال تعالى وحدائق غلبا أى غليظة الاشجار فهو مستعار من غلظ العنق لغلظ الاشجار و يطلق على قصر العنق وميل فيه ولا يصح ارادة ذلك هنا لانه يناقض مع قوله قدامها ميل فانه كناية عن طول العنق كما سيأتى وقد تكرر منه الوصف بعظم العنق فى بيتين متوالين على ما علمته من تفسير كلامه الثانى عظم الوجنتين وهو المعنى بقوله وجناء بفتح الواو وسكون الجيم وفتح النون بعدها ألف التأنيث أى العظيمة الوجنتين وهما ما ارتفع من الخدين وهذا الوصف ممدوح فى الابل بخلافه فى الخيل فان الممدوح فيها قلة لحم الخدين وقيل الوجناء الناقة الشديدة أخذا من الوجين وهو ما صلب من الارض وعلى هذا فالوجناء موافقة لمعنى العذافرة فان المراد بها الصلبة العظيمة على ما تقدم الثالث كونها شديدة وهو المعنى بقوله علكوم بضم العين وسكون اللام وضم الكاف بعدها واو وفى آخره ميم فمعناه الشديدة وهو من الاوصاف المختصة بالابل ويستوى فيه المذكر والمؤنث ولا شك أن كونها شديدة هو أعلى أوصافها فلذلك تكرر وصفها به الرابع كونها عظيمة الخلقة وهو المعنى بالمذكرة بضم الميم وفتح الذال وتشديد الكاف المفتوحة وفتح الراء وفى آخره تاء التأنيث فالمعنى انها كالذكر من الاباعر فى عظم خلقتها وقد تكرر أيضا وصفها بكونها عظيمة الخلقة وقد يراد بالمذكرة ما هو أعم من عظيمة الخلقة فقد قال بعض الحكماء ان المذكر من الابل أحسن خلقا وأقل عبثا وأعز نفسا وأكرم عهدا وأدوم ودا وأصبر على المكروه من الانثى الخامس كونها واسعة الجنبين وهو المعنى بقوله فى دفها سعة فان الدف بفتح الدال وتشديد الفاء الجنب والمراد جنباها جميعا فهو مفرد أريد به مثنى كما تقدم نظيره والسعة بفتح السين ضد الضيق وكونها واسعة الجنبين يستلزم كونها عظيمة الخلقة ففى هذا الوصف تأكيد للوصف قبله السادس كونها طويلة العنق وهو المعنى بقوله قدامها ميل فهو كناية عن طول العنق وقدام ضد خلف والميل بكسر الميم مد البصر وهو مقدر باربعة آلاف ذراع بالذراع الهاشمى وهو ذراع قدره بنو العباس حين خلافتهم ونسب الى بنى هاشم لكون بنى العباس منهم قال السيوطى وما وقع لبعض أصحابنا الشافعية من نسبته الى هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم نسب فيها الى الوهم و يحتمل انه أراد بقوله قدامها ميل كونها واسعة الخطوة جدا حتى كأنها قدر ميل فعلى التفسير الاول يكون المصنف قد وصفها فى أول البيت بغلظ العنق وفى آخره بطوله فأكمل لها الوصفين وفيه من تمام حسنها ما لا يخفى وعلى التفسير الثانى يكون المصنف قد وصفها بسرعة السير التى هى المقصود الاعظم وحاصل معنى

عنقها كما سيأتى والثانى كقوله

مازلت يوم البين ألوى صلبى * والرأس حتى صرت مثل الاغلب

ولا مدخل لمعنى الغلظ هنا وقد يستعار الغلب لغلظ غير العنق قال الله تعالى وحدائق غلبا أى انها غلبت الاشجار وفعل الاغلب غلب بالكسر يغلب بالفتح غلبا وفعل الغالب غلب بالفتح يغلب بالكسر غلبة وغلبا أيضا ومنه وهم من بعد غلبهم سيغلبون وأما قول الفراء وابن مالك ان الاصل غلبتهم ثم حذفت التاء للاضافة كما فى قوله تعالى واقام الصلاة وقوله

ان الخليط اجدوا البين فانجردوا * وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا

فستغنى عنه (وقوله وجناء) أى عظيمة الوجنتين أى طرفى الوجه أو انها صلبة من الوجين وهو ما صلب من الارض (وقوله علكوم) أى شديدة ويختص بالابل ويستوى فيه الذكر والانثى ومثله العلجوم (وقوله مذكرة) أى انها فى عظم خلقها تشبه الذكر من الاباعر والكلمات الاربع صفات لعذافرة أو اخبار عن هى محذوفة ويجوز نصبها أوجها على ما مر (وقوله دفها) بفتح الدال مهملة أى جنبها وفيه انابة الواحد عن الاثنين كما مر فى الذفرى (وقوله سعة) هو بفتح السين وكان القياس الكسر كالعدة والزنة والهبة ولكنهم ربما فتحوا عين هذا المصدر لفتحها فى المضارع كالسعة والضعة وهو مبتدأ مؤخر أو فاعل بالظرف لاعتماده على ما سبق من مخبر عنه أو موصوف (وقوله قدامها ميل) يصفها بطول العنق ويجوز فى قدامها النصب وهو الاصل والرفع على حد ارتفاعه فى قول لبيد بن ربيعة رضى الله عنه فى معلقته التى أولها * عفت الديار محلها فمقامها *

فغدت كلا الفرجين تحسب انه * مولى المخافة خلفها وأمامها

الفرج والثغر موضع الخوف والمولى هنا الولى ومثله فان الله هو مولاه والمراد بمولى المخافة الموضع الذى يخاف منه وكلا اما ظرف لغدت وهو الارجح واما مبتدأ خبره ما بعده والجملة حال وخلفها اما بدل من مولى واما خبر عنه والجملة خبر لان واما خبر لمحذوف تقديره هما وقال حسان رضى الله عنه

نصرنا فما نلقى لنا من كتيبة * مد الدهر الا جبرئيل امامها

والقوافى مرفوعة وانما استشهدت على جواز رفع الامام لان بعض العصريين وهم فيه وزعم انه لا يتصرف قال

*(وجلدها من أطوم ما يؤيسه * طلح بضاحية المتنين مهزول)*

أى ان جلدها قوى شديد الملاسة لسمنها وضخامتها فالقراد المهزول من الجوع لا يثبت عليها ولا يلتزق بها (وقوله من أطوم) جزم التبريزى بان الاطوم الزرافة وان الجامع بينهما الملاسة وعلى هذا هو بفتح الهمزة ولا يتعين ما قاله بل يجوز أن يريد به السلحفاة البحرية وهذا أولى لوجهين أحدهما أن استعمال الاطوم بهذا المعنى كثير بخلاف استعماله بمعنى الزرافة فانه قليل حتى ان الجوهرى وصاحب المحكم وكثيرا من أهل اللغة

البيت ان هذه الناقة غليظة الرقبة عظيمة الوجنتين أو صلبة شديدة عظيمة الخلقة كالذكر من الاباعر واسعة الجنبين طويلة العنق أو واسعة الخطوة (قوله وجلدها من أطوم الخ) أي وهذه الناقة جلدها كأنه من جلد أطوم لنعومته وملاسته فالمعنى على التشبيه واختلف في الاطوم بفتح الهمزة فقال التبريزي انها الزرافة وقال في المحكم هي سلحفاة بحرية غليظة الجلد وقيل سمكة في البحر يشبه بجلدها جلد البعير الاملس ويتخذ من جلدها الخفاف للجمالين ويخصف بها النعال وحملها على السلحفاة أولى لوجهين أحدهما ان استعمال الاطوم ٥٢ فيها أكثر حتى ان الجوهري وكثيرا من أهل اللغة لم يذكروا استعمالها في الزرافة وثانيهما ان ملاسة جلد السلحفاة أكثر فالتشبيه بها أبلغ والجزم بعضهم بان أطوم في البيت بضمتين وهي الحصون وقال انه شبه جلدها بالحصون القوية وقال ابن العربي الاطوم القصور ولا يخفى ما في ذلك من البعد وقوله لا يؤيسه طلح أي لا يذلله ولا يؤثر فيه قراد وفي نسخة التعبير بما يدل لا ويؤيسه بضم الياء المثناة التحتانية وفتح الهمزة وتشديد الياء المثناة التحتية المكسورة وضم السين المهملة يقال أيسه تاييسا ذلله واثر فيه والطلح بكسر الطاء وسكون اللام في آخره حاء مهملة هو القراد ويقال أيضا طليح بزيادة ياء وهذه الجملة اما خبر ثان للمبتدأ وهو جلدها أو مستأنفة لبيان جهة التشبيه وقوله بضاحية المتنين أي في الضاحية المنسوبة للمتنين فالباء بمعنى في ويصح ان تكون بمعنى على والاضافة على معنى اللام وضاحية كل شئ ناحيته البارزة للشمس من ضحى يضحى اذا برز للشمس قال تعالى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى أي لا تبرز للشمس والمراد بالمتنين ما اكتنف صلبها من يمين وشمال من عصب ولحم وهما تثنية متن بفتح الميم وسكون المثناة الفوقية وأل في المتنين خلف عن الضمير على رأى من يجيز ذلك والمراد بضاحية المتنين ما برز منهما للشمس وانما خصها بالذكر لان القراد في الشمس تقوى همته وتكثر حركته ويشتد امتصاصه للدم بخلافه في غير الشمس فانه تضعف همته وتقل حركته وينقص امتصاصه للدم من البرد وقد وصف جلدها بانه لا يؤثر فيه القراد (حرف

لم يذكروه والثاني ان ملاسة جلد السلحفاة أكثر فالتشبيه بها أبلغ ولو انه قال مشبهة بجلد الزرافة لقوته وملاسته كان التخصيص بالزرافة متجها وفي المحكم الاطوم سلحفاة بحرية غليظة الجلد وقيل سمكة غليظة الجلد في البحر يشبه بها جلد البعير الاملس ويتخذ منها الخفاف للجمالين ويخصف بها النعال وقيل الاطوم القنفذ والبقرة وقيل انما سميت بذلك على التشبيه بالسمكة لغلظ جلدها اه والتقدير وجلدها كجلد اطوم وجزم عبد اللطيف بان الاطوم في البيت بضمتين وقال شبه جلدها بالحصون لقوته اه ولا خفاء بما في تشبيه الجلد بالحصون من البعد ومما يزيده بعدا أنه قال من أطوم ولم يقل شبه أطوم ولا يحسن ان يقال جلدها من حصن أو قصر ومفرد الاطوم أطم بضمتين وهو الحصن المبني بالحجارة وقيل كل بيت مربع مسطح وجمعه في القلة آطام قال الاعشى

فلما أتت آطام جو وأهله * أنيخت فألقت رحلها بفنائها

والكثير الاطوم وقال ابن الاعرابي الاطوم القصور (وقوله يؤيسه) أي يذلله ويؤثر فيه يقال آس أيسا مثل سار سيرا بمعنى لان وذل وأيسه تأييسا أي لينه وذلله قال المتلمس * تطيف به الايام ما يتأيس * أي ما يتأيس ولا يتغير (وقوله طلح) فاعل يؤيسه وهو بكسر الطاء القراد ويقال أيضا طليح وأصل الطلح والطليح المعيي من الابل وغيرها قالت العرب راكب الناقة طليحان أي أحد طليحين أو راكب الناقة والناقة طليحان وقال الحطيئة يذكر ابلا وراعيها

اذا نام طلح أشعث الرأس خلفها * هداه لها أنفاسها وزفيرها

وجملة ما يؤيسه طلح اما خبر ثان لجلدها أو حال من ضمير الظرف أو مستأنفة لبيان جهة التشبيه على تقدير سؤال (وقوله ضاحية) اسم فاعل من ضحيت بالكسر تضحى بالفتح اذا برزت للشمس قال عمر بن أبي ربيعة

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأما بالعشي فيخصر

وقال الله تعالى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى (قوله المتنين) يريد به متني ظهرها أي ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال من عصب ولحم والمتن يذكر ويؤنث وأل في المتنين خلف عن الضمير وضاحية المتنين مثل حسنة الوجه والمراد ما برز من متنها للشمس (وقوله مهزول) صفة لطلح وهذا البيت وقع في شعر الشماخ واسمه معقل بن ضرار بن حرملة وهو صحابي مثل كعب رضي الله عنهما الا انه قال * طلح بضاحية الصيداء مهزول * ونظير ذلك ان امرأ القيس قال

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتحمل

وقال طرفة كذلك الا أنه قال وتجلد لانه في معلقته دالية ودون هذا قول أبي نواس وهو بنون مضمومة بعدها واو لا همزة كما يقول بعض من لا معرفة له لانه من ناس ينوس اذا تحرك لقب بذلك لانه كان ذا ذؤابة تنوس على ظهره

فتى يشتري حسن الثناء بماله * ويعلم ان الدائرات تدور

وقال الاسود اليربوعي قبله

فتى يشتري حسن الثناء بماله * اذا السنة الشهباء أعوزها القطر

وهذا ونحوه محتمل للاخذ ولتوارد الخواطر قال

المكان فى ضاحية منها فلا أن لا يؤثر فيه فى البرد أولى وقوله مهزول صفة لطلح أى مهزول من الجوع واذا كان لا يستطيع التأثير فيه مع شدة الجوع التى يكون فيها أشد انتشاما على امتصاص الدم وأكثر ولعا بذلك كان لا يؤثر مع الشبع من باب أولى لانه مع الشبع لا ينهمك على امتصاص الدم ولا يكثر ولوعه به وحاصل معنى البيت ان جلد هذه الناقة فى غاية النعومة والملاسة فلا يؤثر القراد المهزول من الجوع فيه برز للشمس من ناحيتى صلبها عن يمين وشمال (قوله حرف الخ) أى هى حرف الخ فحرف خبر لمبتدا محذوف تقديره هى و يحتمل انه صفة لعذافرة والمعنى على التشبيه فالتقدير مثل حرف أو كحرف بملاحظة ان الكاف اسم بمعنى مثل ولا يحسن أن تضمر الكاف الحرفية لضعف حروف الجر أو انه جعلها نفس الحرف مبالغة والمراد بالحرف هنا حرف الجبل وهو القطعة الخارجة منه وتشبيهها به فى القوة والصلابة واما احتمال ارادة حرف الخط وتشبيهها به فى الضمور والدقة فينافيه ما تقدم من وصفها بعظم الخلقة وسعة الجنبين وغير ذلك قال الشاعر

*(حرف أخوها أبوها من مهجنة * وعمها خالها قوداء شمليل)*

(قوله حرف) محتمل للاعرابين كونه خبر المحذوف أى هى وكونه صفة لعذافرة ومحتمل لمعنيين ارادة حرف الجبل وهو القطعة الخارجة منه أى انها مثله فى القوة والصلابة وارادة حرف الخط أى أنها مثله فى الرقة والضمور ومحتملة لثلاثة تقادير أحدها اضمار الكاف للمبالغة فى معنى التشبيه والثانى أن يكون جعلها نفس الحرف مبالغة وعليهما فلا ضمير فيها الثالث ان يؤول الحرف بصلبة على المعنى الاول ومهزولة على المعنى الثانى وعلى ذلك ففيه ضمير لانه قد أول بالمشتق فاعطى حكمه والاوجه الثلاثة فى نحو قولك زيد أسد (وقوله أخوها أبوها وعمها خالها) محتمل لمعنيين أحدهما التشبيه أى أن أخاها يشبه أباها فى الكرم وعمها يشبه خالها فى ذلك والثانى التحقيق وانها من ابل كرام فبعضها يحمل على بعض حفظا للنوع ولهذا النسب صور منها ان فحلا ضرب بنته فأتت ببعيرين فضربها أحدهما فاتت بهذه الناقة وقال الفارسى فى تذكرته صورة قوله أخوها أبوها ان أمها أتت بفحل فالقى عليها فاتت بهذه الناقة واما عمها خالها فيتجه على النكاح الشرعى تزوج أبو أبيك بأم أمك فولد لهما غلام فهو عمك وخالك الا انه عم لاب وخال لام صورة أخرى تزوجت أختك من أمك أخاك من أبيك فولد لهما ولد فانت عم هذا الغلام أخو أبيه وخاله لانك أخو أمه من أمها اه ولا ينطبق تفسير أبى على رحمه الله على ما ذكرت فى البيت لان الشاعر لم يصف الناقة باحد النسبين بل بهما معا (وقوله من مهجنة) المهجنة الناقة الكريمة أى من ناقة مهجنة أو من نياق مهجنة والهجائن كرام الابل واصل الهجنة غلظ الخلق كغلظ البراذين (وهنا تنبيه على أمرين) أحدهما ان التهجين مدح فى الابل وذم فى الآدميين لان معناه فى الابل كرم الابوين وفى الآدميين ان يكون الاب عربيا والام أمة يقال منه رجل هجين وان كان الامر بالعكس قيل رجل مقرف وفلنقس بوزن سفرجل أوله فاء ورابعه قاف قال

العبد والهجين والفلنقس * ثلاثة فايهم تلتمس

وقال

كم بجود مقرف نال الغنى * وكريم بخله قد وضعه

يجوز فى مقرف الجر باضافة كم والنصب على التمييز حملا للخبرية على الاستفهامية كراهة الفصل بين المتضايفين ومن الملح أن أعرابيا جاء الى ابن شبرمة القاضى فقال مسئلة فقال هات فقال ان أبى مات وخلفنى وشقيقالى وخط باصبعه فى الارض خطين متجاورين ثم قال وخلف هجينا وخط خطا آخر بعيدا ثم قال ولم يخلف غيرنا فاقسم المال بيننا قال هو بينكم اثلاثا فقال سبحان الله كانك لم تفهم المسئلة فقال أعدها على فاعادها فاجابه كالاول فقال أيرث الهجين كما أرث قال نعم فقال لقد علمت والله أن خالاتك بالدهناء قليلة فقال لا يضرنى ذلك

وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط أى ورب ناقة كحرف الجبل فى الصلابة والشدة كنون فى الضمور والدقة تحت رجل يضرب رئتها يقال رأيته اذا ضربت رئته ولم يكن يرافق فى سيره يقال دلى فى سيره اذا رفق يقصد رسم الدار حال كونه قد غيره النقط بمعنى المطر وقوله أخوها أبوها من مهجنة وعمها خالها لما صدر البيت بقوله حرف وتقدم ان المراد تشبيهها به فى القوة والصلابة اتبعه بذكر خلوص نسبها بقوله أخوها أبوها وعمها خالها وهو محتمل لان يكون المراد أن أخاها يشبه أباها فى الكرم وان عمها يشبه خالها فى ذلك وعلى هذا فيكون فى ذلك اشارة الى انها موصوفة بكرم النسب وجودة الاصل و محتمل أيضا لان يكون المراد أن أخاها أبوها حقيقة وان عمها خالها كذلك وصور أبو على الفارسى قوله أخوها أبوها بان ناقة أتت بفحل فضربها فاتت بهذه الناقة فاخوها وهو ذلك الفحل أبوها وصور قوله وعمها خالها بان يضرب أبو أبيها أم أمها فتأتى ببعير فعمها وهو ذلك البعير خالها وصورهما معا أن يضرب فحل بنته فتأتى ببعيرين فيضرب أحدهما أمه فتاتى بناقة فاحد البعيرين أخوها وأبوها وهو الذى ضرب أمه فاتت بتلك الناقة فهو أخوها عن أمها وأبوها والبعير الثانى عمها لانه أخو أبيها لابيه وأمه وخالها لانه أخو أمها لابيها وعلى هذا يكون فى ذلك اشارة الى كمال قوتها وصلابتها وغاية كرمها ونجابتها لان البهائم الى قراباتها أشهى منها الى غيرها ومتى كانت الشهوة أكمل كان الولد أقوى وأنجب فتقارب الانساب مدح فى الابل لانه فيها سبب للقوة والنجابة بواسطة كثرة الشهوة فى القرابات بخلافه فى الآدميين فانه سبب للضعف لان شهوة الانسان انما تتحرك وتثور بالنظر واللمس للامر الجديد الغريب ما المعهود الذى دام النظر اليه فلا تتحرك الشهوة ولا تثور بالنظر واللمس له ولذلك قال بعضهم

ان أردت الانجاب فانكح غريبا *

والى الاقربين لاتتوصل فانتقاء الثمار طيبا وحسنا * ثمر غصنه غريب موصل وفى الحديث اغتربوا ولا تضووا والضوى بوزن الهوى هو الضعف والهزال فى الولد وذلك بتزوج القرابات والعرب تمدح بضد ذلك قال الشاعر فتى لم تلده بنت عم قريبة * فيضوى وقد يضوى رذيل الاقارب وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا والضاوى الشديد النحافة وقد أثبت لتلك الناقة كرم الاصل بقوله من مهجنة وهو صفة لحرف ومن بيانية أو تبعيضية فالمعنى هى ناقة مهجنة و بعض نياق مهجنة والمهجنة بضم الميم وفتح الهاء وتشديد الجيم المفتوحة وفتح النون وفى آخره تاء التانيث كريمة الابوين من الابل والهجائن كرائم الابل فالتهجين مدح فى الابل واما فى الادميين فهو ذم لان معناه فيهم ان يكون الاب عربيا والام أمة فيقال للرجل حينئذ هجين وان كان الامر بالعكس قيل رجل مقرف وفلنقس بوزن سفرجل أوله فاء و رابعه ٥٤ قاف قال الراجز العبد والهجين والفلنقس ثلاثة فايهم تلتمس وقال آخر كم بجود مقرف نال العلى * وكريم بخله قد وضعه ثم وصفها بصفتين من صفات كرام الابل الصفة الاولى طول الظهر والعنق وهو المعنى بقوله قوداء بفتح القاف وسكون الواو وفتح الدال وفى آخره ألف التانيث وهى الطويلة الظهر والعنق وهى من صفات الابل التى يتمدح بها والصفة الثانية الخفة والسرعة وهو المراد بقوله شمليل بشين معجمة مكسورة وميم ساكنة ولام مكسورة بعدها ياء وفى آخره لام أيضا وهى الخفيفة السريعة وهى من أجد الاوصاف فى الابل فان قيل قد تقدم وصفها بطول العنق فى قوله قدامها ميل وتقدم وصف الخفة والسرعة فى قوله النجيبات المراسيل على ما تقدم أجيب بان الذى تقدم فى قوله قدامها ميل طول العنق فقط على أحد الاحتمالين فيه والذى ذكره هنا بقوله قوداء طول الظهر والعنق معا والشئ مع غيره غيره فى نفسه ووصف الخفة والسرعة الذى تقدم فى قوله النجيبات المراسيل راجع الى الوصف العام فى الابل والذى ذكره هنا بقوله الواجم شمليل الوصف المقصور على هذه الناقة المخصوصة وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة فى غاية الصلابة كريمة الاصل خالصة النسب طويلة الظهر والعنق خفيفة سريعة (قوله يمشى القراد عليها الخ) أى يمشى القراد على تلك الناقة والقراد بضم القاف واحد القردان كغلام واحد الغلمان وهو حيوان معروف يلزق بالدابة وقوله ثم يزلقه بضم الياء وكسر اللام من الازلاق وهو بوزن افعال من الزلق الذى هو نقيض ثبات القدم فالمعنى ثم يسقطه وثم هنا لمجرد الترتيب وليس فيها معنى التراخى كما فى قول الشاعر كهز الردينى تحت العجاج * جرى فى الانابيب ثم اضطرب

عند الله شيأ الثانى ان تقارب الانساب مدح فى الابل لانه انما يكون فى الكرائم يحمل بعضها على بعض حفظا لنوعها كما قدمنا وهو ذم فى الناس لانه فيهم سبب للضعف وفى الحديث اغتربوا لا تضووا أى أن تزوج القرائب يوقع الضوى فى الولد والضوى بالضاد المعجمة بوزن الهوى مصدر ضوى بالكسر يضوى بالفتح بمعنى الضعف والهزال ولذلك يمدحون بضد ذلك كقول راجز

ان بلالا لم تشنه أمه * لم يتناسب خاله وعمه

وقول شاعر

فتى لم تلده بنت عم قريبة * فيضوى وقد يضوى رذيل الاقارب

والجار والمجرور خبر عن الناقة لا عن أخوها لان الكلام ليس مسوقا له (قوله قوداء) هى الطويلة الظهر والعنق والذكر أقود وجمعهما قود (قوله شمليل) الشمليل والشملال بكسر أولهما وسكون ثانيهما والشملة بكسرهما وتشديد الثالث الخفيفة السريعة يقال شملل أى أسرع واللام زائدة للالحاق بدحرج ولهذا لم تدغم لئلا يفوت موازنته للملحق به قال

*(يمشى القراد عليها ثم يزلقه * منها لبان وأقراب زهاليل)*

يعنى ان جلدها أملس لسمنها فالقراد لا يثبت عليها وهذا تاكيد لقوله وجلدها من أطوم البيت فلو ذكره الى جانبه لكان أليق والقراد واحد القردان كالغلام والغلمان وثم لمجرد الترتيب وليس فيها معنى التراخى مثلها فى قوله

كهز الردينى تحت العجاج * جرى فى الانابيب ثم اضطرب

اذ ليس المراد تطاول مشى القراد عليها وتراخى الازلاق عنه كما انه ليس المراد تأخر اضطراب الرمح عن زمن جريان الهز فى أنابيبه ومن هنا لابتداء الغاية واما بمعنى عن مثلها فى قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ويؤيده انه قرئ عن ذكر الله وتحتمل من فى الآية السببية أى من أجل ذكره لانهم اذا ذكر الله عندهم اشمأزوا وازدادت قلوبهم قسوة واللبان بفتح اللام ويكون بكسرها وبضمها ومعانيهن مختلفة فاما المفتوحها وهو المذكور فى البيت فقيل الصدر وقيل وسطه وقيل ما بين الثديين يكون للانسان وغيره وقيل الصدر من ذى الحافر فقط فعلى هذا يكون ذكره هنا استعارة كقوله

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتى * ولكن زنجى عظيم المشافر

وانما المشفر للبعير وأما المكسورها فهو الرضاع يقال هو أخوه بلبان أمه ولا يقال بلبن أمه وأما المضمومها فهو الصمغ المسمى بالكندر فان زدت على المضموم هاء فقلت لبانة فهى الحاجة كذا أطلق الجوهرى وغيره وقال صاحب المحكم الحاجة من غير فاقة ولكن من همة والجمع لبان كحاجة وحاج ولبانات ومنه قول الاعشى ميمون بن قيس ويكنى أبا بصير وكان أعمى

هريرة ودعها وان لام لائم * غداة غد أم أنت للبين واجم

لقد كان فى حول ثواء ثويته * تقضى لبانات ويسأم سائم

الواجم الشديد الحزن حتى ما يطيق الكلام يقال منه وجم بالفتح وجوما فان زدت على لبان بالضم نونا بعد اسكان بائه فقلت لبنان فهو جبل فان حذفت النون من هذا فقلت لبنى فهي شجرة لها لبن واسم من أسماء النساء وكذلك مصغره ومنه قول عدي بن زيد

يا لبينى أوقدي نارا * ان من تهوين قد حارا رب نار بت أرمقها * تقضم الهندي والغارا

عندها ظبي يؤرثها * عاقد في الجيد تقصارا

تقضم بفتح الضاد المعجمة تأكل والغار نوع من الشجر له دهن والتقصار بكسر التاء قلادة ولبينى اسم امرأة ابليس وبها يكنى (وقوله وأقراب) أي خواصر ومفردها قرب بوزن القرب ضد البعد ولكن سمع فيه ايضا قرب بضمتين كما سمع في عسر ويسر السكون والضم ولا نعلم ذلك مسموعا في ضد القرب ومن أجاز في نحو قفل قفل بضمتين أجاز ذلك فيه (قوله زهاليل) صفة للبان وأقراب معا ومعناها ملس والواحد زهلول قال الشنفرى في لاميته وتعرف بلامية العرب

أقيموا بني أمي صدور مطيكم * فاني الى قوم سواكم لأميل

فقد حمت الحاجات والليل مقمر * وشدت لطيات مطايا وأرحل

وفي الارض منأى للكريم عن الاذى * وفيها لمن رام العلا متعزل

ولي دونكم أهلون سيد عملس * وأرقط زهلول وعرفاء جيأل

هم الاهل لا مستودع السر ذائع * لديهم ولا الجاني بما جر يخذل

وهي من غرر القصائد كثيرة الحكم والفوائد وأميل في البيت الاول بمعنى فاعل كأعلم في قوله تعالى هو أعلم بكم اذ أنشأكم ودونكم ظرف للاستقرار أو حال من أهلون وكان في الاصل صفة له فعلى هذا فمعناه غيركم والسيد الذئب وعملس بوزن سفرجل من أسماء الذئب واشتقاقه من العملسة وهي السرعة والارقط النمر والعرفاء من صفات الضبع والجيأل من أسمائها فهو بدل من عرفاء ولا يجوز أن يعرب بيانا لانها علم وما قبلها نكرة وسيد وما بعده بدل تفصيل من أهلون وجاز جمع أهل بالواو والنون مع انه لما لا يعقل وهي الحيوانات المذكورة لانه أنزلها منزلة من يعقل في الاهلية قال

*(عيرانة قذفت بالنحض عن عرض * مرفقها عن نبات الزور مفتول)*

العيرانة بفتح العين المهملة المشبهة في صلابتها بعير الوحش قذفت أي رميت ويروى أيضا قذفت بالتشديد للتكثير والنحض بالحاء المهملة والضاد المعجمة كاللحم وزنا ومعنى وامرأة نحيضة كثيرة اللحم ويروى قذفت باللحم والعرض بضم المهملتين وباسكان الثانية الجانب والناحية أي رميت باللحم من جوانبها ونواحيها وقال التبريزي العرض الاعتراض يقول انها سمنت من اعتراض كأنها تعترض في مرتعها الزور وقال التبريزي

اذ لا يثبت ولا يمشي القراد عليها ويتراخى ازلاقه عنه كأنه لا يتأخر اضطراب الرمح عن زمن جريان الهز في الانابيب وقوله منها أي عنها فمن بمعنى عن مثلها في قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أي عن ذكر الله ويؤيده انه روي عنها وخير ما فسرته بالوارد وقوله لبان فاعل يزلقه واللبان بفتح اللام هنا الصدر وقيل وسطه وقيل ما بين الثديين يكون للانسان وغيره وأما بكسر اللام فهو الرضاع يقال هو أخوه بلبان أمه ولا يقال بلبن أمه وبضمها هو الصمغ المسمى بالكندر وان زدت عليها الهاء فقلت لبانة كان معناها الحاجة قال ابن هشام كذا أطلقه الجوهري وغيره وقيده صاحب المحكم من غير فاقة وقوله واقراب عطف على لبان والاقراب بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الراء وبعد الالف باء موحدة الخواصر وهي جمع قرب بمعنى الخاصرة كأبعاد جمع بعد والمراد بالجمع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقوله ٥٥ زهاليل صفة لقوله لبان واقراب معا والزهاليل بفتح الزاي والهاء وبعد الالف لامان بينهما ياء الملس وهي جمع زهلول كعصفور وهو الشيء الاملس فان قيل لم خص الصدر والخواصر بازلاق القراد دون غيرهما من سائر بدنها أجيب بان هذين الموضعين أخشن ما يكون في الناقة لمسامتهما الارض اذا بركت ومع ذلك يزلقان القراد لملاستهما ويفهم غيرهما بالطريق الاولى وحاصل معنى البيت ان تلك الناقة يمشي القراد عليها ولا يثبت بل يسقط لانها في غاية الملاسة وذلك مما يستحسن في أوصاف الابل وهذا البيت في الحقيقة مؤكد لقوله وجلدها من اطوم في البيت المتقدم فلو ذكره بجنبه لكان أولى كما قاله ابن هشام وقال بعضهم قد يقال الغرض من قوله وجلدها من اطوم الخ وصفها بالصلابة بحيث ان الطلح الذي هو القراد لا يؤثر فيه لصلابته وهذا قدر زائد على ماذكره في هذا البيت وهو ملاسة جلدها بحيث يزلق القراد عليها (قوله عيرانة الخ) أي هي عيرانة الخ والعيرانة بفتح العين المهملة وسكون الياء وفتح الراء وبعد الالف نون وفي آخره تاء التأنيث المشبهة بعير الوحش أي حماره في سرعته ونشاطه وصلابته وقوله قذفت بالنحض عن عرض أي رميت باللحم من كل جانب من جوانبها فقذفت بصيغة المجهول بمعنى رميت ويروى بالتشديد للتكثير كما يروى بالتخفيف والنحض بفتح النون وسكون الحاء وبالضاد المعجمة اللحم حتى انه يروى باللحم بدل بالنحض وعن بمعنى من والعرض بضمتين أو بضم فسكون الجانب والمراد منه هنا العموم بقرينة سياق المدح لان النكرة في سياق الاثبات قد تعم بالقرينة وقوله مرفقها عن نبات الزور مفتول أي مرفق تلك الناقة مصروف عما حوالي الصدر من الاضلاع وغيرها فيكون مصونة عن الضغط والزلق لبعد مرفقها عن أضلاعها فلا يصطك بها فخفتها ونشاطها ومرفقها مبتدأ ومضاف الى

ومفتول خبره وعن نبات الزور متعلق به والمرفق بكسر الميم وفتح الفاء وعكسه معروف وهو مما أقام فيه المفرد مقام المثنى لان لهامرفقين فالاضافة في مرفقها للجنس الصادق بالمتعدد ونبات الزور ما يتصل بالصدر مما حوله من الاضلاع وغيرها فالزور بفتح الزاى الصدر وقيل وسطه وقيل غير ذلك كما في القاموس والمفتول اسم مفعول من الفتل بالفاء وهو الصرف يقال فتل وجهه عنهم صرفه كما في القاموس أيضا والحاصل انه وصف الناقة في هذا البيت بثلاث صفات الصفة الاولى الصلابة بحيث انها تشبه عير الوحش في صلابته وقوته فانه من أشد الحيوانات صلابة وقوة وهذا هو المعنى بقوله عيرانة وقد تكرر له وصف الناقة بالصلابة في غير موضع الا انه بألفاظ مختلفة فلذلك حسن التكرار وقد يريد بذلك التأكيد فان هذا الوصف هو المقصود الاعظم من صفات الابل الصفة الثانية السمن وهو المعنى بقوله قذفت بالنحض عن عرض وقد تكرر له هذا الوصف أيضا لكنه بألفاظ مختلفة فاذا كانت سمينة ولا ينقص سمنها مع طول السير وشدته كانت في غاية النفاسة التي تكون خارقة للعادة الصفة الثالثة تجافي مرفقيها عما حوالى صدرها وهو المعنى بقوله ٥٦ مرفقها عن نبات الزور مفتول على ما تقدم تفسيره فاذا كان مرفقها متجافيا عما حوالى صدرها كان ذلك أسلم لها في السير عن التعب وابعد لها فيه عن العطب (قوله كأنما فات عينيها الخ) حاصله انه شبه وجهها بالبرطيل في القوة والصلابة والاستطالة والصورة في الجملة على ما سيأتى فكأن أداة تشبيه وما اسم موصول بمعنى الذى وهى اسم كأن وجملة فات صلة والعائد الضمير المستتر في فات وعينيها مفعول ومذبحها معطوف على عينيها ومن خطمها بيان لما ومن اللحيين معطوف على من خطمها وبرطيل خبر كأن قال الأصمعي الوجه كله فات العينين الا الجبهة فانها تكون فوقهما والمذبح والمنحر واحد والخطم بفتح الخاء المعجمة قال أبو عبيدة الانف ورد بانه لا يختص بالانف لانه الموضع الذى يقع عليه الخطام فيشمل الانف وغيره ونظيره تسميتهم الموضع الذى يقع عليه الرسن مرسنا واللحيان بفتح اللام العظمان اللذان تنبت عليهما الاسنان السفلى من الانسان وغيره من بقية الحيوانات والبرطيل بكسر الباء معول من حديد او حجر مستطيل والتشبيه بالاول في القوة والصلابة وبالثاني في الاستطالة والصورة في الجملة وحاصل المعنى ان وجهها الذى بين عينيها ومذبحها وقد بينه بقوله من خطمها ومن اللحيين يشبه المعول من الحديد في القوة والصلابة أو الحجر المستطيل في الاستطالة والصورة في الجملة وفي نسخة قاب بدل فات وقاب الشئ بقاف وباء موحدة قدره وعلى هذه النسخة فما كافة لكأن عن العمل وقاب مبتدأ مضاف لعينيها ومذبحها ومن في قوله من خطمها ومن اللحيين للابتداء واضافة القاب للعينين والمذبح لادنى ملابسة والمراد قاب وجهها المنتهى الى عينيها وقاب عنقها المنتهى الى مذبحها وبرطيل خبر المبتدأ لكن على تقدير مضاف أى قدر برطيل بمعنى المعول من حديد بالنظر للوجه وبمعنى الحجر المستطيل بالنظر للعنق فهو على التوزيع وحاصل المعنى على هذه النسخة كأنما قدر وجهها المنتهى الى عينيها حال كونه مبتدأ من خطمها قدر معول من حديد في القوة والصلابة وقدر عنقها المنتهى الى مذبحها حال كونه مبتدأ من اللحيين قدر حجر طويل في الطول والصورة في الجملة ولا يخفى ما في ذلك من التكلف (قوله ثمر مثل عسيب النخل الخ) أى ثمر الناقة ذنبا مثل جريد النخل في الطول والغلظ وهذا من الصفات المحمودة التي تكون

الصدر وقال عبد اللطيف وسطه وقال الجوهرى اعلاه ونباته ما حوله وما يتصل به من الاضلاع أى ان مرفقها جاف عن صدرها فهى لا يصيبها ضاغط ولا حاز والمفتول المدمج المحكم قال

*(كأنما فات عينيها ومذبحها * من خطمها ومن اللحيين برطيل)*

(ما) في كأنما اسم بمعنى الذى موضعه نصب بكأن والخبر قوله برطيل وفات قال أبو عمر ومعناه تقدم وقال الاصمعي الوجه كله فات العينين الا الجبهة وقال هو ما انقطع من المذبح وفات العينين ومذبحها منصوب بالعطف على عينيها والمذبح والمنحر واحد والخطم قال أبو عبيد الانف ورد عليه ذلك فانه لا يختص بالانف بل هو الموضع الذى يقع عليه الخطام فيشمل الانف وغيره ونظيره تسميتهم الموضع الذى يقع عليه الرسن مرسنا وقد يستعمل في الآدمى كقول العجاج يصف امرأة

ازمان أبدت واضحا مفلجا * اغر براقا وطرفا ابرجا

ومقلة وحاجبا مزججا * وفاحما ومرسنا مسرجا

الابرج الذى بياضه محدق بالسواد كله فلا يغيب من سواده شئ يقال منه امرأة برجاء بينة البرج ورجل ابرج وجمعهما برج بوزن البرج واحد البروج ولم يسمع وصف الانف بالمسرج قبل العجاج واختلف أهل اللغة في معناه على ثلاثة أقوال أحدها أنه كالسراج في البريق والثاني انه محسن من قولهم سرج الله وجهه أى حسنه ولم يذكر صاحب المحكم سواه والثالث انه كالسيف السريجى في الدقة والاستواء وهو منسوب الى قين يقال له سريج ولم يذكر التبريزى غير هذا القول وقال الاصمعي ما كنت أعرف المسرج ولم أسمعه الا في بيت العجاج فسألت عنه اعرابيا فقال تعرف السريجيات يعنى السيوف فقلت نعم فقال ذلك أراد انتهى وأرجح الاقوال من حيث الصناعة الثانى لان صيغة المفعول لا تشتق من أسماء الاعيان كالسراج وشذ نحو قولهم مدرهم ولا من أسماء النسب كالسريجى وانما تشتق من الفعل وأرجحها من حيث المعنى الاخير لانه تفسير بأمر يختص بالانف *واللحيان بفتح اللام العظمان اللذان تنبت عليهما اللحية من الانسان ونظير ذلك من بقية الحيوانات *والبرطيل بكسر الباء معول من حديد وأيضا حجر مستطيل وصفها بكبر الرأس وعظمه قال

*(ثمر مثل عسيب النخل ذا خصل * في غارز لم تخونه الاحاليل)*

(تمر) بضم المثناة من فوق مضارع أمر منقول بالهمزة من مر وفاعله ضمير الناقة ومثل صفة لمحذوف أي ذنبا مثل وعسيب النخل جريده الذي لم ينبت عليه الخوص فان نبت عليه سمي سعفا وأما عسيب في قول امرئ القيس

اجارتنا ان الخطوب تنوب * واني مقيم ما أقام عسيب
اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب
فان تصلينا فالقرابة بيننا * وان تهجرينا فالغريب غريب

فهو اسم جبل دفن عنده امرؤ القيس وذا صفة ثانية أو هو المفعول ومثل حال منه وكانت في الاصل صفة له ثم تقدمت عليه والخصل جمع خصلة من الشعر وفي بمعنى على مثلها في قوله تعالى في جذوع النخل وقول الشاعر

بطل كأن ثيابه في سرحة * يحذى نعال السبت ليس بتوأم

والغار زمعجم الطرفين والمراد به هنا الضرع و جعل التبر يزي أصله من قولهم غرزت الناقة بالفتح تغرز بالضم اذا قل لبنها ولا أدري ما معنى هذا الاصل وتخونه أصله تتخونه أي تتنقصه يقال تخونني فلان حقي اذا تنقصه ومنه قول لبيد *تخونها نزولي وارتحالي* أي تنقص شحم هذه الناقة ولحمها وسئل ثعلب أيجوز ان يقال لما يؤكل عليه وهو الخوان بكسر الخاء وضمها انه انما سمي بذلك لانه يتخون ما عليه أي يتنقص فقال ليس ذلك ببعيد اه والمشهور انه معرب فلا اشتقاق له و جمعه أخونة وخون و يأتي التخوف بالفاء بمعنى التخون ومنه قوله تعالى أو يأخذهم على تخوف أي تنقص و يأتي التخون بمعنى التعهد وفي الحديث كان يتخوننا بالموعظة أحيانا مخافة السآمة علينا أي يتعهدنا بها و يأتي قريبا من معنى هذا التخول باللام وقد روي الحديث باللام ومعناه يأتينا بها شيأ بعد شيء من قولهم تساقطوا أخول أخول أي شيأ بعد شيء *والاحاليل بالحاء المهملة جمع احليل وهو مخرج البول ومخرج اللبن من الثدي ومخرجه من الضرع وهو المقصود ههنا يعني انها حائل لا تحلب وذلك أقوى لها على السير ونفي الضعف عن الناقة بنفيه عن ضرعها قال رحمه الله تعالى

*(قنواء في حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفي الخدين تسهيل)*

(القنواء) مؤنث الاقنى واشتقاقه من القنا بوزن العصا وهو احديداب في الانف والحرتان الاذنان وقد روى العسكري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع هذا البيت قال لاصحابه ما حرتاها فقال بعضهم عيناها وسكت بعضهم فقال عليه الصلاة والسلام هما أذناها يقول اذا نظر البصير بالابل الى اذنيها وسهولة خديها بان له عتقها أي كرمها * و يروى وجناء بدل قنواء أي صلبة أو عظيمة الوجنتين وهذه هي الرواية التي جزم

في الابل فالفاصل ضمير يعود على الناقة وتمر بضم التاء مضارع أمر ومثل صفة لموصوف محذوف وهو المفعول وعسيب النخل جريده الذي لم ينبت عليه الخوص فان نبت عليه سمي سعفا واما عسيب في قول امرئ القيس اجارتنا ان الخطوب تنوب * واني مقيم ما أقام عسيب اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب فان تصلينا فالقرابة بيننا * وان تهجرينا فالغريب غريب فهو اسم جبل دفن عنده امرؤ القيس وقوله ذا خصل أي صاحب لفائف من الشعر فذا بمعنى صاحب وخصل بضم الخاء وفتح الصاد اللفائف من الشعر وهي جمع خصلة بضم الخاء وسكون الصاد وفي ذلك اشارة الى كونه كثير الشعر وهو من الصفات المحمودة في الابل وقوله في غارز أي على ضرع ففي بمعنى على والمراد من الغارز هنا الضرع وجعل التبريزي أصله من قولهم غرزت الناقة بفتح الراء تغرز بضمها اذا قل لبنها قال ابن هشام ومثله السيوطي ولا أدري ما معنى هذا الاصل والجار والمجرور متعلق بتمر وقوله لم تخونه الاحاليل ٥٧ أي لم تنقصه مخارج اللبن لكون الناقة حائلا لا تحلب وذلك أقوى لها على السير فالمقصود نفي الضعف عنها فالاحاليل هي مخارج اللبن لانها جمع احليل وهو مخرج اللبن وهذا هو المراد هنا و يطلق أيضا على مخرج البول وتخونه بفتح التاء والخاء وتشديد الواو المفتوحة وأصله تتخونه بتاءين حذفت احداهما فهو مضارع تخون بمعنى تنقص ومنه قول لبيد *تخونها نزولي وارتحالي* أي تنقص هذه الناقة نزولي عنها وارتحالي عليها وليس ببعيد ان يقال انما سمي ما يؤكل عليه خوانا بكسر الخاء وضمها لانه يتخون ما عليه أي يتنقص والتخوف بالفاء يأتي بمعنى التخون بالنون ومنه قوله تعالى أو يأخذهم على تخوف أي تنقص و يأتي التخون بمعنى التعهد ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوننا بالموعظة

مخافة السآمة أي يتعهدنا بها وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة تمر ذنبا مثل جريد النخل في الغلظ والطول صاحب لفائف من الشعر لكونه كثير الشعر على ضرع لم تنقصه مخارج اللبن لكونها لا تحلب فيكون ذلك أقوى لها على السير كما علمت (قوله قنواء الخ) أي هي قنواء الخ والقنواء بفتح القاف وسكون النون وفتح الواو و بالمد المحدودبة الانف واشتقاقها من القنا بوزن العصا وهو احديداب في الانف ومنه قيل للرجل أقنى اذا كان محدودب الانف وقد عد الناظم هذا الوصف من الاوصاف المحمودة في الابل لكن المنقول عن العرب ان القناء عيب في الابل كما هو عيب في الخيل و يروى وجناء بدل قنواء و يلزم على هذه الرواية التكرار لتقدم هذا الوصف في البيت الثامن عشر وهو قوله غلباء وجناء علكوم مذكرة الخ و يمكن دفع التكرار بانه تقدم تفسير الوجناء بمعنيين أحدهما الصلبة والثاني العظيمة الوجنتين فيجوز أن يكون قصد هنالك المعنى الاول وهو الصلبة لان كلامه هنالك في عظم خلقها والمناسب له الصلابة والقوة وقصد هنا المعنى الثاني وهو العظيمة الوجنتين لان كلامه هنا في حسن الوجه والرأس والمناسب له عظم الوجنتين لا يقال يعكر على ذلك قوله وفي الخدين تسهيل لانا نقول المراد

بالوجنتين طرفا الخدين فيجوز أن يكون الخدان اسيلين مسترسلين وطرفاهما عظيمين و يكون كل منهما معدودا من المحاسن وقوله فى حرتيها للبصير بها عتق مبين أى فى أذنيها للعارف بها كرم ظاهر فالحرتان بضم الحاء وتشديد الراء و بعدها تاء مثناة من فوق الاذنان وقد روى العسكرى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما سمع هذا البيت قال لاصحابه رضى الله عنهم ماحرتاها فقال بعضهم عيناها وسكت بعضهم فقال عليه الصلاة والسلام هما اذناها والبصير بها معناه العارف بها بحيث يكون له معرفة بكرام الابل والعتق بكسر العين وسكون التاء على الصواب وان ضبطه السيوطى وتبعه الجمل بفتح التاء وفى آخره قاف الكرم والمبين الظاهر فهو اسم فاعل من أبان بمعنى بان أى ظهر ولا يخفى ان قوله فى حرتيها خبر مقدم وعتق مبتدأ مؤخر ومبين صفة وللبصير متعلق بمبين ٥٨ وبها متعلق بالبصير وكأنه يصفها بحسن اذنيها بحيث اذا تأملهما من له معرفة بكرام الابل حكم عليها بانها من النوق الكرام و يستحسن فى الابل طول الاذنين فانه مما يدل على كرمها وقوله وفى الخدين تسهيل أى وفى خديها سهولة ولين لاخشونة ولاحزونة وقيل أى وفى خديها انحدار لانتوء فيهما أسيلان لاارتفاع فيهما وهذا من الصفات المحمودة فى الابل وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة محدودبة الانف أو عظيمة الوجنتين على ما تقدم من الروايتين فيها للعارف بالابل الكرام كرم ظاهر فى أذنيها لحسنهما وطولهما فاذا تاملهما من له معرفة بكرام الابل ادرك فيها الكرم والنجابة وفى خديها سهولة والليونة أو انحدار على ما تقدم من الخلاف فى معنى قوله وفى الخدين تسهيل (قوله تخدى على يسرات الخ) أى تسرع بقوائم خفاف فتخدى بمعجمة فمهملة كترمى بمعنى تسرع من خدى البعير يخدى اذا أسرع كما فى القاموس و يروى بمعجمتين بمعنى تسترخى من خذا يخذ واذا استرخى كما فى القاموس أيضا التحليل وهذا أبلغ فى المدح لانها مع استرخائها فى السير تلحق النوق السوابق فكيف لو أسرعت وعلى بمعنى الباء ويصح ان تكون على حقيقتها باعتبار استعلاء الماشية على قوائمها واليسرات بفتحات القوائم الخفاف واشتقاقها من اليسر وهو حاصل مع الخفة حصولا أكمل وقوله وهى لاحقة أى والحال انها لاحقة بالنوق السابقة عليها أو بالديار البعيدة عنها فالواو واو الحال و يروى وهى لاهية أى وهى غافلة عن السير فهى تسرع فيه من غير اكتراث ومبالاة كأن ذلك صار سجية لها وقد فسر ابن هشام اللاحقة بالضامرة قال وضميرهى لليسرات لا للناقة لامرين أحدهما قوله ذوابل مسهن الارض تحليل وذلك من صفات القوائم خاصة ثانيهما أنه ان لم يحمل على ذلك تناقض مع قوله قذفت بالنحض وقد يقال التناقض

بها عبد اللطيف و يضعفها انه يلزم عليها التكرار لان هذا الوصف قد تقدم فى قوله غلباء وجناء علكوم البيت و يرجحها ما قيل ان القنا عيب فى الابل والخيل ولذلك قال سلامة بن جندل يمدح فرسا

ليس بأسفى ولا أقنى ولا سغل * يسقى دواء قفى السكن مربوب

الاسفى بالسين المهملة و بالفاء الخفيف الناصية والسغل باهمال الاول واعجام الثانى مكسوره المضطرب الاعضاء وقيل المهزول والقفى بفتح القاف وكسر الفاء الشئ الذى يؤثر به الضيف والصبى والمراد بالدواء اللبن ووجه هذه التسمية انهم يضمرون الخيل بسقيها اياه والسكن أهل الدار وفى الحديث حتى ان الرمانة لتشبع السكن والمربوب المربى قال

*(تخدى على يسرات وهى لاحقة * ذوابل مسهن الارض تحليل)*

الخدى والخديان والوخد ضرب من السير يقال خدى بالمعجمتين مفتوحتين يخدى بالكسر خديا وخديانا و وخد يخد و وخدا ووخودا وخوذ يخوذ نحو يذا استعملت فيه التقاليب الثلاثة بمعنى وليس واحد منها مقلوبا لاستكمال كل منها تصاريفه ومن ثم خطئ من قال فى جذب وجبذ ان أحدهما مقلوب من الآخر لقولهم جذب يجذب جذبا وجبذ يجبذ جبذا * واليسرات قال التبريزى القوائم والصواب قول الجوهرى انها القوائم الخفاف واشتقاقها من اليسر وهو حاصل مع الخفة حصولا أكمل واللاحقة الضامرة أى الخفيفة اللحم وضمير هى لليسرات لا للناقة لامرين أحدهما قوله ذوابل مسهن الارض تحليل وذلك من صفات القوائم خاصة والثانى انه ان لم يحمل على ذلك تناقض مع قوله قذفت بالنحض وقد يقال التناقض لازم له لقوله فعم مقيدها اذ معناه ان اطرافها غليظة ويجاب بأن المراد بالفعومة غلظ الاعصاب والعظام و بالضمور قلة اللحم فلا تنافى واذا كانت القوائم قليلة اللحم لم تكن رهلة ولا مسترخية وذلك أسرع لرفع قوائمها و بسطها و روى عبد اللطيف لاهية بدل لاحقة ولا اشكال عليه والمعنى انها تسرع من غير اكتراث كأن ذلك سجية لها فهى تفعله وهى غافلة عنه والواو من قوله وهى اما زائدة فى أول الجملة الموصوف بها يسرات كما قال بعضهم فى قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم أو هى واو الحال وسوغ مجئ الحال من النكرة وهى يسرات عدم صلاحية الجملة للوصفية لاقترانها بالواو ومثله قوله تعالى أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها وقول الشاعر

مضى زمن والناس يستشفعون بى * فهل لى الى ليلى الغداة شفيع

ومن روى لاهية فالواو للحال لاغير وصاحبها الضمير فى تخدى وقوله ذوابل جمع ذابل وهو اليابس وهى خبر ثان أو خبر لمحذوف ويجوز نصبها حالا من ضمير لاحقة وجرها صفة ليسرات وانما نوّنت للضرورة كقوله * قواطنا مكة من ورق الحمى *(قوله مسهن الارض تحليل) اشارة الى سرعة رفعها قوائمها وذلك لان

لازم لقوله فعم مقيدها الا ان معناه ان أطرافها غليظة و يجاب بان المراد بالفعومة غلظ الاعصاب والعظام و بالضمور رقة اللحم فلا تنافي واذا كانت قوائمها قليلة اللحم كانت أسرع للسير لانها لا تكون رهلة ولا مسترخية وقوله ذوابل بالتنوين للضرورة وهو خبر ثان أو حال أو صفة ليسرات وان فصل بينهما بقوله وهي لاحقة لان الفصل بين الصفة والموصوف جائز نحو قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وهـذا أوفق بما بعده من الجملة فانها صفة لها أيضا والذوابل جمع ذابل وهي الرمح الصلب اليابس والمعنى على التشبيه والتقدير وتلك اليسرات كالذوابل أي كالرماح الصلبة اليابسـة وقوله مسهن الارض تحليل وفي نسخة وقعهن بدل مسهن أي مس تلك اليسرات للارض أو وقعهن على الارض شئ قليل غير مبالغ فيه لسرعة رفع قوائمها عن الارض فلا تمس الارض الا تحلة القسم كما يحلف الانسان ليفعلن هذا الشئ ٥٩ فيفعل منه اليسير ليتحلل به من القسم لكن هذا بحسب الاصل ثم كثر حتى قيل لكل شئ لم يبالغ فيـه وفي الحديث لا يموت لاحد كم ثلاث من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم فهو كناية عن القلة وقال جماعة من المفسرين الا تحلة يمين القسم حقيقة وليس كناية عن القلة والمعـنى ان النار لا تمسه الا بقـدر ما يبر الله تعـالى به قسمه لانه عز وجل يقول وان منكم الا واردها وفي هذا القول نظر لان هذه الجملة لا قسم فيها اللهم الا ان عطفت على الجملة التي أجيب بها القسم من قوله تعالى فو ربك لنحشرنهـم الآية قال ابن هشام وفيه بعد وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة تسرع في السير بقوائمها والحال انها لاحقة بالنوق السابقة عليها أو ضامرة عـلى ما تقـدم كالرماح الصلبة الشـديدة سريعة الرفع عن الارض كانها لا تمس الارض الا تحلة القسم فهـي في غاية الاسراع في سيرها (قوله سمر العجايات الخ) أي هي سمر العجايات الخ فهو خبر لمبتدا محذوف تقديره هي وهذا الضمير أعني هي عائد على اليسرات و يصح ان يكون قوله سمر العجايات صـفة لليسرات والاضافـة في سمر العجايات لفظية أي سمر عجاياتها فهـي من اضافة الصفة لمعمولها والسـمر جمع أسمر والسمرة لون يقرب من السواد و يصح ان تكون من اضافة المشبه به للمشبه أي عجاياتها كالسمر أي كالرماح السمر في الشدة والصلابة فان السمر من أوصاف الرماح والعجايات جمع عجاية أو العجاوات جمع عجاوة بضم العين و بالجيم في الجميع و بالياء أو الواو وهي الاعصاب المتصلة بالحافر وقيل اللحمة المتصلة بالعصب المنحدر من ركبة البعير الى الفرس وشبه عصبها أو لحم قوائمها بالرماح السمر لقوته وصلابته وقوله يتركن الحصى زيما أي يجعلن الحصى متفرقا فيـترك بمعنى يجعل ولذلك تعدى لمعولين وهما الحصى وزيما وقيل زيما حال من الحصى وزيما بكسر الزاي وفتح الياء كعنب المتفرق

التحليل من تحلة اليمين فالمعنى ان مسهن الارض قليل كما يحلف الانسان على الشئ ليفعله فيفعل منـه اليسير ليتحلل به من قسمه هذا أصله ثم كثر حتى قيل لكل شئ لم يبالغ فيه وفي الحديث لا يموتن لاحـد كم ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم * وقال جماعة من المفسرين ان اليمين هنا على الاصل الذي هو القسم لانه كناية عن القلة وذلك أن الله تعالى قال وان منكم الا واردها والمعـنى ان النار لا تمسـه الا بقـدر ما يبر الله تعالى به قسمه وفي هـذا القول نظر لان الجملة لا قسم فيها اللهم الا ان عطفت على الجملة التي أجيب بها القسم من قوله فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم الى آخرها وفيـه بعد قال

*(سمر العجايات يتركن الحصى زيما * لم يقهن رؤس الا كم تنعيل) *

(العجايات) والعجاوات بضم العين المهملة و بالجيم جمع عجاية وعجاوة وهي عند الاصمعي لحـمة متصلة بالعصب المنحدر من ركبة البعير الى الفرسن وقال الجوهري العجايتان عصبتان في باطن يدى الفرس واسفل منهما هنات كالاظفار و يقال لكل عصب متصل بالحافر عجاية وقال التبريزي العجاية عصب قوائم الابل والخيـل والزيم بكسر الزاي وفتح الياء المتفرقة أي انها الشدة وطئها الارض تفرق الحصى والا كم مخفف من الا كم بضمتين أي انها لا تحفى في سيرها فتفتقر الى النعل * وهنا ثلاث مسائل (الاولى) فعل بكسر الاول وفتح الثاني كثير في الاسماء كضلع وأما في الصفات فقال سيبويه لا نعلمه جاء صـفة الا في حرف معتل يوصف به الجمع وهو قوم عـدى انتهى وكذلك قال يعقوب لم يأت فعل في النعوت الا حرف واحد يقال قوم عدى أي غرباء أو أعداء قال

اذا كنت في قوم عدى لست منهم * فكل ما علفت من خبيث وطيب

وقال الاخطل

ألا يا اسلمي يا هند هند بني بكر * وان كان حيانا عدى آخر الدهر

يروى بالضم والكسر وقد أورد عليهما ألفاظ أحدها زيم بمعنى متفرق كما في هذا البيت وفي قول الآخر

باتت ثلاث ليال غـير واحدة * بذي المجاز تراعي منزلا زيما

أي متفرق النبات وذو المجاز سوق عظيمة كانت تقام في الجاهليـة بمنى ومثلها عكاظ بالظاء المشالة ممنوعـة الصرف كانت تقام بناحية مكة شرفها الله تعالى في كل سنة شهرا يتبايعون و يتناشدون الشعر و يتفاخرون وكذلك مجنة بفتح الميم موضع يقام به سوق على اميال من مكة في الجاهلية قال

وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

والثاني ماء صرى للذي طال مكثه روي بضم الصاد المهملة وكسرها كما روي عدى بهما اذا كان بمعنى الاعداء والثالث قيما في قراءة بعضهم دينا قيما والرابع سوى بمعنى مستو في قوله تعالى مكانا سوى ولا تكون هذه سوى الظرفيـة لان تلك ملازمة للاضافة و يصح ان تخلفها كلمة غـيرو قد أجيب عن سوى وصرى بأنهما اسمان

والجملة صفة يسرات فالضمير لهن واشد توطئها الارض ولا تجعل الحصى متفرقا واحد لم ان فعلا بكسر أوله وفتح ثانيه كثير في الاسماء كضلع واما في الصفات فقال سيبويه لا نعلمه جاء صفة الا في حرف معتل يوصف به الجمع وهو قوم عدى اه وقد رد عليه بألفاظ منها زيم كما في هذا البيت ومنها قيما في قراءة بعضهم دينا قيما ومنها سوى بكسر السين بمعنى مستو في قوله تعالى مكانا سوى وقوله لم يقهن رؤس الاكم تنعيل أي لم يق تلك اليسرات رؤس الروابي المرتفعة من الارض شد النعل على خفها لانها صلبة شديدة فلا تحفى في سيرها ولا ترق قدمها فلا تحتاج للتنعيل الذي يقيها رؤس الاكم وقد كانوا يشدون تحت اخفافها قطعا من جلود لتقيها الحجارة فالضمير في لم يقهن لليسرات والجملة صفة لهن ويق مضارع وقى من الوقاية وهي الحفظ وفي بعض الروايات لم يبقهن من الابقاء ورؤس الاكم قيل منصوب بنزع الخافض أي عن رؤس الاكم والاصوب على رواية لم يقهن كونه مفعولا ثانيا اذ الوقاية تتعدى لمفعولين قال تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم والاكم بضم الهمزة وسكون الكاف مخفف اكم بضمتين جمع اكام ككتب جمع كتاب واكام جمع اكم بفتحتين كجبل وجبال واكم بفتحتين جمع اكمة كثمر جمع ثمرة وهي الرابية المرتفعة من الارض والتنعيل شد النعل على ظفر الدابة ليقيها الحجارة وانما خص الاكم التي هي الروابي بالذكر لانها تبقى بها الحجارة الخشنة ونحوها لقلة سالكها فاذا كانت لا تحتاج لتنعيل لمثل ذلك فلغيره بالاولى وحاصل معنى البيت ان اعصاب قوائم هذه الناقة صلبة شديدة كالرماح السمر ولشدة وطئها الارض تجعل الحصى متفرقا ولصلابة اخفافها لا تحتاج الى تنعيل يقيها الحجارة التي تكون في رؤس الاكم فلا تحفى ولا ترق قدمها بل هي صلبة شديدة (قوله كأن أوب ذراعيها الخ) أي كان سرعة تقلب يديها الخ فالاوب بفتح الهمزة وسكون الواو بعدها باء موحدة سرعة التقلب ويطلق على المكان والجهة يقال جاؤا من كل أوب أي من كل مكان وجهة وخبر كأن قوله في البيت الحادي والثلاثين ذراعا عيطل نصف لكن على تقدير مضاف أي أوب ذراعي عيطل نصف فشبه سرعة تقلب يدي هذه الناقة في السير بسرعة تقلب يدي امرأة عيطل نصف أي طويلة متوسطة في السن في اللطم على وجهها لشدة حزنها على ولدها ومن هذا ظهر أن في البيت العيب المسمى بالتضمين ان فسر بكون البيت مفتقرا الى ما بعده افتقارا لازما فان فسر بتعلق قافية بيت الاول باول البيت الثاني فليس في البيت عيب وقوله اذا عرقت أي وقت عرقها الاتعب ولا لاعياء لما تقدم من وصفها بالقوة والصلابة بل لشدة الحر وانما خص التشبيه بهذا الوقت لانها اذا كانت في غاية الاسراع في هذا الوقت فما بالك بها في غيره

للمستوي والطويل المكث ثم وصف بهما بدليل قوله بقعة سوى ومياه صرى فلم يطابقا الموصوف في التأنيث كما تقول مررت بأرض عرفج وأجيب عن قيم بأنه مصدر مقصور من القيام ولهذا أعلت عينه ولو كان غير مقصور منه لصح كما يقال حال حولا واستدرك الزبيدي قولهم ماء روى وهو غلط لانه مصدر وصف به كما يقال رجل رضا *(المسئلة الثانية)* الاكم بضمتين جمع اكام ككتب جمع كتاب والاكام جمع أكم كالجبال جمع جبل والاكم جمع أكمة كالثمر جمع ثمرة ويجمع الاول وهو أكم على آكام كما يقال عنق واعناق ونظيره جمع ثمرة على ثمر كشجرة وشجر وجمع ثمر على ثمار كجبال وجمع ثمار على ثمر ككتب وجمع ثمر على اثمار كاعناق ذكرهما الجوهري وحكى الثاني عن الفراء ولا أعرف لهما نظيرا في العربية *(المسئلة الثالثة)* ذهب علي رضي الله عنه ومن وافقه الى ان المراد بالعاديات الابل التي يحج عليها وان المراد بجمع المزدلفة لاجتماع الناس بها وذلك ان من عدا أهل مكة كانوا يقفون بعرفات لانها موقف الانبياء عليهم السلام وكان المكيون يقفون بمزدلفة ويقولون نحن خدام الحرم فلا نتجاوزه الى الحل فاذا أفاض الواقفون بعرفة اجتمعوا معهم في مزدلفة فامر الله تعالى المكيين بالوقوف بعرفة بقوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس أي من عرفات وزعم الاكثرون ان المراد بالعاديات خيل الغزاة واستدلوا بثلاثة أمور أحدها ان الخيل هي التي تقدح النار بحوافرها اذا صادفت الحجارة بخلاف اخفاف الابل والثاني ان الضبح صوت يخرج من أجواف الخيل لا الابل والثالث ان النقع غبار أرض الحرب وأجيب بان الابل اذا أجهدت نفسها في السير سمع لها صوت يشبه الضبح وثار لها غبار يشبه النقع ودفعت الحجارة بعضها في بعض فأورت النار وبان الحجاج لما كانوا يدفعون من جمع في أول النهار شبهوا بالمغيرين ولهذا كانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير واحتجوا بان السورة مدنية نزلت بعد وقعة بدر ولم يكن معهم في تلك الوقعة الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد قال

*(كأن أوب ذراعيها اذا عرقت * وقد تلفع بالقور العساقيل)*

للاوب اربعة معان أحدها الرجع فهما مترادفان متوازنان ومثله في المعنى الاياب ومنه ان الينا ايابهم والثاني المطر سمي بذلك كما سمي رجعا لانهم يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه اليها أو أراد التفاؤل له بالرجوع والاوب أو لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا قال الله تعالى والسماء ذات الرجع أي ذات المطر ومن ابيات ايضاح أبي علي رحمه الله تعالى

رباء شماء لا يأوي لقنتها * الا السحاب والا الاوب والسبل

والثالث سرعة تقلب اليدين والرجلين في السير يقال منه ناقة أووب على فعول وهو مكتوب في الصحاح بهمزتين وهو سهو والرابع المكان والجهة يقال جاؤا من كل أوب والمراد في البيت المعنى الاول أو الثالث لا الثاني ولا الرابع

والعامل فى اذا مافى كأن من معنى التشبيه ولاجواب لها ان قدرت خالية عن معنى الشرط والا فالجواب مقدر وهل هى حينئذ منصوبة بفعل الشرط أو جوابه فيه خلاف مذكور فى كتب النحو وقوله وقد تلفع بالقور العساقيل أى والحال انه قد تلفع بالقور العساقيل فالواو للحال وتلفع بفتح التاء المثناة من فوق وفتح اللام والفاء المشددة و بالعين المهملة فعل ماض معناه التحف واشتمل وهو من اللفاع كتلحف من اللحاف وتنقب من النقاب قال الشاعر لم تتلفع بفضل مئزرها * دعد ولم تسق دعد فى العلب والقور بضم القاف بعدها واو وفى آخره راء مهملة جمع

وذراعيها مخفوض لفظا مرفوع محلا واذا عرقت كناية عن وقت الهاجرة أى كأن رجع يديها أو سرعة تقلب يديها وقت اشتداد الحر والمشبه به مذكور فى قوله بعد ذلك ذراعا عيطل وانما خص التشبيه بهذا الوقت لان السراب انما يظهر عند قوة حر الشمس وتلفع اشتمل وهو من اللفاع كتلحف من اللحاف وتنقب من النقاب واللفاع ما يتلفع به أى يتلحف قال وضاح اليمن أو جرير

لم تتلفع بفضل مئزرها * دعد ولم تغذ دعد فى العلب

ويروى ولم تسق والقور جمع قارة قال

هل تعرف الدار بأعلى ذى القور * قد درست غير رماد مكفور

والقارة الجبل الصغير * والعساقيل معنيان أحدهما وهو المراد هنا السراب قال الجوهرى لم أسمع بواحده والثانى ضرب من الكمأة وهى الكبار البيض التى يقال لها شحمة الارض فواحده عسقول وأما قوله

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

فأصله عساقيل كعصافير ولكن حذفت المدة للضرورة وعكسه بيت الكتاب

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة * نفى الدراهيم تنقاد الصياريف

أصله الصيارف جمع صيرف فاشبع الكسرة فتولدت الياء فاما الدراهيم فجمع درهام لغة فى الدرهم والواو واو الحال وعامل الحال ما فى كأن من معنى التشبيه كقوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

ويتعلق بهذا البيت مسائل احداها ان اذا ان قدرت خلية من معنى الشرط فعاملها الاوب أو ما فى كأن من معنى التشبيه ولا حذف والا فالجواب مقدر وهل هى حينئذ منصوبة بفعل الشرط أو فعل الجواب فيه خلاف تقدم الثانية فيه العيب المسمى بالتضمين وهو أن يكون البيت مفتقرا الى ما بعده افتقارا لازما وقال قوم هو تعليق قافية البيت الاول باول البيت الثانى وانشد الفريقان على ذلك قوله

همو وردوا الجفار على تميم * وهم أصحاب يوم عكاظ انى

شهدت لهم مواطن صالحات * أتيتهم بصدق الود منى

وقول الآخر

لا صلح بينى فاعلموه ولا * بينكم ما حملت عاتقى

سيفى وما كنا بنجد وما * قرقر قمر الواد بالشاهق

وعلى التفسير الثانى لا يكون فى البيت عيب ومن أقبح التضمين قوله

وليس المال فاعلمه بمال * من الاموال الا للذى

يريد به العلاء ويمتهنه * لاقرب أقربيه وللقصى

فانه وقع بين الموصول وصلته وهما كالكلمة الواحدة ولم يذكر الخليل التضمين فى العيوب وذكره الاخفش * الثالثة فيه القلب اذ المعنى ان السراب صار لاكم مثل اللثام والاصل وقد تلفعت القور بالعساقيل فقلب كما قال النابغة الجعدى رضى الله عنه

قارة وهى الجبل الصغير والعساقيل بفتح العين والسين المهملتين وبعدهما ألف وكسر القاف بعدها ياء وفى آخره لام له معنيان أحدهما وهو المراد هنا السراب قال الجوهرى لم أسمع بواحده وثانيهما نوع من الكمأة وهى الكبار البيض التى يقال لها شحمة الارض وواحده عسقول وقد تحذف منه الياء للضرورة كما فى قوله ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر كما انها قد تزاد للضرورة كما فى قوله تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة نفى الدنانير تنقاد الصياريف فالصياريف أصله الصيارف جمع صيرف وزيدت الياء للضرورة وأما الدراهيم فجمع درهام لغة فى الدرهم ولا يخفى ان القور التى هى الجبال الصغار هى التى تتلفع بالعساقيل المراد به هنا السراب بمعنى انه يرى عليها كاللفاع الساتر لها فوقع القلب فى كلامه كما تقول ادخلت القلنسوة فى رأسى وعرضت الحوض على الناقة والمراد أدخلت رأسى فى القلنسوة وعرضت الناقة على الحوض وقد اختلف فى القلب فمن النحويين من خصه بالضرورة ومنهم من أجازه فى النثر ومن البيانيين من قبله فى الكلام الفصيح مطلقا ومنهم من رده مطلقا ومنهم من فصل فقال ان تضمن اعتبارا لطيفا قبل والا فلا وأشار المصنف بذلك الى شدة الحر لان قوة السراب وغلبته حتى صار كاللفاع للجبال الصغيرة لا تكون الا فى وقت شدة الحر واذا كانت فى غاية الاسراع فى هذا الوقت كانت فى غيره أولى بالاسراع وحاصل معنى البيت ان سرعة حركة يدى هذه الناقة فى السير كسرعة حركة يدى المرأة الطويلة المتوسطة فى السن فى اللطم على وجهها لشدة حزنها على

ولا هاف تكون في غاية الاسراع في وقت عرقها لشدة الحر وفي قوة السراب وغلبته حتى صار كالقاع على الجبال الصغار (قوله يوما يظل به الحرباء الخ) أي ان القور التي هي الجبال الصغار تلفعت بالسراب في يوم يظل فيه الحرباء متحيرا بالشمس فيوما ظرف لقوله تلفع وهو أولى من تعلقه بالاوب أو بما في كأن من معنى التشبيه لانه فعل وهو أقوى في العمل ولانه أقرب من غيره ويظل بفتح الظاء المعجمة مضارع ظل يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا ويكون بمعنى صار كما في قوله تعالى ظل وجهه مسودا وهو المراد هنا فيظل بمعنى يصير وبه أي في ذلك اليوم فالباء بمعنى في والضمير عائد لليوم والحرباء بكسر الحاء حيوان بري له سنام كسنام الابل يستقبل الشمس ويدور معها كيف دارت ويتلون ألوانا بحر الشمس ويكون في الظل ٦٢ أخضر ويكنى أبا قرة وكنية انثاه أم حبين ويصير وقت الهاجرة في أعلى الشجر وبه يضرب المثل لانه يمسك ساق الشجر فلا يرسله الا ويمسك ساقا آخر كما قال القائل لا يشغلنك شيء في زمانك عن * حب الملاح وحاذر كلما عاقا وكن كأنك حرباء الهجير ضحى * لا يترك الساق الا ممسكا ساقا ومصطخدا بكسر الخاء المعجمة وبالدال في آخره أي محترقا بحر الشمس يقال اصطخد اذا اصطلى بحر الشمس وروي مصطخما بالميم في آخره أي منتصبا قائما يقال اصطخم اذا انتصب قائما ويقال صطخب بالباء بمعنى صاح كما في قوله ان الضفادع في الغدران تصطخب * وصحف الاصمعي بيت ذي الرمة وهو قوله فيها الضفادع والحيتان تصطخب فقال تصطخب بخاء معجمة فقال له أبو علي الاصفهاني أي صوت للحيتان يا أبا سعيد انما هي تصطحب بالمهملة أي تتجاور ووهم عبد اللطيف حيث قال والمصطخد منصوب لانه خبر أضحى ووجه الوهم انه ليس في البيت أضحى وانما هو يظل والجملة صفة ليوما وقوله كأن ضاحيه بالشمس مملول أي كأن الحيوان الضاحي في ذلك اليوم بمعنى البارز للشمس فيه أو كأن الضاحي من الحرباء بمعنى البارز للشمس منه خبز معمول بالملة بفتح الميم قد انضجته النار بشدة حرها فالضاحي بمعنى البارز للشمس كما تقدم ورأى ابن عمر رجلا محرما قد استظل فقال اضح لمن أحرمت واضح بكسر الهمزة وفتح الحاء كما ذكره الاصمعي وغيره وهو الصواب لانه من ضحى وان رواه المحدثون بفتح الهمزة وكسر الحاء قال الرياشي رأيت أحمد بن المعذل بالذال المعجمة في الموقف وقد ضحى للشمس وهي شديدة الحر فقلت له هذا أمر قد اختلف فيه فلو أخذت بالتوسعة فأنشد

ضحيت له كي أستظل بظله * اذا الظل أضحى في القيامة قالصا
فوا أسفي ان كان سعيي باطلا * ووا حزني ان كان حجي ناقصا

وقد وهم عبد اللطيف حيث جعل القائل اضح   وظهر

حتى لحقناهم تعدى فوارسنا * كأننا رعن قف يرفع الآلا

أي يرفعه الآل وقد اختلف في القلب فريقان النحويون والبيانيون أما النحويون فمنهم من خصه بالضرورة وزعم انه غني عن التأويل وهذا فاسد اذ ما من ضرورة الا وله اوجه يحاوله المضطر نص على ذلك سيبويه ومنهم من خصه بالضرورة وشرط التأويل ومنهم من أجازه في الكلام واحتج بقوله تعالى ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة والمفاتح لاتنهض بالعصبة متثاقلة بل العصبة هي التي تنهض بها متثاقلة وبقولهم ادخلت القلنسوة في رأسي وعرضت الحوض على الناقة وأما البيانيون فاختلفوا في كونه مقبولا في الكلام الفصيح فقبله قوم مطلقا ورده قوم مطلقا وفصل بعضهم فقال ان تضمن اعتبارا لطيفا قبل والا فلا فمن الاول قول رؤبة بن العجاج

ومهمه مغبرة أرجاؤه * كأن لون أرضه سماؤه

أي كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه فعكس التشبيه للمبالغة ومن الثاني قوله

فديت بنفسه نفسي ومالي * وما آلوك الا ما أطيق

قال رضي الله عنه

*(يوما يظل به الحرباء مصطخدا * كأن ضاحيه بالشمس مملول)*

يوما ظرف لقوله تلفع أو للاوب أو لما في كأن من معنى التشبيه أي ان التشبيه حاصل في ذلك اليوم فاذا قدرت اذا ظرفا للاوب أو لكأن لم يجز كون يوما ظرفا لعاملها اذ لا يتعلق ظرفا مكان ولا ظرفا زمان بعامل واحد الا على سبيل التبعية فان أردت ذلك فقدر يوما بدلا من اذا والتعلق بالفعل أولى لقربه ولقوته في العمل ويظل بالفتح مضارع ظللت بالكسر ويقال ظل يفعل اذا فعل نهارا وبات يفعل اذا فعل ليلا قالت امرأة

أظل أرعى وأبيت أطحن * والموت من بعض الحياة أهون

وتكون بمعنى صار كقوله تعالى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وهو المراد هنا والحرباء ذكر أم حبين وهو حيوان بري له سنام كسنام الجمل يستقبل الشمس ويدور معها كيفما دارت ويتلون ألوانا بحر الشمس وهو في الظل أخضر ويكنى أبا قرة وبه يضرب المثل في الحزامة لانه يلزم ساق الشجرة فلا يرسله الا ويمسك ساقا آخر قال أبو دواد

اني أتيح له حرباء تنضبة * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

وجمع الحرباء حرابي والانثى حرباءة وألف حرباء لالحاقه بقرطاس فلذلك ينون وتلحقه الهاء ومثله العلباء ويقال أصخد الحرباء بالصاد والدال المهملتين والخاء المعجمة اذا تصلى بحر الشمس ويقال أيضا اصطخد وهو افتعل أبدلت تاؤه طاء كاصطبر ويقال اصطخم بالميم بمعنى انتصب قائما ويروى هنا مصطخما ويقال اصطخب بالباء بمعنى صاح قال

ان الضفادع في الغدران تصطخب *

وصحف الاصمعي بيت ذي الرمة

فيها الضفادع والحيتان تصطخب *

فقال تصطخب بخاء معجمة فقال له أبو علي الاصفهاني أي صوت للحيتان يا أبا سعيد انما هو تصطحب بالحاء المهملة أي تتجاور والجملة صفة ليوما وضاحيه ما ضحى منه للشمس أي برز

وظهر قال الله تعالى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى أى لا تبرز للشمس ورأى ابن عمر رضى الله عنهما رجلا محرما قد استظل فقال له اضح لمن أحرمت له اضح بكسر الهمزة وفتح الحاء كذا ضبطه الاصمعى وغيره وأما المحدثون فيفتحون الهمزة ويكسرون الحاء من أضح والصواب الاول وانه من ضحى قال الرياشى رأيت أحمد ابن المعذل فى الموقف وقد ضحى للشمس وهى شديدة الحر فقلت له هذا أمر قد اختلف فيه فلو أخذت بالتوسعة فانشد

ضحيت له كى أستظل بظله * اذا الظل أضحى فى القيامة قالصا

فوا أسفا ان كان سعيى باطلا * ووا حزنا ان كان حجى ناقصا

أحمد بن المعذل بالذال المعجمة بصرى مالكى عالم زاهد وهو أخو عبد الصمد بن المعذل الشاعر المشهور ووقع لعبد اللطيف هنا وهمان أحدهما انه جعل القائل اضح لمن أحرمت له النبى صلى الله عليه وسلم وانما هو ابن عمر رضى الله عنهما والثانى أنه قال والمصطخم منصوب لانه خبر أضحى وليس فى البيت أضحى وانما هو خبر يظل وقوله مملول اسم مفعول من ملات الخبزة فى النار بالفتح أملها بالضم ملا اذا عملتها فى الملة بفتح الميم والملة الرماد الحار عند الاكثرين وقال أبو عبيد هى الحفرة نفسها وعلى القولين يعلم فساد قولهم أطعمنا ملة والصواب خبز ملة ويقال لذلك الخبز مملول ومليل أيضا ويقال من السآمة مللت بالكسر أمل بالفتح مللا وملالا وملالة وملة بالفتح أيضا فالملة مشتركة وأما الملة بكسر الميم فهى الدين والشريعة والمعنى ان الآكام تلفعت بالسراب فى يوم يظل الحرباء فيه محترقا بالشمس كأن ما برز منه للشمس مملول كما تمل الخبزة فى النار قال

*(وقال للقوم حاديهم وقد جعلت * ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا)*

الواو عاطفة على قوله وقد تلفع فمحل المعطوف نصب بما نصب الحال المعطوف عليها والواو فى قوله وقد جعلت واو الحال وعامل الحال فعل القول أو قوله حاديهم وقال عبد اللطيف هذا البيت معطوف على قوله وقد تلفع والواو للحال فى الموضعين انتهى وهو منقول من كلام التبريزى وفيه تناقض ظاهر والورق جمع أورق وهو الاخضر الى السواد وانما يكون هذا الصنف فى القفار الموحشة القوية الحرارة البعيدة من الماء ويقال أرق بالهمزة لان الواو مضمومة ضمة لازمة ومثله وجوه وأجوه ووقتت وأقتت وقولنا لازمة احتراز من نحو هذا دلو وأما الورق فى بيت الكتاب وهو اول بيت فيه وهو للعجاج * قواطنا مكة من ورق الحمى * فجمع ورقاء وأصل الحمى الحمام فحذف الميم الثانية ثم قلبت الالف ياء وقيل بل حذفت الالف للضرورة كما تحذف الالف الممدودة فاجتمع مثلان فابدل الثانى ياء كما قالوا فى فلاو ربك لاو ربيك ثم كسر الميم للمناسبة ولتصحيح الروى وقيل غير ذلك والجنادب جمع جندب بضم الدال أو جندب بفتحها وهن ضرب من الجراد وقيل هى الجراد الصغير ونونه عند سيبويه زائدة اذ ليس عنده فى الكلام فعلل بضم أوله وفتح ثالثه وأثبت ذلك الاخفش فى جخدب وطحلب وألفاظ أخر فعلى قوله النون أصل ويركضن يدفعن وفى حديث الاستحاضة هى ركضة من

لمن أحرمت له النبى صلى الله عليه وسلم وانما هو ابن عمر والضمير فى ضاحيه عائد لليوم أو للحرباء والاضافة بمعنى فى على الاول وبمعنى من على الثانى ومملول اسم مفعول من ملات الخبز بفتح الميم أمله بضمها من باب رد يرد اذا عملته فى الملة بفتح الميم كما علمت وهى الرماد الحار عند الاكثرين وقال أبو عبيدة هى الحفرة نفسها وعلى القولين يعلم فساد قولهم أطعمها ملة والصواب خبز ملة وأما الملة بكسر الميم فالدين والشريعة ويقال من الملل بمعنى السآمة مللت بالكسر أمل بالفتح مللا وملالا وملالة وملة بالفتح فالملة بالفتح مشتركة وحاصل معنى البيت ان الجبال الصغار تلفعت بالسراب فى يوم يصير فيه الحرباء محترقا بالشمس كأن البارز للشمس فى ذلك اليوم أو من ذلك الحيوان خبز معمول بالملة بفتح الميم وقد علمت تفسيرها (قوله وقال للقوم الخ) أى وقد قال للقوم الخ فهو معطوف على تلفع لواقع حالا فيكون حالا أيضا وقوله ٦٣ حاديهم أى سائق ابلهم بالحداء وهو الغناء تنشيطا للابل على السير وهو فاعل يقال ومقول القول قوله فى آخر البيت قيلوا والمراد ان الحادى الذى من شأنه انه ينشط الابل على السير قال للقوم الذين هم أصحاب الابل قيلوا من شدة الحر اشفاقا على الابل وقوله وقد جعلت ورق الجنادب يركضن الحصى أى والحال انه قد أخذت وشرعت الورق من الجنادب أو الجنادب الورق يركضن الحصى بأرجلهن من شدة الحر فلا يمكنهن التمكن عليه لكونه محمى بالحر ولا الطيران عنه لاعيائهن بتأثير الحر فيهن والواو للحال وقد للتحقيق وجعلت بمعنى أخذت وشرعت والاضافة فى ورق الجنادب على معنى من أو من اضافة الصفة للموصوف والورق بضم الواو جمع أورق كحمر جمع أحمر والاورق هو الاخضر الذى يضرب الى السواد وقيل الورقة لون يشبه لون الرماد والجنادب جمع جندب بضم الدال وقد تفتح وهو ضرب من الجراد وقيل هو الجراد الصغير وانما يكون هذا الصنف فى القفار الموحشة القوية الحرارة البعيدة من الماء ومعنى يركضن الحصى يحركن الحصى بأرجلهن لقصد النزول بسبب الاعياء عن الطيران من شدة الحر فالركض التحريك بالرجل ومنه ركض الدابة أى تحريكها فى جنبيها برجليه لتسير ثم كثر حتى جعل بمعنى حملها على السير مطلقا ومن الاصل قوله تعالى اركض برجلك وقوله قيلوا أمر من قال يقيل قيلولة وهى الاستراحة فى وقت شدة الحر وان لم يكن نوم ومنه قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا فالمعنى هنا استريحوا فى وقت شدة الحر وحاصل معنى البيت ان هذا اليوم من شدة حره كان الحادى الذى من شأنه ان ينشط الابل على السير قال للقوم والحال انه قد جعلت ورق الجنادب يحركن الحصى بأرجلهن قيلوا من شدة الحر فى القفار الموحشة البعيدة من الماء

لان وروف الجنادب لا تكون الا فى تلك الاماكن فتكون هذه الناقة مع سيرها فى الحر الشديد لها صبر على العطش فى القفار الموحشة مع ضعف غيرها
(قوله شد النهار الخ) أى كان ذلك وقت ارتفاع النهار فشد بفتح الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة المفتوحة بمعنى الارتفاع فهو مصدر جعل
ظرفا على تقدير مضاف وهو وقت يقال جئتك شد النهار أى وقت ارتفاعه وهو مبالغة فى شدة الحر وهو اما ظرف لاوب أو لقيلوا أو بدل من يوما
فى قوله يوما يظل به الحرباء الخ وقوله ٦٤ ذراعا عيطل نصف خبر كان فى قوله كأن أوب ذراعيها الخ على تقدير مضاف كما قدمناه أى كأن أوب
ذراعى هذه الناقة فى هذه
الحالات أوب ذراعى امرأة
طويلة فى السن بين الشابة
والكهلة وما أحسن قول
الحماسى
لا تنكحن عجوزا ان دعيت
لها * واخلع ثيابك منها ممعنا
هربا * وان أتوك وقالوا
انها نصف * فان أمثل نصفيها
الذى ذهبا وانما وصفها
بالطول فى قوله عيطل
وبالتوسط فى السن فى قوله
نصف لان الطويلة تكون
أطول ذراعا والمتوسطة فى
السن تكون فى حين استكمال
قوتها وبلوغ أشدها وحينئذ
تكون أسرع فى الحركة
وأمكن فى القوة وقوله قامت
أى تلك العيطل النصف
تلطم وجهها لشدة حزنها على
ولدها وقوله فجاوبها نكد
مثاكيل أى فتسبب عن
قيامها للطم انه جاوبها فى
اللطم نسوة لا يعيش أولادهن
ويفقدن أولادهن كثيرا
فالفاء للسببية والنكد بضم
النون وسكون الكاف
وبالدال المهملة جمع نكداء
كحمر جمع حمراء وهى التى
لا يعيش لها ولد والمثاكيل
بفتح الميم وبعد الثاء المثلثة
ألف ثم كاف مكسورة بعدها ياء ثم لام جمع مثكال بكسر الميم وسكون المثلثة وبعد الكاف ألف ثم لام وهى كثيرة الثكل بوزن الطويلة
قفل وبفتحتين وهو فقدان المرأة ولدها كما فى المختار وحاصل معنى البيت ان ذلك كان وقت ارتفاع النهار وهو مبالغة فى شدة الحر وسرعة حركة
ذراعى هذه الناقة كسرعة حركة ذراعى امرأة طويلة متوسطة فى العمر قامت تلطم وجهها لحزنها على ولدها فجاوبها نسوة لا يعيش أولادهن
ويفقدن أولادهن كثيرا فيشتد فعلها ويقوى ترجيع يديها عند النياحة لرؤيته حزن غيرها على أولادهن وشدة لطمهن

الشيطان ومن هذا الاصل قالوا ركض الدابة يركضها ركضا لان معناه دفعها فى جنبيها برجليه لتسير ثم كثر ذلك
حتى جعل بمعنى حملها على السير وان لم تدفع بالرجلين ولا غيرهما وقولهم ركضت الدابة بفتح الراء والضاد
بمعنى عدت عده فى اللحن الجوهرى والحريرى وغيرهما وقالوا الصواب ركضت على بناء ما لم يسم فاعله وقال ابن
سيده فى المحكم ركض الدابة يركضها وركضت هى وأباها بعضهم انتهى والصواب عندى الجواز لقولهم
ركض الطائر ركضا اذا أسرع فى طيرانه قال * كأن تحتى باز يا ركاضا * وقال سلامة بن جندل يبكى على فراق
الشباب

ان الشباب الذى مجد عواقبه * فيه نلذ ولا لذات للشيب
ولى حثيثا وهذا الشيب يتبعه * لو كان يدركه ركض اليعاقيب

اليعاقيب جمع يعقوب وله معنيان أحدهما ذكر القبج بفتح القاف واسكان الباء الموحدة بعدها جيم وهو
الحجل بفتحتين والثانى العقاب وهو غريب ذكره بعضهم وأنشد عليه قوله

* عال يقصر دونه اليعقوب * لان الحجل لا يوصف بالعلو فى الطيران وقول الفرزدق
يوما تركن لابراهيم عاقبة * من النسور عليه واليعاقيب

لان الحجل لا تنزل على القتلى ومعنى يركضن الحصا يقفزن عليه فيندفع بعضه الى بعض وجملة يركضن الحصا
خبر لجعل ومعناه شرع كقوله

وقد جعلت اذا ما قمت يثقلنى * ثوبى فأنهض نهض الشارب الثمل

كذا أنشده النحويون ورد ذلك بعضهم وقال الصواب نهض الشارب السكر واستدل بان بعده

وكنت أمشى على رجلين معتدلا * فصرت أمشى على أخرى من الشجر

والصواب انهما قصيدتان فكل من الانشادين صحيح وقيلوا أمر من القائلة والجملة محكية بالقول قال

*(شد النهار ذراعا عيطل نصف * قامت فجاوبها نكد مثاكيل)*

شد النهار ارتفاعه يقال جئتك شد النهار وفى شده وكذلك شد الضحى قال عنترة

فطعنته بالرمح ثم علوته * بمهند صافى الحديدة مخذم
عهدى به شد النهار كأنما * خضب البنان ورأسه بالعظلم

المخذم بكسر الميم واعجام الخاء والذال القاطع والعظلم بكسر العين وبالظاء المعجمة شجر الكتم بفتحتين وهو الذى
يصبغ به الشيب وغيره أى عهدته وقت ارتفاع النهار وقد تخضب رأسه وصدره بدمه واصله عند أبى عبيدة
أشد النهار فحذفت الهمزة وزعم فى الاشد من قوله تعالى حتى اذا بلغ أشده انه جمع لا شد على حذف الزيادة
وهو شد واستشهد بقولهم شد النهار فعلى هذا شد واشد مثل قولهم للمرعى أب وأوب وهذا أحد قولى
السيرافى وقال سيبويه واحدها شدة كنعمة وأنعم وقال أبو الفتح جاء على حذف التاء كما فى نعمة وأنعم وقال
المازنى جمع لا واحد له وهو الثانى من قولى السيرافى وانتصاب شد النهار على الظرفية على حذف شئ فان كان
الشد اسما للارتفاع كما هو المشهور فالمحذوف مضاف اى وقت ارتفاع النهار ويكون من باب قولهم جئتك
صلاة العصر وان كان أصله اشد كما زعم أبو عبيدة فهو موصوف أى وقتا أشد النهار (وقوله ذراعا) خبر لكأن
كما قدمناه وهو على حذف مضاف اذ المعنى كان أوب ذراعيها فى هذه الحالات أوب ذراعى عيطل والعيطلة

الطويلة والنصف التي بين الشابة والكهلة وما احسن قول الحماسي

لا تنكحن عجوزا ان دعيت لها * واخلع ثيابك منها ممعنا هربا

وان أتوك وقالوا انها نصف * فان امثل نصفيها الذي ذهبا

وتصغير النصف نصيف بغير هاء لانها صفة وجمعها انصاف ويقال ايضا رجل نصف ورجال انصاف وحكى يعقوب نصفون ايضا وهو غريب لان مؤنثه لا يقبل التاء ويكون النصف جمع الناصف وهو الخادم والخدم وزنا ومعنى والنوق النكد التي لا يعيش لهن ولد والواحدة نكدى وفي المحكم النكد من الابل الغزيرات اللبن وقيل هي التي لا يبقى لها ولد قال الكميت

ووحوح في حضن الفتاة ضجيعها * ولم يك في النكد المقاليت مشخب

انتهى ويظهر لي ان اصله للغزيرات اللبن ولهذا وصف النكد بالمقاليت وهي جمع مقلات وهي التي لا يعيش لها ولد وكل مقلات نكدى لكثرة لبنها لانها لا ترضع اذ لا ولد لها والتاء في المقلات أصل وليست للتأنيث واشتقاق المقلات عندي من القلت بفتح القاف واللام وهو الهلاك وفي الحديث المسافر وماله على قلت الاما وقى الله وقال الشاعر

لو علمت ايثاري الذي هوت * ما كنت منها مشفيا على القلت

وهو مصدر قلت بالكسر يقلت بالفتح والمثاكيل جمع مثكال وهي الكثيرة الثكل أي التي مات لها أولاد كثيرة والمعنى كأن ذراعي هذه الناقة في سرعتها في السير ذراعا هذه المرأة في اللطم لما فقدت ولدها وجاوبها نساء فقدن أولادهن لان النساء المثاكيل اذا جاوبنها كان ذلك اقوى لحزنها وانشط في ترجيع يديها عند النياحة لمساعدة أولئك لها ونظير هذا البيت قول المثقب العبدي

كأنما أوب يديها الى * حيزومها فوق حصا الفدفد

نوح ابنة الجون على هالك * تندبه رافعة المجلد

الحيزوم والحزيم وسط الصدر وما يشد عليه الحزام والمجلد بكسر الميم قطعة من جلد تكون في يد النائحة تلطم به وجهها قال

*(نواحة رخوة الضبعين ليس لها * لما نعى بكرها الناعون معقول)*

نواحة مبالغة في النائحة اسم فاعل من ناحت المرأة تنوح نوحا ونياحا وهي بالخفض صفة لعيطل أو بالرفع خبر لهي محذوفة أو بالنصب بتقدير أمدح أو أعني والاوجه الثلاثة في قوله رخوة وعلى الخفض فانما جاز ان تقع صفة للنكرة لان اضافتها لفظية كحسن الوجه والرخوة المسترخية والضبع بسكون الباء العضد وجمعه أضباع على غير قياس كافراخ وازناد واحمال في قوله تعالى وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن واما المضموم الباء فالحيوان المعروف وقد يخفف وهو للانثى وجمعه ضباع كسبع وسباع واسم الذكر ضبعان كسرحان وجمعه ضباعين كسراحين ولما عند سيبويه حرف فانه قال اما لو فلما كان سيقع لوقوع غيره واما لما فهي للامر الذي وقع لوقوع غيره فجمع بينها وبين لو في الذكر وقال ابن السراج ظرف بمعنى حين وتبعه تلميذه الفارسي وتبعه تلميذاه ابن جني وأبو طالب العبدي والبكر الام بكسر الباء أول أولادها ذكرا كان أو أنثى ويقال للام بكر وللوالد أيضا قال

يا بكر بكرين ويا خلب الكبد * أصبحت مني كذراع من عضد

(قوله نواحة الخ) أي هي نواحة الخ فنواحة بالرفع خبر مبتدا محذوف تقديره هي ويصح أن يكون بالجر على انه صفة لعيطل وبالنصب على انه مفعول لفعل محذوف تقديره أعني ولا يحسن تقديره أمدح لانه غير مناسب للمقام والنواحة بفتح النون وتشديد الواو وبعدها الف ثم حاء مهملة وفي آخره تاء التأنيث كثيرة النوح على ميتها فنواحة صيغة مبالغة تقتضي كثرة النوح وقوله رخوة الضبعين أي مسترخية العضدين فتكون أسرع حركة من غيرها فرخوة بكسر الراء وسكون الخاء المعجمة وفتح الواو وفي آخره تاء التأنيث بمعنى مسترخية ومعنى الضبعين بسكون الباء العضدان وهو مثنى ضبع بسكون الباء وهو العضد وجمعه أضباع على غير قياس كفرخ وأفراخ وأما الضبع بضم الباء فهو الحيوان المعروف وجمعه ضباع كسبع وسباع وقوله ليس لها لما نعى بكرها الناعون معقول أي ليس لتلك المرأة حين أخبرها الناعون بموت أول أولادها عقل لان أول أولادها أعز عليها من غيره وقد نعاه لها المخبرون بموته النادبون له ولم تمرضه فتسلى بتمريضه فهي مع استرخائها وسرعة حركة يديها وكثرة نياحتها ليس لها من العقل رادع يردعها ولا زاجر يزجرها ولا تحس بالاعياء والتعب فكانت نياحتها حينئذ أشد وكذلك هذه الناقة في سيرها ويؤكد ذلك قوله في البيت السادس والعشرين وهي لاهية على احدى الروايتين كما تقدم هنالك فالضمير في لها يعود على المرأة الموصوفة بالصفات المذكورة ولما بمعنى حين فهي ظرف كما ذهب اليه الفارسي وقيل حرف وجود لوجود ونعى بمعنى أخبر بالموت

يقال نعى ينعى نعيا مثل سعى يسعى سعيا اذا أخبر بالموت فالنعي بسكون العين خبر الموت ومثله النعي بكسر العين وتشديد الياء يقال جاء نعي فلان ونعيه أي خبر موته كما في المختار وبكرها بكسر الباء وسكون الكاف هو أول أولادها ذكرا كان أو أنثى واما البكر بفتح الباء فهو الفتى من الابل والانثى بكرة والناعون هم المخبرون بالموت النادبون له وهو جمع ناع كعافون جمع عاف ويكسر على نعاة كقضاة قال جرير نعى النعاة أمير المؤمنين لنا * يا خير من حج بيت الله واعتمرا والمعقول هنا بمعنى العقل فهو أحد المصادر التي جاءت

على مفعول كمعسور وميسور ومفتون قال الله تعالى بأيكم المفتون أي الفتنة وحاصل معنى البيت ان هذه المرأة كثيرة النوح على ميتها مسترخية العضدين فيداها اسرعتان في الحركة ولما أخبرها الناعون بموت أول أولادها لم يبق لها عقل فلا تحس بالاعياء والتعب فكذلك هذه الناقة لا تحس باعياء ولا تعب في سيرها (قوله تفرى اللبان الخ) أي تقطع تلك المرأة صدرها بأنامل أصابع كفيها لذهاب عقلها صارت تقطع صدرها بأناملها فالجملة صفة أخرى للمرأة ٦٦ الموصوفة بتلك الصفات وتفرى بفتح التاء من فرى يفرى وبضمها من أفرى يفرى يقال فريته وأفريته بمعنى واحد كما في القاموس وقال الكسائي أفريت الاديم قطعته على جهة الافساد وفريته قطعته على جهة الاصلاح فمعناهما مختلف واللبان بفتح اللام وهو الصدر وأل فيه نائبة عن الضمير والاصل لبانها أي صدرها وبكفيها متعلق بتفرى وهو على تقدير مضافين والاصل بأنامل أصابع كفيها فاندفع ما أورد عليه من ان الفرى بأنامل الاصابع لا بالكفين وقوله *ومدرعها مشقق عن تراقيها رعابيل* أي والحال ان قميصها مشقوق كثيرا عن عظام صدرها قطع كثيرة فالمدرع بفتح الميم وسكون الدال وفتح الراء وبالعين هو القميص وكذلك الدرع وهو مذكر كالقميص وأما درع الحديد فمؤنثة كالحلقة والمشقق المشقوق كثيرا وعن تراقيها متعلق بمشقق والتراقي جمع ترقوة بفتح التاء على وزن فعلوة وهي عظام الصدر التي تقع عليها القلادة والرعابيل كعصافير القطع جمع رعبول كعصفور وهو القطعة من الشيء ومنه رعبلت اللحم اذا قطعته وجزأته ولا يخفى ان قوله مشقق خبر اول ورعابيل خبر ثان ويصح ان يكون صفة لمشقق وحاصل معنى البيت ان هذه المرأة تقطع صدرها بأناملها لذهاب عقلها وقميصها مشقوق كثيرا عن عظام صدرها قطع كثيرة ولما كانت هذه المرأة مسلوبة العقل صارت لا تحس بما تلاقي من الالم في بدنها وما تفسده من ثيابها والمراد من تشبيه الناقة بهذه المرأة في الحالة المذكورة ان الناقة صارت مسلوبة الادراك فلا تحس بما تلاقي من مشاق السير وهذا آخر ما ذكره الناظم من أوصاف الناقة والله أعلم (قوله تسعى الوشاة الخ) هذا شروع

أي يا بكر أبو بني بكر بن يثبت له بهذا الوصف الصلابة والقوة ومن مجيء ذلك في الابل قول أبي ذؤيب الهذلي

مطافيل أبكار حديث نتاجها * تشاب بماء مثل ماء المفاصل

والمراد بماء المفاصل مياه تجري في مواضع صلبة بين الجبال وذكر لي بعض الطلبة انه اقام مدة يسأل عن معناه فلم يجد من يعرفه وهو مشهور وأما البكر بفتح الباء فهو الفتي من الابل والانثى بكرة والجمع بكار وبكارة والناعون جمع ناع وأصله الناعيون فاستثقلت الضمة على الياء المكسور ما قبلها فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت الياء لالتقائهما ثم ضمت العين لاجل واو الجمع ومثله القاضون والرامون ويكسر على نعاة قياسا وسماعا قال جرير

نعى النعاة أمير المؤمنين لنا * يا خير من حج بيت الله واعتمرا

والمعقول العقل وهو احد المصادر التي جاءت على صيغة مفعول ومثله المعسور والميسور والمفتون في قوله تعالى بأيكم المفتون أي الفتنة قاله الاخفش والفراء وأنكر سيبويه مجيء المصدر بزنة المفعول وتأول قولهم دعه من معسوره الى ميسوره على انه صفة لزمان محذوفا أي دعه من زمان يعسر فيه الى زمان يوسر فيه وقولهم ماله معقول على معنى ماله شيء يتعقل ويلزم من انتفاء الشيء المتعقل انتفاء العقل كما يلزم من انتفاء المضروب انتفاء الضرب وأما الآية فقيل الباء زائدة في المبتدأ (ومعنى البيت) ان هذه المرأة كثيرة النوح مسترخية العضدين فيداها اسرعتا الحركة فلما أخبرها الناعون بموت ولدها لم يبق لها عقل فاقبلت تشقق باظافيرها منخرها وصدرها ومدرعها وتدقها بايديها كما سيأتي في البيت بعده قال

*(تفرى اللبان بكفيها ومدرعها * مشقق عن تراقيها رعابيل)*

تفرى تقطع ويكون في الذوات كهذا البيت وفي المعنى كقول زهير

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

اي ولانت تقطع الذي تقدره في نفسك ويجوز في حرف المضارعة الفتح والضم يقال فريته وافريته بمعنى وقال الكسائي أفريت الاديم قطعته على جهة الافساد وفريته قطعته على جهة الاصلاح واللبان بفتح اللام الصدر قال عنترة

فازور من وقع القنا بلبانه * وشكا الي بعبرة وتحمحم

وأل فيه نائبة عن الضمير والباء للاستعانة مثلها في كتبت بالقلم ومدرع المرأة ودرعها قميصها وهو مذكر كالقميص وأما درع الحديد فمؤنث كالحلقة قال في الاول درع سابغ وفي الثاني سابغة ومشقق أي مشقوق شقا كثيرا والتراقي جمع ترقوة بفتح التاء والعامة يضمونها وهو خطأ ووزنها فعلوة وهي عظام الصدر التي تقع عليها القلادة والرعابيل بالمهملتين القطع من رعبلت اللحم اذا قطعته وجزأته قال *ترى الملوك حوله مرعبله* ويقال ثوب رعابيل أي قطع وجاء فلان في رعابيل أي في أطمار وأخلاق والمعنى انها تضرب صدرها بكفيها مشققة الدرع تأسفا على ولدها ورعابيل صفة لمشقق او خبر ثان والجملة الفعلية صفة اخرى لعطل تابعة ان كان ما قبلها تابعا او مقطوعة بالرفع والنصب سواء قدر ما قبلها تابعا أو مقطوعا أو حالا من ضمير نواحة والجملة الاسمية حال اما من فاعل تفرى فان كان تفرى حالا من ضمير نواحة فالحالان متداخلان واما من ضمير نواحة فهما مترادفان والصحيح جوازه وعن متعلقة بمشقق كما تقول تشقق الكمام عن الثمرة ونظيره في احد الوجهين ويوم تشقق السماء بالغمام قيل الباء بمعنى عن وقيل باء الآلة مثل كتبت بالقلم والمعنى مختلف قال

*(تسعى الوشاة جنابيها وقولهم * انك يا ابن أبي سلمى لمقتول)*

في القسم الرابع من أقسام الغزل وهو المتعلق بغير المحب والمحبوب بسببهما كما تقدم وتسعى مضارع سعى بمعنى وشى يقال سعى به الى السلطان اذا وشى أو مضارع سعى اذا أسرع في سيره ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وانتم تسعون أي وانتم تسرعون في سيركم أو مضارع سعى اليه اذا أتاه ومنه قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله والوشاة جمع واش كغزاة جمع غاز وهم الذين يوشون بين المحب والمحبوب ليفسدوا بينهما سموا وشاة لانهم يشون الحديث أي يزينونه ويحسنونه أخذا من الوشى الذي هو تزيين الثياب وتحسينها وقوله جنابيها اي جنابي سعاد المتقدم ذكرها والجنابان تثنية جناب بفتح الجيم وهو فناء الشئ بكسر الفاء وماقرب من محلة القوم ويروى حولها بدل جنابيها وهو جمع حول بمعنى جهة فالمعنى تسعى الوشاة في جهاتها بالافساد بينه وبينها وتنفيرها عنه وهذا قد ابتلي به كثير من المحبين فيمن يحبونه فقل ان يظفر الانسان بمن يحبه الاحسد عليه وتطرقت عيون الوشاة اليه فاستمالوه عنه وان كان الصادق في المحبة لا يصرف قلبه عمن يحبه اعراض ولا صدود ولم تزل الناس قديما وحديثا على ذم الوشاة والتحذير منهم ولله در القائل

عندى لكم يوم التواصل دعوة * يامعشر الجلساء والندماء
أشوى كبود الحاسدين بها وأك * سنة الوشاة واعين الرقباء

وقال بعضهم

لا تسمعن من الحسود مقالة * لو كان حقا ما يقول الواشي

وقد ورد الكتاب والسنة بذم السعاية والمشي بالنميمة وافساد ما بين الاحبة قال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وانما سماه الله تعالى فاسقا لانه نمام ومشي في السعاية خروج عن ان يكون ثقة ولذلك لما عتب انسان على شخص في كلام نقل عنه فقال من أخبرك به قال الثقة قال لو كان ثقة مانم وقد ذمه الله تعالى ونهى عن طاعته بقوله ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم وتوعده بالويل في قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة وقال صلى الله عليه وسلم أبغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وهذا مرض قد ابتلي به كثير من الناس فيصير فيه طبعا من كبر او غريزة ثابتة فلا يستطيع ان يسمع حديثا الانقله ولا يجالس الاحكاه كما قيل تراه ينقط الاخبار مجتهدا * حتى اذا ماوعاها ارق ما لقطا ووشى واش برجل الى ذي القرنين فقال ان شئت سمعنا منك ما تقول فيه على ان نسمع منه ما يقول فيك وان شئت عفونا عنك فقال العفو ولا أعود وقد جرت العادة بان من قال لك قال عليك ومن نقل حديث غيرك اليك نقل حديثك الى غيرك وقوله وقولهم انك يا ابن أبي سلمى لمقتول عطف على قوله تسعى الوشاة الخ من قبيل عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية فاو والعطف وجعلها بعضهم

تسعى من قولهم سعى به الى السلطان سعاية اذا وشى به أو من قولهم سعى سعيا اذا عدا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون أو من قولهم سعى اليه اذا أتاه ومنه فاسعوا الى ذكر الله والوشاة جمع واش كالرماة والغزاة والقضاة والواشي اسم فاعل من وشى به يشي وشاية ووشيا اذا سعى به سموا بذلك لانهم يشون الحديث أي يزينونه ومنه سمي الوشي وشيا والجناب بفتح الجيم الفناء بكسر الفاء وماقرب من محلة القوم وجمعه أجنبة مثل قذال وأقذلة وطعام وأطعمة يقال أخصب جناب القوم وسار واجنابيه أي ناحيتيه وأما قولهم فرس طوع الجناب فانه بكسر الجيم ومعناه سهل القياد ومثل الجناب بالفتح الجنابة والجنبة معناهما أيضا الناحية يقال نزل جنبة الوادي أي ناحية منه قال الفرزدق

فبتن جنابتي مطرحات * وبت أفض معقود الختام

وانتصاب جنابيها على الظرفية المكانية لانه مبهم لانه بمعنى الناحيتين وهذا مبهم ولا يخرجه عن الابهام اختصاصه بالاضافة كما تقول جلست مكان زيد وقعدت موضعه وزيد بمكان عبد الله وموضعه وفي أمثلة سيبويه هما خطان جنابتي أنفها بالتأنيث وأورده في صنف المبهم والابهام فيه ظاهر كما ذكرنا ونظره سيبويه بقول الاعشى نحن الفوارس يوم الحنو ضاحية * جنبي فطيمة لا ميل ولا عزل

وفطيمة جبل وقيل امرأة قعدت مع بناتها وقاتل قومها عنها ولم تختص الجنبتان باضافتهما الى الجبل أو المرأة بل هو باق على ابهامه لان أصله الابهام وانما عرض له الاختصاص في التركيب بخلاف المسجد والدار مما لا ينطلق على كل موضع بل هو باصل وضعه لمعين مخصوص ويروى حولها وهو بمعنى جنابيها يقال قعدوا حوله وحواله وأحواله وحوليه وحواليه قال الله تعالى فلما أضاءت ما حوله وقال الشاعر

* وأنا أمشي الدألى حوالكا * وقال آخر * ماء رواء ونصي حوليه * وفي الحديث اللهم حوالينا ولا علينا والعامل هنا محذوف اى اللهم أنزل المطر حوالينا ولا تنزله علينا وقال امرؤ القيس

فقالت سباك الله انك فاضحي * ألست ترى السمار والناس أحوالي

ولم يسمع أحوال بهذا المعنى الا في هذا البيت وضمير جنابيها أو حولها لسعاد التي ذكر انه لا يبلغه أرضها الا العتاق المراسيل التي وصفها أي ان الوشاة يسعون اليها وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه وجملة تسعى الوشاة حولها مستأنفة للتخلص للمدح أو حال من سعاد أي فارقت والحال ان الوشاة يسعون حولها وقوله وقولهم الواو للحال وما بعدها مرفوع بالابتداء والجملة بعده خبر وهي نفس المبتدا في المعنى فلا تحتاج الى رابط ويروى بنصب ما بعد الواو على انه مصدر ناب مناب فعله مثل سبحان الله ومعاذ الله بمعنى أسبحه وأعوذ به أي يسعون ويقولون والواو على هذا واو العطف ويضعف ان تكون واو الحال حتى يقدر ان الاصل وهم يقولون لتكون الواو داخلة على الجملة الاسمية ويروى وقيلهم ويروى ومعاونه سابقا قال قولا وقالا وقيلا ومقالا ومقالة وفي

واو الحال وقولهم باشباع الميم ويروى وقيلهم باشباع الميم أيضا والقيل مصدر كالقول يقال قال قولا وقيلا ومقالا ومقالة وعلى كل فهو مبتدأ خبره جملة قوله انك لمقتول وهي عين المبتدأ في المعنى فلا تحتاج الى رابط وجملة النداء اعتراضية بين اسم ان وخبرها والمراد من ابن أبي سلمى كعب بن زهير ابن أبي سلمى فقد نسبوه لجده الذي هو أبو سلمى كما في قوله صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وسلمى بضم السين على وزن حبلى قال علماء الحديث وليس في العرب سلمى بضم السين غيره واللام من لمقتول لام الابتداء وفائدتها زيادة التاكيد ومعنى مقتول متوعد بالقتل لانه صلى الله عليه وسلم أمر بقتله وأهدر دمه حيث قال من لقي كعبا فليقتله وغرضهم بذلك ارجافه وتخويفه وتضييق سبيل النجاة عليه فقد انتقل من ذكر سعي الوشاة بينه وبينها الى ذكر تخويفهم له بالقتل الذي أوعده به النبي صلى الله عليه وسلم حين أهدر دمه قبل اسلامه

والحاصل ان أمر الوشاة معه يرجع الى مقصدين الاول سعيهم بينه وبينها التنفيرها عنه وهو المعنى بقوله تسعى الوشاة جنابيها أوحوا اليها الثاني ارجافهم له وتخويفهم اياه واظهار الشماتة به وهو المعنى بقوله وقولهم انك يا ابن أبي سلمى لمقتول فلم يكف كعبا مالاقاه من صد محبوبته وبعدها عنه بحيث صارت الى أرض لا يبلغها الا الناقة التي وصفها بالصفات السابقة بل تضاعف غمه وكثر همه لكون الوشاة يسعون بينه وبينها ويبعدون عنه وصلها ويخوفونه بالقتل ويشمتون به (قوله وقال كل خليل الخ) عطف على قوله وقولهم انك الخ فهو من عطف الجملة الفعلية على الجملة الاسمية لانها ترجع في المعنى الى الفعلية فالتقدير وقالوا انك الخ وقال كل خليل الخ فلما سمع الوعيد من الوشاة جاء لاخلائه الذين كان يأملهم للشدائد ويستجير بهم فقالوا له ماذكر يأسا من سلامته وخوفا من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ان آووه ونصروه لانه صلى الله عليه وسلم أهدر دمه واذن في قتله لكل من لقيه ولفظة كل هنا للمبالغة كما في قولهم أعرض كل الناس عن فلان والخليل من الخلة بالضم وهي صفاء المودة ويكون من الخلة بالفتح وهي الحاجة كما في قول زهير وان أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالي ولا حرم وأما الخلة بالكسر فهي البيت المعروف ومقام الخليل مقام قبول محض ولذلك قال ابن الفارض أخلاي أنتم أحسن الدهر أم أسي * فكونوا كما شئتم فاني أنا الخل وجملة قوله كنت آمله صفة لخليل فهي في محل جر أو صفة لكل فهي في موضع رفع والاول أولى لان لفظة كل انما تدخل لافادة العموم فالمسند اليه في الحقيقة مخفوضها والمراد كنت آمل خيره وأرتجي اعانته لي في المهمات لان الذوات لا تؤمل وجملة قوله لا الهينك بلا الناهية وفي رواية

كتاب الوقف والابتداء لابي حاتم السجستاني في قوله تعالى وقيله يارب انتصب قيله على المصدر وقد روى الاصمعي وغيره قول كعب رضي الله عنه وقولهم منصوبا على تقدير ويقولون قولهم ولا يجوز أن تقرأ الآية الكريمة الا بالنصب وأما من جر أو رفع فقوله بظن وتخليط انتهى ملخصا وهذا تخليط منه وجنون فان القراءة بالجر ثابتة في السبعة وهي قراءة حمزة وعاصم ووجهت بالعطف على الساعة وباضمار مضاف أي وعنده علم الساعة وعلم قيله وهما بعيدان وباضمار فعل القسم وحرفه ويكون ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم ولا يتعين في قراءة النصب ماذكر من كونه مصدرا بل يجوز أن يكون على النصب بعد اضمار حرف القسم ويتم حينئذ توجيه القراءتين وان يكون عطفا على معمول مذكور وهو سرهم ونجواهم أو محذوف معمول ليكتبون أو لعلمون أي يكتبون ذلك ويكتبون قيله أو يعلمون الحق وقيله أو على محل الساعة وفيه بعد وأما الرفع فقراءة شاذة وهي على الابتداء وما بعده الخبر أو على الابتداء والخبر محذوف أي قسمي أو يميني بمثل أيمن الله ولعمر الله وقوله يا ابن أبي سلمى جملة معترضة بين اسم ان وخبرها ونسب بنوته لجده كقوله عليه الصلاة والسلام أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وسلمى بضم السين قال التبريزي وليس في العرب سلمى بالضم غيره وقوله لمقتول أي اصائر الى القتل ومثله انك ميت وانهم ميتون وفي الحديث من قتل قتيلا فله سلبه قال

*(وقال كل خليل كنت آمله * لا الهينك اني عنك مشغول)*

لما سمع هذا الوعيد التجأ الى اخوانه الذين كان يأملهم ويرجوهم فتبرؤا منه يأسا من سلامته وخوفا من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمة كل هنا للمبالغة كما تقول أعرض الناس كلهم عن فلان ومثله ولقد أريناه آياتنا كلها وكان ومعمولاها صفة لخليل فموضعها خفض أو لكل فموضعها رفع والاول أولى لان كلا انما تدخل لافادة العموم والمسند اليه بالحقيقة مخفوضها ومن ثم كان ضعيفا قوله

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

من وجهين أحدهما استعمال الا صفة مع امكان الاستثناء وانما يحسن ذلك عند تعذره كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقولهم لو كان معنا رجل الا زيد لغلبنا اذ الاستثناء من النكرة انما يجوز اذا كانت عددا نحو له عندي عشرة الا واحدا أو موصوفة بصفة تفيد التعيين نحو جاءني رجال جاؤك الا واحدا منهم أو كانت في غير الايجاب نحو ما جاءني رجل الا زيدا ولا يجوز فيما عدا ذلك لا يقال جاءني رجال الا زيدا ولا جاءني رجل الا عمرا والثاني انه وصف كلا وكان حقه ان يصف مخفوضها لانه المقصود والخليل فعيل من الخلة بالضم وهي الصداقة ويكون الخليل بمعنى الفقير من الخلة بالفتح وهي الحاجة وفي ذلك يقول زهير

وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

وجوزوا ذلك في قولهم في حق أبينا ابراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الله ان يكون بمعنى فقير الله وقوله آمله

أي آمل خيره أو معونته لان الذوات لا تؤمل وقوله لا ألهينك الجملة نصب بالقول ولا نافية فالتوكيد بالنون ضرورة أو جائز في النثر على الخلاف المتقدم بخلاف التوكيد بعد لا الناهية فانه قياس ويجوز كون لا ناهية على حد قولهم لا أرينك ههنا فالتوكيد مثله في قوله * فلا يغرنك ما منت وما وعدت * وقد مضى شرحه ومعنى لا ألهينك لا أشغلنك عما أنت فيه بأن أسهله عليك وأسليك فاعمل لنفسك فاني لا أغني عنك شيأ يقال لهيت عنه الهى مثل خشيت أخشى اذا تشاغلت عنه بغيره وفي الحديث اذا استأثر الله بشئ فاله عنه أي تشاغل عنه وتغافل وكان ابن الزبير اذا سمع المؤذن الها عن كل ما يحضرته فاذا أردت تعديته أدخلت عليه همزة النقل فقلت ألهيته عنه أي شغلته عنه ومنه ألهاكم التكاثر ومشغول اسم مفعول من شغله يشغله بالفتح فيهما لاجل حرف الحلق وعنك متعلق به وان ومعمولاها ابدل من لا ألهينك كقوله تعالى أمدكم بما تعلمون أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون وقول الشاعر * أقول له ارحل لا تقيمن عندنا * واما في موضع التعليل فان كان على طريقة الاستئناف كسرت ان كما في وجه الابدال وان كان على اضمار اللام فتحت وقد مضى هذا مشروحا في شرح قوله * ان الاماني والاحلام تضليل * قال

*(فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم * فكل ما قدر الرحمن مفعول)*

لما يئس من نصرة اخلائه أمرهم ان يخلوا طريقه ولا يحبسوه عن المثول بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فيمضي فيه حكمه فان نفسه قد أيقنت ان كل شئ قدره الله تعالى فهو واقع وخلوا أمر من التخلية وهي الترك والسبيل والطريق متفقان في المعنى وفي الوزن وفي الجمع على فعل وفي جواز تخفيف عين الجمع بالاسكان والصراط مثلهما الا في الوزن ويجوز في الثلاثة التذكير والتأنيث ومن أدلة تأنيث السبيل قوله تعالى ولتستبين سبيل المجرمين في قراءة ابن كثير وابن عامر وأبي عمرو وحفص بتأنيث الفعل ورفع السبيل واما استدلال كثير من أهل اللغة والتفسير بقوله تعالى قل هذه سبيلي فغلط لان المراد هذه الطريقة التي أنا عليها سبيلي وليست الاشارة للسبيل ولو صح هذا الاستدلال لصح الاستدلال على ان الرحمة مذكرة بقوله تعالى قال هذا رحمة من ربي ومن أدلة تذكيره قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ولا دليل في قراءة أبي بكر والاخوين ليستبين بالتذكير وسبيل بالرفع لان التأنيث المجازي يجوز معه تذكير الفعل المسند الى ظاهر (وقوله لا أبا لكم) لا نافية للجنس وأبا اسمها وهو معرب والكاف والميم مضاف اليه واللام زائدة لتأكيد معنى الاضافة فلا تتعلق بشئ وأقحمت بين المتضايفين كما أقحمت بينهما في قوله

يا بؤس للحرب التي * وضعت أراهط فاستراحوا

وهي معتد بها من وجه دون وجه أما وجه الاعتداد فان اسم لا التبرئة لا يضاف الى المعرفة فهذه اللام مزيلة لصورة الاضافة وأما وجه عدم الاعتداد فهو ان ما قبلها معرب بدليل ثبوت الالف وانما يعرب اسم لا اذا كان

لا ألهينك بلام القسم في محل نصب مقول القول والتوكيد على الرواية الاولى ضرورة بخلافه على الرواية الثانية فانه مقيس والمعنى على الرواية الاولى لا اشغلنك عما أنت فيه من الخوف والفزع بان أسهله عليك وأسليك فاعمل لنفسك فاني لا أغني عنك شيأ وعلى الرواية الثانية والله لا جعلتك مشغولا عني فلا تطالب مني نصرة ولا معونة والهينك بضم الهمزة من ألهى بمعنى شغل قال الله تعالى ألهاكم التكاثر أي شغلكم وجملة قوله اني عنك مشغول في موضع التعليل لما قبله فان كان التعليل على طريق الاستئناف فان مكسورة الهمزة وان كان على اضمار لام التعليل فان مفتوحة الهمزة أي لاني مشغول عنك بامور نفسي فلا اطالب مني نصرة ولا معونة وعنك جار ومجرور متعلق بمشغول وحاصل معنى البيت ان كل صديق كان يرجوه لشدائده ويخبأ لوقت مصائبه قال له لا أشغلنك عما أنت فيه ٦٩ أو لا جعلتك مشغولا عني على الروايتين السابقتين لاني مشغول عنك بامور نفسي والمشغول لا يشغل (قوله فقلت خلوا سبيلي الخ) أي فقلت للاخلاء اتركوا طريقي لاذهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأتمثل بين يديه فخلوا بمعنى اتركوا لانه فعل أمر من التخلية بمعنى الترك والسبيل كالطريق وزنا ومعنى فلما أيس من نصرة أخلائه وتحقق انهم لا يغنون عنه شيأ أمرهم ان يخلوا طريقه ليذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتمثل بين يديه لانه تحقق انه صلى الله عليه وسلم يقبل من جاء اليه تائبا ولا يطالب بما كان قبل الاسلام فان أخاه قد كتب اليه كتابا يخبره بذلك كما تقدم ذكره وكان ذلك قد شاع عنه صلى الله عليه وسلم في قبائل العرب فأدركته العناية الالهية لينال السعادة الابدية وشرح الله صدره للاسلام وهداه الى الصراط المستقيم وقوله لا أبا لكم باشباع الميم ذم لهم لكونهم لم يغنوا عنه شيأ ووجه كون ذلك ذما انه كناية عن الخسة لان نفي النسب وجهله يستلزم خسة المنفي عنه أو مدح لهم على سبيل التهكم والاستهزاء ووجه كون ذلك مدحا انه كناية عن عدم النظير لانه لو كان له أب لكان له نظير عادة وهو أخوه فكلمة لا أبا لكم تستعمل للمدح والذم ثم ان لا نافية للجنس وأبا اسمها منصوب بالالف لكونه مضافا للكاف واللام زائدة لتأكيد معنى الاضافة فهي مقحمة بين المتضايفين وبحث في ذلك بانه اذا كان مضافا للكاف تعرف بالاضافة فلا تعمل فيه لا لكونها لا تعمل الا في النكرات واجيب بأن زيادة اللام بين المتضايفين جعلت الاضافة كالعدم وقيل ان اللام أصلية والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للاب وانما لم ينون حملا للشبيه بالمضاف على المضاف وعلى كل من هذين القولين فالخبر محذوف وقيل ان الجار والمجرور هو الخبر وعلى هذا فاسم لا مفرد مبني ولكنه جاء على لغة من يقول

ان أباها وأبا أباها * قد بلغا فى المجد غايتاها وقوله فكل ماقدر الرحمن مفعول أى لان كل شئ قدره الرحمن من حياة أو موت أو غيرهما مفعول لامحالة فالفاء للتعليل وما نكرة موصوفة بمعنى شئ والجملة بعدها صفة ومفعول خبر كل فتيقن ان ماقدره الله له أو عليه لابد ان يسمو فيه لامحيد عنه ولا براح له عن استيفائه توفيقا لمذهب أهل الحق ومنهج الصدق قال تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر وقال تعالى وكان أمر الله قدرا مقدورا وقد أخرج أبو داود من حديث عبادة بن الصامت انه قال لابنه يابنى انك لاتجد طعم حقيقة الايمان حتى تعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ماخلق الله القلم قال اكتب قال يارب وما أكتب قال اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة من مات على غير هذا فليس منى وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق ٧٠ السموات والارض بخمسين ألف سنة والحاصل ان كعبا أدركته العناية الالهية من وجهين الاول قوة عزمه على لقاء النبى صلى الله عليه وسلم والمسير اليه كما يشير اليه قوله

* فقلت خلوا سبيلى لا أبا لكم

والثانى ركونه الى القدر واعترافه بوقوعه لامحالة كما اشار الى ذلك بقوله

* فكل ماقدر الرحمن مفعول

(قوله كل ابن أنثى الخ) كل مبتدأ خبره محمول وابن مضاف اليه والمراد بالابن مايشمل البنت وان كان لفظ الابن لايقع فى اللغة الا على الذكر واقتصر على نسبته للانثى لان لحوقه بها قطعى بخلاف لحوقه بالرجل فانه ظنى ولان بعض الافراد لا أب له كعيسى عليه السلام وقوله وان طالت سلامته عطف على محذوف والتقدير ان قصرت سلامته وان طالت والجملتان فى محل نصب على الحالية من ضمير محمول أى مستويا قصر سلامته وطولها لان الجملة الشرطية يجوز ان تقع حالا اذا شرط فيها الشئ ونقيضه نحو لأضربنه ان ذهب وان مكث والذى سوغ حذف الجملة الاولى التى هى ان قصرت انه اذا ثبت الحكم على تقدير طول سلامته فثبوته على تقدير قصر سلامته من باب أولى على حد زيد وان كثر ماله بخيل وان وصلية فلاجواب لها وقيل الجواب محذوف لدلالة خبر المبتدا عليه أى ان قصرت سلامته وان طالت فهو محمول على حد قوله تعالى وانا ان شاء الله لمهتدون ويوما ظرف لمحمول مقدم عليه أى محمول فى يوم وليس متعلقا بطالت لفساد المعنى عليه وعلى آلة جار ومجرور متعلق بمحمول وحدباء من معانيها الضيقة ومن معانيها ايضا المرتفعة ومنه الحدب من الارض أى المرتفع منها والمراد بالآلة الحدباء هنا النعش سمى بذلك لضيقه أو لارتفاعه على القولين المذكورين فى معنى الحدباء وقيل لصعوبته بسبب مرتقاه وهو الموت وقيل اخذا من قولهم ناقة حدباء اذا بدت جوانبها لان النعش كذلك والظاهر انه سمى بذلك تشبيها بالرجل الاحدب لان العرب لم تكن تعرف الاسرة المعمولة من الخشب وانما كانوا يأخذون

مضافا أو شبيها بالمضاف هذا قول سيبويه والجمهور ويشكل عليه قولهم لا أبالى ولايجوز ان تعرب الاسماء الستة بالاحرف اذا كانت مضافة للياء وذهب هشام وابن كيسان وابن مالك الى ان اللام غير زائدة وانها ومجرورها صفة للاب فيتعلق بكون محذوف مرفوع أو منصوب وانهم نزلوا الموصوف منزلة المضاف لطوله بصفته ولمشاركته للمضاف فى أصل معناه اذ معنى أبوك وأب لك شئ واحد ويشكل عليه ان الاسماء الستة لاتعرب بالحروف الا اذا كانت مضافة وانهم يقولون لاغلامى له فيحذفون النون ويجاب عنهما بان شبيه الشئ جار مجراه وعلى القولين فيحتاج الى تقدير الخبر وذهب الفارسى وابن يسعون وابن الطراوة الى ان اللام غير زائدة وانها ومجرورها خبر فيتعلق بكون محذوف مرفوع وان اسم لا مفرد مبنى ولكنه جاء على لغة من يقول ان أباها وأبا أباها * قد بلغا فى المجد غايتاها

ويرده أمران أحدهما أن الذى يقول جاءنى أبالك بعض العرب والذى يقول لا أبا لزيد جميع العرب والثانى قولهم لاغلامى له بحذف النون (واعلم) ان قولهم لا أباله كلام يستعمل كناية عن المدح والذم ووجه الاول ان يراد نفى نظير الممدوح بنفى أبيه ووجه الثانى أن يراد انه مجهول النسب والمعنيان محتملان هنا أما الثانى فواضح لانهم لما لم يغنوا عنه شيأ أمرهم بتخلية سبيله ذاما لهم وأما الاول فعلى وجه الاستهزاء (وقوله فكل) الفاء للتعليل والمعلل الامر وما بينهما اعتراض وما بمعنى شئ أو بمعنى الذى وعائد الصلة أو الصفة محذوف وهو مفعول قدر (والرحمن) معناه الواسع الرحمة وهل هو صفة غالبة ملتحقة بالاعلام كالدبران والعيوق أو صفة محضة كالغضبان الاول اختيار الاعلم وابن مالك وعليه فهو فى البسملة بدل والرحيم صفة له أى للرحمن لا صفة لله لانه لايتقدم البدل على النعت والثانى قول الجمهور وعليه فهو والرحيم صفتان وحينئذ يصح ايراد السؤال المشهور وهو ان يقال لم بدأ بالوصف الابلغ وانما المألوف ان يختم به فيقال عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض ولذلك أجوبة مذكورة فى موضعها قال

*(كل ابن أنثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول)*

يقول اذا كان كل من ولدته أنثى وان عاش زمنا طويلا سالما من النوائب فلابد له من الموت فلم الجزع يانفس وبم تفرحون أيها الشامتون ومنه

اذا ما الدهر جر على أناس * كلاكله أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

وللآلة ثلاثة معان أحدها النعش ذكره الجوهرى وأنشد عليه هذا البيت وما أحسن قول الشاطبى رضى الله

عصيا يربطونها بحبال الرمل او ينسجون وسطها بالحبال ثم يحملون عليها موتاهم والعرب في البوادي على ذلك الى الآن وهذه الآلة اذا وضع عليها الميت وثقل على الحبال برزن عن العصي من جهة السفل فاشبهت الرجل الاحدب في بروز ظهره وما أحسن قول الشاطبي ملغزا في النعش أتعرف شيأ في السماء يطير * اذا سار صاح الناس حيث يسير فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبا * وكل أمير يعتليه أسير يحض على التقوى ويكره قربه * وتنفر منه النفس وهو نذير ولم يستزر عن رغبة عن زيارة * ولكن على رغم المزور يزور وحاصل معنى البيت ان كل مولود وان طالت سلامته من العوارض والآفات فلابد من وروده حياض الموت وحمله الى الرمس وهو تراب القبر فالموت لا مخلص منه بالفرار ولا امتناع منه بالتحصن فم الجزع يا صاحب الفزع وبم تفرحون ايها الشامتون ولله در من قال فقل للشامتين بنا افيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا (قوله أنبئت ان رسول الله الخ) وروى نبئت ان رسول الله الخ وهو بمعنا هو كل من انبئت ونبئت بصيغة المجهول ونائب الفاعل مفعول أول وان ومعمولاها سدت مسد الثاني والثالث لان كلا من انبأ ونبأ يطلب ثلاثة مفاعيل وترك ذكر الفاعل لانه لا يتعلق بتعيينه غرض ولان مقام الاستعطاف يناسبه تمريض الخبر بالوعيد كان تقول روى كذا لا تحقيقه 71 وقوله اوعدني أي بالقتل وقد تقدم ان اوعد في الشر ووعد في الخير ولذا قال بعض فصحاء العرب في دعائه يا من اذا وعد وفى واذا اوعد عفا وقوله والعفو عند رسول الله مامول أي والحال ان العفو والصفح مرجو ومطموع فيه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اعاد ذكر رسول الله لاظهار التعظيم وللاشعار بالتفخيم ففي ذكر صريح اسمه ما ليس في ضميره من التعظيم والتفخيم ولان فيه تكرار الاعتراف بالرسالة وهو مستجلب للعفو ومقتض للرضاء وروى انه صلى الله عليه وسلم لما سمع هذا البيت قال العفو عند الله مامول اشارة الى ان أصل العفو الذي عنده من عند الله فهو الاصل وجميع ما تقدم توطئة لهذا البيت فان غرضه من القصيدة الاستعطاف واسترضاؤه عليه الصلاة والسلام واستجلاب اخلاقه الكرام وكان صلى الله عليه وسلم من أبعد الناس غضبا واسرعهم رضا والاحاديث بحلمه صلى الله عليه وسلم واردة والاخبار والآثار بعفوه وصفحه متواترة ففي حديث عائشة وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمات الله تعالى فينتقم لذلك وجيء اليه صلى الله عليه وسلم برجل فقيل له هذا أراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط علي وتصدى له صلى الله عليه وسلم غورث بن الحرث في بعض الغزوات وهو صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون فلم ينتبه صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فعفا عنه فجاء الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وجاء زيد بن شعبة قبل اسلامه يتقاضاه صلى الله عليه وسلم دينا كان عليه فجبذ ثوبه عن منكبيه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ عليه القول ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا كنا الى غير هذا أحوج منه تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم بقي من اجله ثلاث وأمر عمر يقضيه مع

الله عنه ملغزا في النعش

أتعرف شيأ في السماء يطير * اذا سار صاح الناس حيث يسير
فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبا * وكل أمير يعتليه أسير
يحض على التقوى ويكره قربه * وتنفر منه النفس وهو نذير
ولم يستزر عن رغبة في زيارة * ولكن على رغم المزور يزور

الثاني الحالة وعليه حمل التبريزي وغيره هذا البيت والحالة والآلة متقاربان آخرا فانهما ثلاثان وزنا ومعنى قال

قد أركب الآلة بعد الآله * وأترك العاجز بالجداله

الثالث الاداة التي يعمل بها (والحدباء) تأنيث الاحدب ومعناها هنا قيل الصعبة وقيل المرتفعة ومنها الحدب من الارض وقيل انه من قولهم ناقة حدباء اذا بدت حراقيفها لان الآلة التي يحمل عليها تشبه الناقة الحدباء في ذلك واصل الحدب الميل ومنه قولهم لمن عطف على شخص حدب عليه بكسر الدال أي مال اليه وانخفض له والظرفان معمولان لخبر كل وربما يسبق الى الخاطر تعلق يوما بطالت وهو فاسد في المعنى وما بين المبتدا والخبر معترض وجواب الشرط محذوف سد مسده خبر ما قبله ومثله وانا ان شاء الله لمهتدون والواو من قوله وان قال جماعة واو الحال والصواب انها عاطفة على حال محذوفة معمولة للخبر والتقدير يحتمل لوجهين احدهما ان يكون الاصل محمول على آلة حدباء على كل حال وان طالت سلامته فيكون من عطف الخاص على العام والثاني ان يكون الاصل ان قصرت مدة سلامته وان طالت كما تقول آتيك ان أتيتني وان لم تأت ويجوز للجملة الشرطية ان تقع حالا اذا اشترط فيها الشيء ونقيضه نحو لاضربنه ان ذهب وان مكث والذي سوغ حذف الشرطية الاولى ان الثانية أبدا منافية لثبوت الحكم والاولى مناسبة لثبوته فاذا ثبت الحكم على تقدير وجود المنافي دل ثبوته على تقدير المناسب من باب أولى ودل هذا على ذلك المقدر ومتى اسقطت الواو من هذا البيت ونحوه فسد المعنى قال

*(أنبئت أن رسول الله أوعدني * والعفو عند رسول الله مامول)*

ماله ويزيده عشر من صاعا المار وعه فكان ذلك سبب اسلامه الى غير ذلك من الاحاديث الصحيحة والاخبار المتواترة وقد تقرر ان العفو والصفح من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتخلق بخلقته والتمسك بسنته أمر مندوب اليه ومرغب فيه تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة وقد أمر الله تعالى بالعفو والصفح فى قوله وليعفوا وليصفحوا وقال عز وجل فمن عفا وأصلح فأجره على الله فينبغى للانسان العفو والصفح خصوصا عن صديقه فان الهفوات قد تعرض فى المودات المستقيمة كما تعرض الامراض للاجسام السليمة وقد قال بعض الحكماء لا صديق لمن أراد ٧٢ صديقا لاعيب فيه ولله در القائل حيث يقول أقل ذا الود عثرته وقفه * على سنن الطريق المستقيمه
ولا تسرع بعتبة اليه * فقد يهفو ونيته سليمه
وبالجملة فالناس لا يسلمون من الهفوات ولذلك قيل من رام سلما من هفوة فقد رام من الدهر خلاف ما هو عليه (قوله فقد أتيت رسول الله الخ) عطف على أنبئت الخ أى فقد جئت رسول الله حال كونى معتذرا له والحال ان العذر عند رسول الله مقبول فالواو للحال قال بعضهم والعذر عند خيار الناس مقبول * والالطاف من شيم السادات مأمول وهذا البيت اعنى قوله فقد أتيت رسول الله الخ غير موجود فى أكثر النسخ ولذلك لم يكتب عليه أكثر الشراح (قوله مهلا هداك الخ) هذا البيت وما بعده تتميم للاستعطاف وقد التفت عن الغيبة فى البيت السابق الى الخطاب فى هذا البيت واصل مهلا امهل على امهالا فهو مصدر أنيب عن فعله وحذف زائده وهما الهمزة والالف ومعنى هداك زادك هدى فاقتضى ذلك هدى سابقا وهدى لاحقا وقيل المراد هداك الله للصفح والعفو عنى فيكون فى الحقيقة داعيا لنفسه وعلى كل فالجملة خبرية لفظا انشائية معنى وهو أبلغ من صيغة الطلب وقوله الذى أعطاك نافلة القرآن أى الله الذى أنزل عليك نافلة هى القرآن فالاضافة للبيان وسماه نافلة لانه زائد على العلوم النبوية التى أعطاه اياها وجعل القرآن زيادة على تلك العلوم اذ النافلة العطية المتطوع بها زيادة على غيرها ولذلك قيل لما زاد على الفرائض من العبادات نافلة قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك وفى ذلك اعتراف بانزال القرآن من عند الله وانه ليس شعرا ولا كهانة كما زعم كفار قريش وهذا من تمام الاسلام الذى يحقن الدم ويصون عن القتل وقوله فيه أى فى القرآن وفى نسخة فيها

جميع ما تقدم توطئة لهذا البيت فان غرضه من القصيدة التنصل والاستعطاف ومعنى انبئت اخبرت خبرا صادقا ويروى نبئت وهو بمعناه وترك ذكر الفاعل هنا لامرين احدهما انه لا يتعلق بتعيينه غرض ومثله اذا قيل لكم تفسحوا واذا قيل انشزوا واذا حييتم بتحية والثانى ان مقام الاستعطاف يناسبه ان لا يحقق الخبر بالوعيد بل ان يؤتى به ممرضا كما يقال روى كذا وان وصلتها اما على تقدير الباء وهو الاصل مثل انبئهم باسمائهم نبؤنى بعلم واما سادة مسد المفعولين على تضمين انبأ ونبأ معنى اعلم وارى والوعد فى الخير والايعاد فى الشر ولهذا قال بعض فصحاء العرب فى دعائه يا من اذا وعد وفى واذا أوعد عفا قال الشاعر

وانى اذا أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

وما احسن قول ابن الفارض

متى أوعدت أولت وان وعدت لوت * وان أقسمت لا تبرئ السقم برت

وانما يستعمل وعد فى الشر مقيدا كقوله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا وفى البيت اعادة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لاظهار التفخيم والتعظيم ولهذا أتى بعند ولم يات بمن لان عند أدل على التفخيم ولتقوية الرجاء لانه قد ثبت وتواتر ان الصفح من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لا يجزى بالسيئة السيئة ولكنه يعفو ويغفر ففى ذكر صريح اسمه ما ليس فى الضمير ولان فيه تكرار الاعتراف بالرسالة الذى هو مقتض للعفو ومستجلب للرضا ويذكر انه عليه الصلاة والسلام لما سمع هذا البيت قال العفو عند الله قال

*(مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ * ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل)*

هذا البيت وما بعده تتميم للاستعطاف والاستعطاف فيه من جهات احداها ما اشتمل عليه من طلب الرفق به والاناة فى أمره بقوله مهلا وأصله امهالا وهو مصدر أنيب عن فعله وحذف زائداه الهمزة والالف والثانى الدعاء له فى قوله هداك الذى فانه خبر لفظا ودعاء معنى ومثله غفر الله لك وصلى الله على محمد وهو أبلغ من صيغة الطلب والثالث التذكير بنعمة الله عليه ليكون ذلك ادعى الى العفو وشكر النعمة ووجه اشتماله على التذكير بالنعمة أمران أحدهما ان معنى هداك الله زادك هدى فاقتضى ذلك هدى سابقا وطلب هدى متجدد والثانى ان فى قوله نافلة القرآن اشارة الى ان الله أنعم على رسوله عليه الصلاة والسلام بعلوم عظيمة علمه اياها وجعل الكتاب زيادة له على تلك العلوم وهذا أحسن ما ظهر لى فى تفسير قوله تعالى ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن أى زيادة على العلم الذى أحسنه أى أتقن معرفته والذى دل على ارادة ذلك قوله نافلة القرآن اذ النافلة العطية المتطوع بها زيادة على غيرها ومنه قيل لما زاد على الفرض من العبادات نافلة وقال الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ولهذا أيضا سمى ابن الابن نافلة قال الله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة والرابع الاقرار بالتنزيل وما اشتمل عليه من المواعظ والتفصيل والخامس التذكير بما جاء فى التنزيل من قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين روى انها لما نزلت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عنها فقال لا أدرى حتى اسأل فمضى ثم رجع فقال يا محمد ان ربك

ربك أمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق رضى الله عنه أمر الله نبيه بمكارم الاخلاق قيل وليس فى التنزيل آية أجمع لمكارم الاخلاق منها قيل والمراد بالقرآن القراءة وليس بشئ وانما المراد الكتاب المنزل على الرسول المكتوب فى المصاحف المنقول عنه نقلا متواترا والاضافة فى نافلة القرآن مثلها فى اخلاق ثياب أو بمعنى فى على تقدير مضاف أى نافلة فوائد القرآن أو المضاف مقحم كالمقامة فى قول لبيد

تمنى ابنتاى ان يعيش أبوهما * وهل انا الامن ربيعة أومضر
فان حان يوما ان يموت أبوكما * فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه * اضاع ولا خان الصديق ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

أى ثم السلام عليكما ويجوز نصب القرآن على ان يكون حذف التنوين من نافلة ليس للاضافة بل لالتقاء الساكنين كما فى قول أبى الاسود

فالفيته غير مستعتب * ولاذاكر الله الا قليلا

وتكون نافلة حينئذ اما حالا تقدمت واما مفعولا ثانيا والقرآن بدل وقوله تفصيل أى تبيين ما يحتاج اليه من أمرى المعاش والمعاد قال

*(لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم * أذنب وان كثرت فى الاقاويل)*

لا تأخذنى سؤال وتضرع لا نهى وأكد بالنون كما أكد كعب بن مالك رضى الله عنه فعل الدعاء بالنون فى قوله

لاهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

والمعنى لا تستبعدنى بأقوال من يزوق الكلام قصد الافساد وقوله ولم أذنب تنصل والجملة حالية أى لا تأخذنى باقوال الوشاة غير مذنب وليست الجملة معطوفة لانه خلاف المعنى ولان الخبر لا يعطف على الطلب وأما قوله

بأيدى رجال لم يشيموا سيوفهم * ولم تكثر القتلى بها حين سلت

فلا مانع فى اللفظ من العطف لان الجملتين خبريتان وانما المانع فساد المعنى اذ المراد انهم لم يغمدوا سيوفهم فى حالة انتفاء كثرة القتلى بها بل فى حالة ثبوت كثرتهم وليس المراد الاخبار عنهم بقلة قتلاهم (وقوله وان كثرت) شرط حذف جوابه مدلولا عليه بقوله لا تأخذنى لان المتقدم هو الجواب خلافا للمبرد وأجزيد والكوفيين (والاقاويل) جمع أقوال والاقوال جمع قول قال

أى فى النافلة وقوله مواعيظ وفى نسخة مواعيد وكلاهما بالتنوين للضرورة وقوله وتفصيل بالصاد المهملة أى تبيين ما يحتاج اليه من أمر المعاش والمعاد واحكام الاصول والفروع والعباد والجملة صفة للقرآن أو لنافلة القرآن أو مستأنفة كأنه قيل ما فيه أو ما فيها فقال فيه أو فيها مواعيظ وتفصيل وفى ذلك تذكير بما جاء فى التنزيل كقوله تعالى خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين روى انه لما نزلت هذه الآية سال صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام عنها فقال لا أدرى حتى أسال فمضى ثم رجع فقال يا محمد ان ربك يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك (قوله لا تاخذنى باقوال الوشاة الخ) هذا البيت من تتمة الاستعطاف والتلطف فى القول فلا وان كانت ناهية بحسب وضعها لكن المراد منها التضرع والتذلل والمعنى لا تستبعدنى بسبب أقوال الوشاة الساعين ٧٣ بينى وبينك بالافساد والكذب والبهتان فتعبيره عنهم بالوشاة بضم الواو الذين هم جمع واش وقد تقدم انه هو الذى يسعى بين المحب ومحبوبه بالافساد اشارة الى كذبهم وتعريضا لذمهم اذ السعاية والمشى بالنميمة وافساد ما بين الاحبة خصوصا بالزور والبهتان أمر مذموم شرعا ومرفوض عقلا وقوله ولم أذنب أى والحال انى لم أذنب ذنبا أكون مؤاخذا به لان الله هدانى للايمان والايمان يجب ما قبله من الذنب أو لم أذنب الذنب الذى قيل عنى كله وغرضه بذلك التبرى من الذنب والتنصل منه لان عدم الاعتراف بالذنب يدل على الرهبة والخوف من ظهوره فانه اذا ظهر عظم خطره وكدر الخواطر ذكره فيأخذ المسىء فى ستر الذنب والتنصل منه والاعتذار عنه ويظهر الخوف من الاطلاع عليه وحينئذ فيجب قبول عذره والاغضاء عن ذنبه ولا يكشف عن باطن عذره ولا يعنف بظاهر اساءته حتى تبين خجالته ولذلك لم يوبخ النبى صلى الله عليه وسلم كعبا رضى الله عنه وما أحسن قول القائل اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو فجرا فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا وبعضهم يعترف بالذنب ويقر بالتوبة فيقنع منه بظاهر التوبة ولا يكلف عذرا فيلجأ الى الكذب وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم والمعاذير فان اكثرها مفاجر وانظر الى كرم الاخلاق من يوسف عليه الصلاة والسلام حين قال له اخوته تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين اذ كان جوابه لهم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ولله در القائل حيث يقول العذر يلحقه التحريف والكذب * وليس فى غير ما يرضيك لى ارب وقد أساءت فبالنعماء التى سلفت * الا مننت بعفو ماله سبب وقوله وان كثرت فى الاقاويل عطف على محذوف أى ان لم تكثر فى شأنى الاقاويل وان كثرت فالمعنى على كل حال والاقاويل جمع أقوال وهى جمع قول فهى جمع الجمع والمراد منها الاكاذيب وحاصل معنى البيت لا تستبعدنى ولا تعاتبنى فى جرمى بسبب أقوال الوشاة عنى والحال انى لم أذنب ذنبا يقتضى المؤاخذة بعد أن هدانى الله للايمان أو لم أذنب الذنب الذى قيل على كله وان كثرت فى شأنى الاكاذيب

من القول (قوله لقد أقوم مقاما الخ) أى والله لقد أقوم مقاما الخ فهو جواب قسم محذوف على حد قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ويروى انى أقوم مقاما الخ والرواية الاولى هى المشهورة وهى أبلغ فى المعنى لتأكيدها بالقسم المحذوف والمقام بفتح الميم ظرف مكان والمراد به مجلس النبى صلى الله عليه وسلم والمراد بالقيام فيه حضوره والمعنى على المضى أى لقد حضرت وقوله لو يقوم به أى لو يحضر فيه فيقوم بمعنى يحضر وبه بمعنى فيه ووقع التنازع بين يقوم ويسمع فى الفاعل وهو الفيل فايهما أعملته فيه أعطيت الآخر ضميره ووقع التنازع أيضا بين لو يقوم ولو يراه المقدر فى ضمن مفعول رأى ولو يسمع الفيل فى الجزاء الآتى فى البيت بعده أعنى قوله لظل يرعد فيجوز صرف الجزاء الى الاخير ويحكم بحذفه من الاولين ويجوز صرفه للاول ويحكم بحذفه من الاخيرين وجملة لو يقوم به مع جوابها صفة مقاما والرابط الضمير فى به وأشار بذلك الى هيبة مجلسه صلى الله عليه وسلم وانه فى غاية الاحترام والجلال وقد وصف سيدنا على كرم الله وجهه مجلسه صلى الله عليه وسلم فقال اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثه ولاشك ان ذلك من هيبته صلى الله عليه وسلم عندهم واحترامه لديهم فلم يزل صلى الله عليه وسلم عظيم الهيبة عندهم رفيع القدر لديهم لا يزيدهم تلطفه بهم وتأنيسه لهم الا هيبة وقوله أرى مفعوله محذوف والتقدير أرى مالو يراه الفيل وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور أى لظل يرعد وليس بين أرى وأسمع تنازع فى المفعول وهو مالو يسمع الفيل اذ ليس المراد أرى مالو يسمعه الفيل بل المراد أرى مالو يراه الفيل لظل يرعد وأسمع مالو يسمعه الفيل لظل يرعد وجملة أسمع معطوفة على جملة أرى بالعاطف المذكور وهو الواو ثم انه يحتمل ان جملة أرى وأسمع فى محل الحال من فاعل أقوم أى لقد أقوم مقاما حال كونى أرى فيه مالو يراه الفيل لظل يرعد وأسمع فيه مالو يسمعه الفيل لظل يرعد ويحتمل انهما معطوفة على جملة أقوم بعاطف مقدر وجملة أسمع معطوفة عليها فكأنه قال لقد أقوم مقاما وأرى وأسمع الخ والمعنى ان على المضى أى لقد قمت ورأيت وسمعت وأشار بجملة أرى الى هيبة رؤيته صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم مهابا فى نفسه محفوظا بالجلال والعظمة يهابه كل من رآه ويجله كل من لاقاه فقد جاء فى وصفه صلى الله عليه وسلم من رآه بداهة هابه ومن عاشره أحبه وفى صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضى الله عنه وما كنت أطيق أملأ عينى منه اجلالا له ولو قيل لى صفه لما استطعت لانى لم أكن أملأ عينى منه وقوله وأسمع مالو يسمع الفيل أى وأسمع الذى لو يسمعه الفيل أو شيأ لو يسمعه الفيل فما موصولة بمعنى الذى والجملة التى بعدها صلة أو موصوفة بمعنى شيأ والجملة التى بعدها صفة وقد عرفت ان جواب الشرط قوله فى البيت بعد لظل يرعد ففى هذا البيت التضمين لتوقفه على البيت بعده فى استقامة التركيب وأشار بذلك الى هيبة سماعه صلى الله عليه وسلم وكانه يشير الى سماع القرآن فان له هيبة تلحق السامع بين له عند تلاوته لعظم خطره وقوة جلالته قال الله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وقال عز وجل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله (قوله لظل يرعد الخ) هذا جواب لو على ما تقدم فهذا البيت مرتبط بالبيت قبله ولذلك تكلم عليهما

*(لقد أقوم مقامالو يقوم به * أرى وأسمع مالو يسمع الفيل)*

فى هذا البيت حذف سبعة أمور أحدها جملة قسم لان لقد لا تكون الا جوابا لقسم ملفوظ نحو تالله لقد آثرك الله علينا أو مقدر نحو لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ويروى انى أقوم مقاما والثانى حذف مفعول أرى أى أرى مالو يراه الفيل والثالث والرابع ظرفان معمولان لارى وأسمع ان قدرا صفتين ثانية وثالثة لمقاما أى أرى به وأسمع به فان قدر أرى حالا من ضمير أقوم سقط هذان الحذفان والخامس والسادس جوابان للو الثانية ولو الثالثة لان قوله فى البيت بعده لظل يرعد جواب للاولى وهو دال على جواب لو الثانية المقدرة فى صلة معمول أرى ولو الثالثة الواقعة فى صلة مفعول أسمع والسابع معمول يسمع وهو عائد ما وانتصاب مقاما على الظرفية المكانية والجملة بعده صفة له والرابط بينهما المجرور والباء وبين يقوم ويسمع تنازع فى الفاعل وهو الفيل فايهما أعملته أعطيت الآخر ضميره وقال الفراء العمل لهما معا وقال الكسائى اذا أعملنا الاول أضمرنا فى الثانى لانه اضمار بعد الذكر فى الحقيقة واذا أعملنا الثانى حذفنا فاعل الاول لانه لا يجيز ما يراه البصريون من الاضمار قبل الذكر ولا ما يجيزه الفراء من توارد العاملين على معمول واحد وعلى قوله ففى البيت حذف ثامن وليس بين أرى وأسمع تنازع فى المفعول وهو مالو يسمع اذ ليس المراد أرى مالو يسمعه الفيل بل المراد أرى مالو يراه الفيل لظل يرعد وأسمع مالو يسمعه الفيل لظل يرعد وفى البيت تضمين لان الجواب فى أول البيت الآتى قال

*(لظل يرعد الا أن يكون له * من الرسول باذن الله تنويل)*

اللام رابطة للجواب الذى بعدها بلو وظل بمعنى صار وقوله لظل يرعد يقتضى ثبوت الفعل ودوامه ولو قال لارعد لم يقتض ذلك ويرعد مبنى للمفعول يقال أرعد فلان اذا أخذته الرعدة ولك فى اللام أربعة أوجه أحدها ان تعلقها بيكون اما على انها تامة أو على انها ناقصة وادعى انها دالة على الحدث وان أحد الظرفين الباقيين خبر والثانى ان تعلقها باستقرار محذوف منصوب اما على الخبرية على تقدير النقصان أو على الحالية على تقدير التمام أو النقصان والخبر غيرها والثالث أن تعلقها بتنويل وان كان مصدرا لانه لا ينحل لان والفعل ولهذا قالوا فى قوله نبئت أخوالى بنى يزيد * ظلما علينا لهم فديد

الشراح معاوظل بمعنى صار ومعنى يرعد بفتح الياء وضم العين تأخذه الرعدة وهو بالبناء للفاعل و بصح بناؤه للمفعول يقال أرعد فلان اذا أخذته الرعدة والمعنى لصار الفيل يضطرب و يتحرك من الفزع وانما خص الفيل بذلك لانه أراد التعظيم والتهويل والفيل أعظم الدواب جثة وشدأنا كما قاله التبريزى وقوله الاأن يكون له من الرسول باذن الله تنويل أى الاأن يكون له من الرسول باذن الله تأمين يسكن به روعه وتثبت به نفسه فالمراد من التنويل التأمين وان كان معناه فى أصل اللغة اعطاء النوال الذى هو نعمة عظيمة ثم انه يحتمل أن يكون مضارع كان الناقصة فيكون تنويل اسمه مؤخرا وله خبره مقدما وانه مضارع كان التامة فيكون تنويل فاعله وله حال منه قد تقدم عليه وقوله من الرسول متعلق بيكون أو بتنويل وكذلك قوله باذن الله وحاصل معنى البيتين انى قد حضرت مجلسا هائلا و رأيت فيه أمرا عظيما وسمعت فيه كلاما عجيبا بحيث لو حضر فيه الفيل ورآى مارأيت وسمع ما سمعت لاصابته الرعدة الا أن تحفه العناية بتأمين الرسول له وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم دخل عليه رجل فجعل يرعد فقال هون عليك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد (قوله حتى وضعت يمينى الخ) أى فوضعت يمينى الخ فحتى بمعنى الفاء وهى عاطفة على قوله لقد أقوم وما بعد حتى داخل فى حكم ماقبلها فانه كان عند وضع يمينه فى كف ٧٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوف منه فى غير تلك الحالة وانما خص يمينه لان الاشياء الشريفة كالاخذ والاعطاء والاكل والمصافحة تفعل باليمين والاشياء الخسيسة كالاستنجاء ومس الذكر وماشاكل ذلك تفعل باليسار ولاشك ان مصافحة النبي صلى الله عليه وسلم من أعلى الامور الشريفة وأرفعها رتبة وجملة لاانازعه حال من فاعل وضعت أى حال كونى غير منازع له وغير مخالف له فى شئ أصلا بل طائعا له وراضيا بحكمه فى ولاشك ان عدم منازعته صلى الله عليه وسلم والدخول تحت أمره والانقياد لطاعته من الامور اللازمة والواجبات المتعينة حتى ان الله قرن طاعته بطاعته حيث قال تعالى ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وقال عز وجل قل أطيعوا الله والرسول وقال جل من قائل من يطع الرسول فقد أطاع الله الى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب طاعته وقوله فى كف ذى نقمات أى فى كف صاحب نقمات بفتح النون وكسر القاف وهى جمع نقمة بكسر النون وسكون القاف ككلمات جمع كلمة والمراد بصاحب النقمات النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان ينتقم من الكفار فكان شديدا لسطوة عليهم والاغلاظ لهم فى القول امتثالا لقوله تعالى ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وهذا لاينافى انه رؤف رحيم بالمؤمنين كما قال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وقوله قيله القيل أى قوله هو القول المعتد به لكونه نافذا ماضيا فالقيل بمعنى القول فيهما والجملة صفة لذى نقمات المراد به النبي صلى الله عليه وسلم فلا يقول قولا من وعد أو وعيد الا يقع ولا بد وحاصل معنى البيت انه وضع يمينه فى كف النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الانتقامات من الكافرين الذى قوله هو القول النافذ حال كونه غير منازع له ولا مخالف له فى شئ من الاشياء يشير بذلك الى حاله مع النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه وهو فى المسجد ووضع يده فى يده وقال يارسول الله ان كعب بن زهير جاء ليستامنك تائبا مسلما فهل أنت قابله ان اناجئتك به قال نعم فقال يارسول الله انا كعب على ماتقدم نقله (قوله لذاك أهيب الخ) أى والله لذاك أهيب الخ فاللام واقعة فى جواب قسم مقدر لان المقام يقتضيه و يحتمل انها للابتداء

ان ظلما يجوز أن يكون مفعولا لاجله عامله فديد وكثير من الناس يذهل عن هذا فيمنع تقديم معمول المصدر مطلقا وهذه الاوجه فى كل من الظرفين وحيث قدرت أحد الظرفين حالا فهو فى الاصل صفة لتنويل والتنويل العطية والمراد هنا الامان قال

*(حتى وضعت يمينى لا أنازعه * فى كف ذى نقمات قيله القيل)*

أى لقد قمت فوضعت يمينى فى يمينه وضع طاعة والمنازعة المجاذبة وجملة لا أنازعه حالية ونقمات بفتح النون وكسر القاف جمع نقمة نحو كلمات وكلمة وفعلهن كضرب يضرب بدليل وما نقموا منهم هل تنقمون منا وكعلم يعلم والقيل والقال والقول بمعنى وقد قرئ ذلك عيسى بن مريم قول الحق وقال الحق وروى بالاوجه الثلاثة قول الشماخ وتشكو بعين ما أكل ركابها * وقيل المنادى أصبح القوم ادلجى

وفى هذا البيت سؤال وهو أنه يقال ادلج القوم اذا سار وا أول الليل فكيف يجتمع الامر بالادلاج مع قوله اصبح القوم والجواب انه كان ينادى مرة أصبح القوم كم تنامون ومرة أدلجى ومعنى قوله وتشكو بعين أنها تشكو بعينها رمزا وايماء لانها لاتقدر على الكلام لاجل من حولها وما مفعول بمعنى الذى وهى واقعة على السير (وقوله قيله القيل) جملة اسمية صفة لذى نقمات والمعنى قوله القول المعتد به لكونه نافذا ماضيا قال

*(لذاك أهيب عندى اذ أكلمه * وقيل انك منسوب ومسؤل)*

اللام للابتداء و يحتمل ان يكون قبلها قسم مقدر لان المقام يقتضيه والاشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم و يروى ارهب وكلاهما اسم تفضيل مبنى من فعل المفعول كقولهم اشغل من ذات النحيين وازهى من ديك وفصل بين افعل ومن بظرف مكان وظرف زمان وحال وعاملهن افعل و يحتمل ان عامل الحال يكلمنى أو أكلمه على اختلاف الروايتين والحال محكية على كل تقدير لان القول متقدم ومنسوب مسؤل عن نسبك أى لما مثلت بين يديه وكنت قد قيل لى قبل ذلك انه باحث عنك وسائلك عما نقل عنك حصل لى من الرهب ماحصل وفيه تضمين اذ لايتم المعنى الا بالبيت الذى بعده وقال التبريزى اذ أكلمه جملة فى موضع الحال وكذا الواو فى وقيل انك منسوب واوا الحال والتقدير لذاك أهيب عندى متكلما ومسؤلا ومنسوبا اهـ ونسخه عبد

وفى نسخة فذلك بالفاء وعلى كل فاسم الاشارة عائد على ذى النقمات وهو النبى صلى الله عليه وسلم ويروى لكان بدل لذاك ومعنى اهيب أشد هيبة ويروى ارهب أى اشد رهبة أى خوفا وكل منهما افعل تفضيل مبنى من فعل المفعول على حد قولهم اشغل من ذات النحيين وبين المفضل عليه بقوله فى البيت الذى بعده من خادر وعندى ظرف لاهيب أو أرهب على الروايتين وكذلك اذ على الصواب وجملة أكلمه فى محل جر باضافة اذ اليه أى وقت كلامى اياه ويروى اذ يكلمنى أى وقت كلامه اياى وقوله وقيل عطف على أكلمه أو حال من ضميره أى واذ قيل لى او حال كونى قد قيل لى قبل ذلك وقوله انك منسوب أى انك يا كعب منسوب الى امور صدرت منك كقولك سفاهة بهم المأمون ومنعك أخاك بجيرا من الاسلام وتعييرك له به وقوله ومسؤل أى عن سببها أو عن ٧٦ نسبك فقد سأله صلى الله عليه وسلم عما أوشى فى حقه للنبى صلى الله عليه وسلم ايطالبه بالخبر وجمنه وتكلم معه فى نسبه ومن أى قبيلة هو فان قيل ما الحكمة فى سؤاله عن نسبه وأى غرض يتعلق بذلك اجيب بأن ذلك من باب التوبيخ والتقريع له اذ كان أوى الى قبيلته التى هى مزينة لتجيره من النبى صلى الله عليه وسلم دأبت ذلك على ما تقدم ذكره وكأنه يقول من قبيلتك التى تجيرك منى ومن قومك الذين يعصمونك منى فقد تبرؤا منك وتخلوا عنك وحاصل معنى البيت ان النبى صلى الله عليه وسلم أشد هيبة أو أشد رهبة عند كعب رضى الله عنه وقت كلامه معه صلى الله عليه وسلم واخبر قبل ذلك بأنه منسوب له أمور صدرت منه ومسؤل عن سببها أو عن نسبه فلذلك اشتدت عليه هيبته فى خطابه وعظم وقع كلامه فى نفسه حتى وهنت قواه ودخله الروع وعظمت به الرهبة وقد تقدم من وصفه صلى الله عليه وسلم انه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير (قوله من خادر الخ) أى من أسد خادر الخ والجار يغدو والمجرور اعنى من خادر متعلق باسم التفضيل والمجرور هو المفضل عليه والخادر بخاء معجمة وبعد الالف دال ثم راء مهملتان هو الداخل فى خدره أى أجمته وهى الشجر الملتف وانما خص الاسد اشارة الى انه أعظم الحيوانات هيبة حتى يقال ان الانسان بمجرد رؤيته لا يستطيع الفرار منه لشدة الخوف منه فان قيل ما وصف الاسد بالخادر مع ان الشجاعة تقتضى البروز أجيب بأن الاسد فى الوحوش كالملك فى الآدميين كما كان مختفيا عن العيون كان أشد هيبة ووقعا فى النفوس ولذلك لا تزال الملوك تحتجب عن الرعية ليعظموا فى نفوسهم ولو خالطوهم لهانوا عليهم وأيضا الاسد اذا لزم الخباء ازداد توحشه فتعظم جراءته واقدامه وقوله من ليوث الاسد أى كائن من ليوث الاسد والليوث جمع ليث والاسد بضم الهمزة وسكون السين جمع أسد فان قيل الليث والاسد مترادفان فكيف تصح اضافة أحدهما الى الآخر اذ لا معنى لقولك

اللطيف بحر وفه فى كتابه وهو معترض من ثلاثة أوجه أحدها ان اذ أكلمه ليس بجملة بل اذ مفرد مضاف الى جملة والثانى انه ليس فى أكلمه شئ منتصب على الحال بل اذ ظرف وأكلمه مضاف اليه ولا تكون اذ حالا أعنى متعلقة بكون منصوب هو حال لان الزمان لا يكون حالا من الجثة والثالث ان الجملة المقرونة بالواو ليس تقديرها منسوبا ومسؤلا بل مقولا لى انك منسوب ومسؤل قال

*(من خادر من ليوث الاسد مسكنه * من بطن عثر غيل دونه غيل)*

أى من ليث خادر وهو بالخاء المعجمة والدال المهملة أى داخل فى الخدر وهو الاجمة والظرف صفة لخادر ومسكنه غيل جملة هى صفة ثانية او حال والغيل بكسر الغين المعجمة الشجر الملتف ثم انه نقل لموضع الاسد ويقال لبيت الاسد أيضا خدر وأجمة وخيس وعرين وعريس وعريسة وزأرة بفتح الزاى وسكون الهمزة اشتق اسم مكانه من اسم صوته وهو الزئير يقال زأر بالفتح يزئر بالكسر وقد يعكس والوصف من هذا زئر كفرح ومن الاول زائر كضارب قال عنترة

حلت بأرض الزائرين فأصبحت * عسرا على طلابك ابنة مخرم

أى بارض الاعداء وعثر بفتح المهملة وتشديد المثلثة اسم مكان وامتناعه من الصرف للعلمية والوزن الخاص بالفعل ونظيره من الاسماء الآتية على وزن فعل خضم لمكان قال

لولا الاله ما سكنا خضما * ولا ظللنا بالمشائى قيما

وقيل الصواب ان خضم لقب لعنبر بن عمرو بن تميم وان التقدير ما سكنا بلاد خضم أى بلاد تميم لان خضم منهم وبذر اسم ماء وشلم بالمعجمة لبيت المقدس وبقم اسم انبت يصبغ به ووقع عثر فى شعر زهير والد كعب قال

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا * ما الليث كذب عن اقرانه صدقا

وقوله من بطن متعلق بمحذوف على انه حال من غيل وكان فى الاصل صفة له ولا يتعلق بمسكنه لان أسماء الزمان وأسماء المكان وأسماء الآلات لا تعمل شيأ لا فى ظرف ولا فى مجرور ولا فى غيرهما فان جعلت المسكن مصدرا قدرت مضافا أى مكان مسكنه من هذا المكان غيل صح ذلك وفيه تكلف ويروى ببطن فيحتمل الحالية والخبرية وغيل الثانى فاعل بالظرف لانه صفة أو مبتدأ خبره الظرف والجملة صفة لغيل أى انه فى أجمة داخل أجمة وذلك أشد لتوحشه وقساوته ويروى من ضيغم من ضراء الاسد والضيغم فيعل من الضغم وهو العض قال أنشده سيبويه

وقد جعلت نفسى تطيب لضغمة * لضغمهماها يقرع العظم نابها

والضراء بكسر الضاد المعجمة جمع ضار على غير قياس وانما حقه ضراة كساع وسعاة ورام ورماة وهو من قولهم ضرى بكذا اذا أولع به قال

من أسود الاسد اجيب بثلاثة أجوبة الاول ان الليث مشترك بين الاسد وضرب من العناكب يصطاد الذباب بالوثوب فالاضافة من اضافة اللفظ المشترك الى أحد معانيه كعين الشمس الثاني ان المراد بالاسد القوية البالغة في الشجاعة والضخامة والقوة مبلغا بحيث تكون هي الاسد بالنسبة الى غيرها من الاسود كما يقال خواص الخواص فتر جمع الاضافة الى اضافة العام للخاص الثالث ان الليث اسم للاسد بقيد الجلادة يقال رجل ليث اذا كان شديد الجلادة وحينئذ فيكون بين الليث والاسد مغايرة ما فكانه قال من اجلاد الاسد واقواهم وقوله مسكنه من بطن عثر اى مأواه من بطن عثر بفتح العين المهملة وتشديد المثلثة كشمر وهو اسم مكان مشهور بكثرة السباع ومن ابتدائية والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لخادر أي من خادر ناشئ من بطن عثر ففيه الفصل بين الصفة والموصوف باجنبي وهو ممكنه الواقع مبتدا وخبره غيل الاول والجملة صفة أخرى لخادر وغيل الثاني فاعل بالظرف قبله أو مبتدا خبره الظرف قبله والغيل بكسر الغين المعجمة الاجمة ودونه أي قريب منه وفي نسخة بعده والمعنى ان مسكنه اجمة قريبة من اجمة وذلك اشد لتوحشه وقساوته وآكد لضرره وضراوته فان قيل لم خص هذا الاسد بكونه من بطن عثر اجيب بأنه مكان معروف بالاسد لا يقال لا يكون مختفيا في مكان داخل مكان الاشد يد الخوف من غيره لانا نقول قد تقدم ان الاسد كالملك كلما كان مختفيا كان أبلغ في الهيبة ومقتضى ذلك انه كلما زاد اختفاؤه اشتدت هيبته وعلم مما تقدم ان مسكن الاسد يقال له خدر وغيل ويقال له أيضا اجمة وزأرة بفتح الزاي وسكون الهمزة من الزئير وهو صوت الاسد يقال زأر يزئر بفتح الهمزة في الماضي وكسرها في المضارع كضرب يضرب وقد يعكس كفرح يفرح وحاصل معنى البيت انه صلى الله عليه وسلم اهيب من اسد داخل خدره أي أجمته من أجلد الاسود ناشئ من بطن عثر مسكنه اجمة يقرب بها أجمة أخرى فيكون اشد توحشا وأقوى ضراوة (قوله يغدو الخ) الجملة صفة أخرى لخادر ومعنى يغدو بغين معجمة ودال مهملة يذهب في أول النهار يتطلب صيد الولديه وفي بعض الروايات يغذو بغين وذال معجمتين من غذوت الصبي باللبن اذا ربيته به وقد حصل التنازع على هذه الرواية بين يغذو وبين يلحم في ضرغامين فاعمل الثاني واضمر في الاول ضميرهما والتقدير يغذوهما ٧٧ ثم حذفه بخلافه على الرواية الاولى

*(يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما * لحم من القوم معفور خراديل)*
يصف هذا الاسد المشبه به بالضراوة ويقول يذهب هذا الاسد في أول النهار يتطلب صيد الولديه فيطعمهما لحما ويجوز في ياء يلحم الفتح والضم والفتح راجح والضم مرجوح حكى الجماعة لحمته أي أطعمته لحما وحكى الاصمعي ألحمته والحاء مضمومة اذا فتحت الياء مكسورة اذا ضممتها والعيش هنا القوت أي قوتهما لحم بني آدم معفورا أي ملقى في العفر بفتحتين وهو التراب والخراديل القطع يقال خرذلت اللحم بالذال المعجمة وبالدال المهملة اذا قطعته صغارا صغارا قال
*(اذا يساور قرنا لا يحل له * ان يترك القرن الا وهو مجدول)*
المساورة المواثبة والقرن بكسر القاف المقاوم لك في شجاعة أو علم والسوار بتشديد الواو الوثاب المعربد ومن

فلا تنازع فيها وانما خص ذهابه بالغدوة التي هي أول النهار على الرواية الاولى لان الحركة في أول النهار اقوى بخلافها في آخره ولان ذلك أبلغ في الضراوة من حيث انه لا يأتي الصيد ليلا وهو نائم وانما يأتيه نهارا وهو في نشاطه وقوته وقوله فيلحم ضرغامين أي فيطعمهما لحما يقال لحمته من باب نفع أي أطعمته اللحم وحكى الاصمعي ألحمته فيلحم بفتح الياء والحاء على الاول وبضم الياء وكسر الحاء على الثاني والمراد بالضرغامين ولداه وهما تثنية ضرغام بكسر الضاد وسكون الراء وفتح الغين المعجمة وألف ثم ميم وهو كما قال ابن الاثير الاسد الضاري الشديد الاقدام واطلاقه على ولد الاسد الذي هو الشبل باعتبار ما يؤول اليه ففيه مجاز الاول فان قيل لم خص المثنى حيث قال ضرغامين ولم يقتصر على ذكر واحد ولم يزد على الاثنين أجيب بانه لم يقتصر على ذكر واحد لان في اطعام الاثنين زيادة شجاعة على اطعام الواحد بكثرة الاصطياد وأما عدم زيادته على الاثنين فلعل الاثنين أكثر ما يلد الاسد وقوله عيشهما لحم من القوم أي قوتهما لحم مأخوذ من القوم وهم جماعة الرجال فالمراد من عيشهما قوتهما فان قيل لم خص طعامهما بلحم الآدميين أجيب بان الآدميين أكثر مدافعة من سائر الحيوانات خصوصا وقد خص ذلك بلحم القوم الذين هم جماعة الرجال مبالغة في الشدة والقوة وقوله معفور صفة لحم أي ملقى في العفر بفتحتين وهو التراب وانما خص اللحم بكونه يلقى على التراب لان القاءه عليه دليل على عدم اكترائه به وربما دل ذلك على الشبع وعيافة اللحم لكثرته كما في قول امرئ القيس يصف عقابا كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي أي انها لكثرة اصطيادها تصير قلوب الطير ملقاة حول وكرها رطبا ويابسا لعيافتها عن أكلها وقوله خراديل صفة أخرى للحم أي قطع صغار جمع خردلة وهي القطعة من الشئ يقال خردلت اللحم اذا قطعته قطعا صغارا وانما خصه بكونه قطعا صغارا لشدة جراءته ويحتمل انه يفعل ذلك من باب الحنو على أولاده ليسهل عليهم أكله وحاصل معنى البيت ان هذا الاسد يذهب في أول النهار يتطلب صيد الولديه فيطعمهما لحما وقوتهما لحم من لحوم القوم ملقى في العفر وهو التراب قطع صغار وهذا كناية عن كونه أخوف وأهيب من غيره لانه يستلزم كونه كثير الاصطياد عظيم الافتراس (قوله اذا يساور الخ) اذا شرطية ويساور فعل الشرط وجملة لا يحل له الخ جواب الشرط والجملة الشرطية بتمامها صفة أخرى لخادر ويساور بضم الياء المثناة تحت وفتح السين المهملة بعدها ألف ثم واو مكسورة وراء مهملة فعل مضارع من المساورة وهي المثاوبة التي هي مفاعلة من الجانبين لان كلا يثب على الآخر والقرن بكسر القاف وسكون الراء وبالنون في آخره المقاوم في الشجاعة أو العلم أو غيرهما وانما خص القرن اشارة

هناقيل للواحد من فرسان الفرس اسوار بكسر الهمزة واسوار بضمها وجمعهما اساورة والهاء عوض من الياء كزنادقة (وقوله لايحل له) أى لايتانى ذلك له حتى كانه محرم عليه وفيه تكرار الظاهر والمجدول الملقى بالجدالة وهى الارض ويروى مفلول أى مكسور مهزوم وأصل الفل الكسر الحسى قال

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

قال رحمه الله تعالى *(منه تظل سباع الجوّ ضامزة * ولاتمشى بواديه الاراجيل)*

يصف هذا الاسد بأن الاسود والرجال تخافه فالاسود ساكتة من هيبته والرجال ممتنعة عن المشى بواديه والجوّ البر الواسع والمطامن فسره هنا بما بين السماء والارض وضامز بالضاد والزاى المعجمتين يقال ضمر الرجل بالفتح يضمز بالضم ضمزا اذا سكت والبعير اذا أمسك جرته فى فيه فلم يجترها وكل ساكت فهو ضامز وضموز قال الشاعر يصف حمار وحش وابنه

وهن وقوف ينتظرن قضاءه * بضاحى عذاة أمره وهو ضامز

العذاة بالعين المهملة والذال المعجمة الارض الطيبة التربة والجمع عذوات وأمره منتصب بقضائه محذوفا مبدلا من قضائه المذكور ولاينتصب بالمذكور لان الباء ومجرورها متعلقان بينتظرن ولا يفصل المصدر من معموله وقال الراجز يصف افعى

قد سالم الحيات منه القدما * الافعوان والشجاع الشجعما

* وذات قرنين ضموزا ضرزما *

يروى برفع الحيات فالافعوان اما بتقدير فعل محذوف أى وسالمت القدم الافعوان واما بدل من الحيات وان كان مرفوعا لفظا لانه منصوب معنى ويروى بنصب الحيات فلا اشكال فى ابدال الافعوان منه ثم قيل القدما فاعل مثنى حذفت نونه للضرورة وقيل انه جاء على نصب الفاعل والمفعول معا لامن الالباس كما يجوز رفعهما لذلك كقوله

ان من صاد عقعقا لمشوم * كيف من صاد عقعقان وبوم

وكما يجوز عكس الاعراب عند امن الالباس أيضا كقولهم كسر الزجاج الحجر وخرق الثوب المسمار وتلخص من هذا انه سمع فى اعرابى الفاعل والمفعول أربعة أوجه رفعهما ونصبهما ونصب الفاعل ورفع المفعول وعكسه وهو الوجه وماعداه لايقع الافى الشعر أوفى شاذ من الكلام بشرط أمن الالباس وقوله تمشى بضم التاء وفتح الميم بمعنى تمشى بفتح التاء وسكون الميم قال الشاعر

وخيفاء ألقى الليث فيها ذراعه * فسرت وساءت كل ماش ومصرم

تمشى بها الدرماء تسحب قصبها * كأن بطن حبلى ذات أونين متئم

الى ان هذا الاسد لايساوره ضعيفا ولاجبانا وانما يساور مقاومه فى الشجاعة ومساويه فى القوة وهذه طريقة الشجعان فى الحرب حتى ان أحدهم اذا برزله من هو دونه فى الشجاعة لايبرزله ولايقابله وقوله لايحل له ان يترك القرن الاوهو مفلول أى لايتاتى له النكوص والهرب فيمنع نفسه من ذلك حتى كانه يحرم عليه ان يترك المقاوم له الا وهو مكسور مهزوم فالمفلول بفتح الميم وسكون الفاء وضم اللام وبعد الواو الساكنة لام معناه المكسور المهزوم واصل الفل الكسر الحسى ومنه فل الحسام الذى هو السيف وهو ثلم حده قال الشاعر ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ثم استعمل فى غيره اتساعا وتجوزا ويروى الا وهو مجدول أى الا وهو ملقى على الجدالة وهى الارض فالمجدول بفتح الميم وسكون الجيم وضم الدال المهملة وبعد الواو الساكنة لام معناه الملقى على الجدالة وهى الارض ولايخفى ان فى قوله أن يترك القرن اظهارا فى مقام الاضمار اذ مقتضى الظاهر ان يقول أن يتركه وحاصل معنى البيت ان هذا الاسد اذا التقى مع مقاوم له فى الشجاعة لايتأتى له أن يترك هذا المقاوم له الا وهو مكسور مهزوم أو ملقى على الجدالة على اختلاف الروايتين السابقتين واذا كان بهذه الصفة كان جديرا بان يهاب لان هذه الحالة أتم حالات الشجعان وكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه لايجوز له أن يولى عن العدو ولو كان ألوفا ولذلك لم يعرف انه صلى الله عليه وسلم أدبر يوما فى الحرب ولاولى (قوله منه تظل الخ) أى من أجل ذلك الخادر تصير سباع ما اتسع من الاودية أو البر الواسع ساكنة ممسكة فمن تعليلية والضمير عائد على الخادر ويقرأ منه بالاشباع وتظل بمعنى تصير والسباع جمع سبع وهو فى الاصل اسم لكل حيوان كاسر ثم غلب استعماله فى الاسد والجوّ ما اتسع من الاودية وقيل البر الواسع ويطلق على مابين السما والارض والضامزة بضاد معجمة وبعد الالف ميم ثم زاى وفى آخره تاء التانيث بمعنى الساكنة الممسكة ففى القاموس اى ضمز يضمز ويضمز من بابى ضرب ونصر سكت ولم يتكلم فهو ضامز وضمز البعير اذا أمسك جرته فى فيه ولم يجتراه وبعضهم قال ان الرواية ضامرة بالراء المهملة وفسرها بان سباع الوادى تظل جياعا لعدم قدرتها على الاصطياد خوفا منه فتصير ضامرة وقوله ولاتمشى بواديه الاراجيل أى ولاتمشى فى وادى ذلك الخادر الرجال خوفا منه فتمشى بضم المثناة الفوقية وفتح الميم وتشديد الشين المعجمة بمعنى تمشى والباء بمعنى فى والضمير فى واديه عائد على الخادر والاراجيل جمع ارجال كاناعيم جمع انعام وارجال جمع رجل كافراخ جمع فرخ ورجل اسم جمع لراجل وهو ضد الفارس كالصحب اسم جمع لصاحب وحاصل معنى البيت ان هذا الاسد من أجل هيبته وشجاعته تصير سباع ما اتسع من الوادى أو البر الواسع ساكنة ممسكة ولاتمشى فى واديه لرجال خوفا منه جنسه من السباع وغير جنسه من الرجال وهذا أعلى ما يكون من الهيبة والشجاعة

أى ورب روضة حيفاء أى مختلفة ألوان أزاهرها وكل مختلف اللون فهو أحيف والليث الاسد أى انها امطرت بنوء الاسد والماشى صاحب الماشية الكثيرة يقال أمشى ومشى بالتشديد اذا كثرت ماشيته قال

وكل فتى وان أثرى وامشى * ستخلجه عن الدنيا منون

وقياس الوصف منه ممش وقد سمع ولكن الاكثر ماش كايفع فهو يافع واينع الثمر فهو يانع وابقل المكان فهو باقل والمصرم الذى ذهبت ماشيته والمعنى فسرت هذه الروضة صاحب الماشية وساءت الذى ذهبت ماشيته ولابد من تقدير مضاف أى وكل مصرم اذ فى البيت لف ونشر ولا يستقيم الا بذلك والدرماء بالدال المهملة الارنب وسميت بذلك لتقارب خطاها وانما سمى دارم بن مالك دارما لان أباه سئل فى حمالة فامره أن يأتيه بخريطة فيها مال فجاء وهو يدرم تحتها من ثقلها والقصب بضم القاف واسكان الصاد المهملة المعى وفى الحديث رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار وذلك لانه أول من سيب السوائب وبحر البحائر والجمع اقصاب قال الاعشى

وشاهدنا الجل والياسمين * والمسمعات باقصابها

أى باوتارها وهى تتخذ من الامعاء يعنى أن الارنب تسحب بطنها فى هذه الروضة كانه بطن حبلى ذات ثقلين فى بطنها ولدان والجل فى بيت الاعشى بضم الجيم فارسى معرب والاراجيل جمع ارجال كالاناعيم جمع انعام وارجال جمع رجل كافراخ جمع فرخ ورجل اسم جمع راجل كالصحب اسم جمع صاحب قال

*(ولا يزال بواديه اخو ثقة * مطرح البز والدرسان مأكول)*

هذا البيت فى توسط خبر زال بمنزلة قوله

الا يا اسلمى يا دارمى على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وذلك لان الظرف خبر مقدم وأخو ثقة اسم مؤخر والمراد به هنا الشجاع الواثق بشجاعته ومطرح صفة له وان كان نكرة لان اضافة مطرح ليست محضة فهو نكرة أيضا والبز بفتح الباء وبالزاى مشترك بين امتعة البزاز وبين السلاح وهو المقصود هنا والدرسان اخلاق الثياب وهو معطوف على البز وأحرفه مهملة مكسورة الاول جمع درس بالكسر أيضا وهو الدريس أى الثوب الخلق الذى قد درس ومثله فى تكسير فعل على فعلان صنو وصنوان وقنو وقنوان وماكول صفة ثانية لاخو ثقة قال

*(ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول)*

قال ابن دريد اشتقاق السيف من قولهم ساف ماله أى هلك لان السيف سبب الهلاك وفيه نظر لان المعروف اساف الرجل يسيف أى أهلك ماله وساف المال يسوف بالواو أى هلك حكاه يعقوب وحكى أيضا رماه الله بالسواف بالفتح أى بالهلاك وحكاه الاصمعى بالسواف بالضم واتفقا على الواو ويقال سيف مهند وهندوانى منسوب الى الهند وسيوف الهند أفضل السيوف ويستضاء به معناه يهتدى به الى الحق ويروى لنور

(قوله ولا يزال بواديه الخ) بواديه بالاشباع خبر ليزال مقدم واخو ثقة اسمها مؤخر فهذا البيت فى توسط الخبر كقول الشاعر الا يا اسلمى يا دارمى على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر والضمير فى واديه عائد على الخادر السابق وقوله أخو ثقة المراد منه هنا الشجاع الواثق بشجاعته فكانه يواخى الوثوق بنفسه ويلازمه وقوله مطرح البز والدرسان أى مطروح بزه ودرسانه ومطرح بضم الميم وفتح الطاء وتشديد الراء المهملة المفتوحة وبحاء مهملة فى آخره بمعنى مطروح وهو صفة لقوله اخو ثقة وان كان نكرة لان اضافة مطرح لما بعده ليست محضة فلا تفيده التعريف والبز بفتح الباء الموحدة وبالزاى المشددة المراد به هنا السلاح وان كان مشتركا بينه وبين أمتعة البزازين والدرسان بكسر الدال وسكون الراء وفتح السين المهملات وبعدها ألف ثم نون جمع درس بكسر فسكون وهو الثوب الخلق الذى قد درس فمعنى الدرسان الثياب الخلقة التى قد درست وقوله ماكول صفة أخرى لقوله اخو ثقة أى ماكول لذلك الخادر وحاصل معنى البيت ان ذلك الخادر لا يزال فى واديه الشجاع المتوثق بشجاعة نفسه المطروح سلاحه وثيابه الخلقة التى قد درست والمأكول لذلك الخادر فلما أكله انطرح سلاحه وثيابه البالية وانما كانت ثيابه كذلك لانه قد قطعها ذلك الخادر بانيابه فهو لا يعسر بواديه شجاع الا أكله وطرح سلاحه وثيابه الخلقة التى مزقها اولا يولع الا بالشجعان ولا يلتفت لغيرهم (قوله ان الرسول لسيف الخ) ويروى ان الرسول لنور الخ وفى هذا البيت رجوع الى تمام مدحه صلى الله عليه وسلم بعد ان وصف الاسد الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد هيبة منه وجعله صلى الله عليه وسلم على الرواية الاولى سيفا من قبيل التشبيه البليغ كما فى قولهم زيد اسد على طريقة الجمهور وجوز السعد ان يكون استعارة فقول التبريزى وجعله سيفا استعارة مبنى على طريقة السعد ولذلك قال ابن هشام وليس كذلك وانما يسمى مثل هذا عند أهل البيان تشبيها مؤكدا اه وهو ناظر لطريقة الجمهور وقوله يستضاء به أى يهتدى به الى الحق وقد كانت عادة العرب انهم اذا أرادوا استدعاء من حولهم من القوم شهروا السيف الصقيل فيبرق فيظهر لمعانه من بعد فيأتون اليه مهتدين بنوره ومؤتمين بهديه وكذلك النبى صلى الله عليه وسلم لما جاء بالنور المبين والمعجزات الظاهرة ودعا الناس اليه اتوا مهتدين بنوره الساطع ومؤتمين بضيائه اللامع وقوله مهند بضم الميم وفتح الهاء وتشديد النون المفتوحة وبالدال المهملة فى آخره أى منسوب الى الهند وانما نسب اليها لان سيوف الهند أحسن السيوف وقوله من سيوف الله أى من سيوف عظمها الله بنيل الظفر والانتقام

وروى ان كعبا قال أولا من سيوف الهند فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيوف الله وقوله مسلول أى مخرج من غمده ولما وصل كعب الى قوله ان الرسول لسيف يستضاء به رمى صلى الله عليه وسلم عليه بردته الشريفة وبذل له فيها معاوية عشرة آلاف فقال كعب ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته عشرين ألفا وأخذها منهم كما تقدم والرواية الثانية اعنى قوله ان الرسول لنور الخ أحسن كما قاله ابن هشام وقد ورد فى القرآن من هذا المعنى ياأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فسماه الله سراجا منيرا على سبيل التشبيه لكونه يهتدى به كما يهتدى بالسراج المنير (قوله فى فتية من قريش الخ) لما مدح النبى صلى الله عليه وسلم بما تقدم أخذ فى مدح المهاجرين من الصحابة رضى الله عنهم فقال فى فتية من قريش الخ أى حال كونه كائنا أو مبعوثا فى فتية من قريش فقوله فى فتية متعلق بمحذوف حال من الرسول فى قوله ان الرسول لسيف وبعضهم جعله متعلقا بمحذوف خبرا آخر اى كائن أو مبعوث فى فتية من قريش والفتية بكسر الفاء وسكون التاء وفتح الياء وبتاء التانيث فى آخره جمع فتى وهو السخى الكريم وان كان شيخا ويروى فى عصبة وهى الجماعة من الناس ٨٠ ما بين العشرة والاربعين ومن قريش صفة أولى الفتية ومن بمعنى بعض وقريش قبيلة مشهورة

يستضاء به وهو حسن قال التبريزى وجعله سيفا استعارة انتهى وهذا فى اصطلاح البيانيين انما يسمى تشبيها مؤكدا لا استعارة اذ شرط الاستعارة عندهم طى المشبه وروى ان كعبا رضى الله عنه أنشد من سيوف الهند فقال النبى صلى الله عليه وسلم من سيوف الله قال

*(فى فتية من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا)*

فى فتية خبرا آخر أو متعلق بمسلول والفتية والفتيان والفتو والفتى بضم أوله وبكسره كالعصى جمع فتى والاولان فى كتاب الله تعالى وقال لفتيته وقال لفتيانه والثالث شاذ لان أصله فتوى على فعول فكان حقهم أن يبدلوا واوه ياء ويدغموها فى الياء ومنه قول جذيمة

فى فتو أنا رابئهم * من كلال غزوة ماتوا

ونظيره فى الشذوذ قولهم فى المصدر الفتوة والمفرد الفتى وهو السخى الكريم وان كان شيخا ويروى فى عصبة وهى الجماعة من الناس ما بين العشرة الى الاربعين والظرف والجملة الفعلية صفتان لفتية أو لعصبة وهذا القائل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وزولوا انتقلوا من مكة الى المدينة يعنى بذلك الهجرة قال

*(زالوا فما زال أنكاس ولا كشف * عند اللقاء ولا ميل معازيل)*

زال هذه تامة معناها هنا ذهبوا وانتقلوا وهى التى بنى منها الامر فى البيت السابق ومضارعها يزول وقد اجتمع الماضى والمضارع فى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من أحد أى ما يمسكهما من أحد من بعده وأما الناقصة فهى زال يزول ولا تقع الا بعد نفى أو نهى نحو ولا يزالون مختلفين وقول الشاعر

صاح شمر ولا تزل ذاكر المو * ت فنسيانه ضلال مبين

والانكاس جمع نكس بكسر النون وهو الرجل الضعيف المهين شبه بالنكس من السهام وهو الذى انكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله والكشف بضمتين جمع اكشف وهو الذى لا ترس معه فى الحرب والميل جمع اميل وله معنيان كل منهما صالح هنا أحدهما الذى لا سيف معه والثانى الذى لا يحسن الركوب ولا يستقر على السرج قال جرير يهجو قوما

لم يركبوا الخيل الا بعد ما هرموا * فهم ثقال على اكفالها ميل

ومن يجوز حمل المشترك على معنييه أو على معانيه دفعة جاز عنده هنا الحمل على المعنيين معا وزنه ميل فعل

وقد اختلف فى أبيها فذهب قوم الى انه النضر بن كنانة والراجح انه فهر بن مالك بن النضر المذكور كما قال العراقى فى السيرة أما قريش فالاصح فهر * جماعها والاكثرون النضر وانما خص قريشا بالذكر لان غالب المهاجرين كانوا منهم وقوله قال قائلهم أى قال القائل الذى هو من تلك الفتية فالجملة صفة ثانية للفتية واختلف فى ذلك القائل فقيل هو حمزة بن عبد المطلب وقيل هو عمر بن الخطاب وقوله ببطن مكة أى فى بطن مكة فالباء بمعنى فى وبطن مكة واديها وبطحاؤها ومكة اسم للبلد الحرام ويقال لها أيضا بكة بالباء بدل الميم وبهما جاء القرآن الكريم قال تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة وقال عز وجل ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وقيل بالميم الحرم كله وبالباء المسجد وقيل اسم لموضع الطواف خاصة وقوله لما اسلموا أى حين اسلموا فلما بمعنى حين وهى ظرف لقال وأول من أسلم خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم باتفاق ثم أسلم بعدها على بن أبى طالب ثم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد اشتراه واعتقه ثم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثم أسلم جماعة كثيرون وقوله زولوا فعل أمر من زال التامة أى تحولوا وانتقلوا من مكة الى المدينة فهو أمر لهم بالهجرة وحين أنشد كعب هذا البيت نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى أصحابه الكرام كالمعجب لهم من حسن مقوله وجودة شعره وكماله فى حاله وقال لهم اسمعوا أخرجه الحاكم والبيهقى وحاصل معنى البيت انه صلى الله عليه وسلم كائن أو مبعوث فى جماعة من قريش وصفة تلك الجماعة انه قال القائل منهم حين اسلموا تحولوا من مكة الى المدينة فاختار والهجرة من أوطانهم ليفوزوا بدينهم (قوله زالوا الخ) أى ذهبوا وهاجروا من مكة الى المدينة وهذه هى الهجرة الثانية فان الصحابة رضى الله عنهم هاجروا هجرتين الاولى الى أرض الحبشة وذلك انه لما اشتد أذى كفار قريش لمن أسلم بمكة أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن ليس له عشيرة تحميه بالهجرة الى أرض الحبشة فهاجر منهم جماعة وأقاموا

ثم الى جوار النجاشي فاحسن نزلهم وعاملهم بالكرامة وأرسلت قريش له فى طلبهم وهادوه على ذلك فلم يرض الثانية الى المدينة الشريفة لم وكان ابتداؤها ان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو قبائل العرب فى موسم الحج الى الله تعالى و يقول يابنى فلان انى رسول الله اليكم ان تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيأ وان تتركوا ما تعبدون من دونه وان تؤمنوا بى وتصدقونى فلم يجبه أحد فاتفق انه خرج فى الموسم مرة فلقى ستة رجال من أهل المدينة وكانوا من الخزرج فعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فآمنوا به ثم انصرفوا الى المدينة فدعوا قومهم الى الاسلام فاسلم منهم خلق كثير وفشا فيهم الاسلام ثم لقى النبي صلى الله عليه وسلم فى العام الآخر اثنى عشر رجلا من الانصار فبايعهم على ان لا يشركوا بالله شيأ ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق و بعث معهم مصعب بن عمير فلما قدم المدينة دعا من بها الى الاسلام فكان ممن أسلم على يديه سعد بن معاذ وحمل قومه على الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا به عن آخرهم وفشا الاسلام بالمدينة حتى لم يبق فيها دور من دور الانصار الا دخلها الاسلام ثم عاد مصعب الى مكة فى ثلاثة وسبعين رجلا ممن أسلم من الانصار بعضهم من الاوس و بعضهم من الخزرج فاجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة فقالوا يارسول الله ما لنا ان قتلنا دونك قال الجنة قالوا فابسط يدك لنبايعك فبايعوه على ذلك وانصرفوا راجعين الى المدينة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة الى المدينة فخرجوا متتابعين وأقام هو صلى الله عليه وسلم بمكة حتى يأذن له ربه فلما أذن له خرج من مكة ليلا ومعه أبو بكر الصديق وأقاما بغار ثور ثلاثة أيام ثم خرجا ٨١ منه وتوجها الى المدينة وأقام على بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمكة الى ان أدى ودائع الناس كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم وقوله فما زال انكاس أى فما تحول وانتقل ضعاف فالانكاس بفتح الهمزة معناه الضعاف جمع نكس بكسر النون وهو الرجل الضعيف وقوله ولا كشف بضم الكاف والشين المعجمة جمع أكشف وهو الذى لا ترس معه فى الحرب وكان مقتضى القياس تسكين الشين كحمر وحمر فلعل ضمها سماعى أو لضرورة النظم وقوله عند اللقاء أى عند ملاقاة الاعداء وقوله ولا

(١١ — بانت سعاد) ميل بكسر الميم جمع أميل وهو الذى لا سيف معه أو الذى لا يحسن الركوب ولا يستقر على السرج قال جرير بهجو قوما لم يركبوا الخيل الا بعد ما هرموا * فهم ثقال على اكتافها الهاميل * وقوله معازيل أى ولا معازيل فالمعنى على العطف والمعازيل بفتح الميم والعين المهملة و بعد الالف زاى مكسورة ثم ياء ساكنة ولام فى آخره جمع معزال بكسر الميم وهو الذى لا سلاح معه والمشهور فيه اعزل ومنه سمى النجم المشهور الاعزل لمقابلته النجم الآخر المسمى بالرامح لكونه فى هيئة رجل بيده رمح و يقال لهذين النجمين السماكان وما أحسن قول المعرى فى ذلك لا تطلبن بغير حظ رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل أى لا رمح معه ثم ان قوله فما زال انكاس الخ كناية عن قوة شجاعتهم لانه يدل على انهم زالوا عن اماكنهم وانتقلوا عن أوطانهم ومع ذلك لم يزل عن لقاء الاعداء ومحاربتهم ضعفاؤهم ومن ليس معه ترس ولا سيف ولا سلاح فكيف باقويائهم وأصحاب الترس والسيف والسلاح وقيل المعنى هاجروا من مكة الى المدينة وليس فيهم من هذه صفته بل المهاجرون كلهم أقوياء ذوو أسلحة كلما سمعوا صيحة طاروا اليها وقاموا عليها وثبتوا لديها وهذا هو الذى اقتصر عليه السيوطى (قوله شم العرانين الخ) أى هم شم العرانين الخ فهو خبر لمبتدا محذوف والشم بضم الشين المعجمة جمع أشم وهو الذى فى قصبة أنفه علو مع استواء اعلاه ماخوذ من الشمم وأصله الارتفاع مطلقا والعرانين بفتح العين جمع عرنين بكسرها وهو الانف ثم ان قوله شم العرانين محتمل لمعنيين أحدهما انه أراد ان يكون فى قصبة أنوفهم ارتفاع حقيقة وهو من الاوصاف الجيدة التى فى تكوين خلق الانسان وقد جاء فى وصف النبي صلى الله عليه وسلم انه كان أشم العرنين ثانيهما ان يكون استعارة لذلك لرفعة القدر والعلو لانه يقال للرجل المرتفع القدر فى

بضم أوله والكسرة عارضة لتسلم الياء ومثله عيس و بيض والمعازيل جمع معزل وهو الذى لا سلاح معه والمشهور رجل اعزل قال
ولكن من لم يلق أمرا ينوبه * بعدته ينزل به وهو أعزل
والاصل ولكنه أى ولكن الشان فحذفه وقالوا لاحد السماكين اللذين فى السماء السماك الاعزل لانه لا رمح معه كالسماك الرامح وما أحسن قول المعرى

لا تطلبن بغير حظ رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

و يجوز أن يكون جمعا لمعزال وهو الضعيف الاحمق والمعنى زالوا من بطن مكة وليس فيهم من هذه صفته بل هم أقوياء ذوو سلاح فرسان عند اللقاء قال

*(شم العرانين أبطال لبوسهم * من نسج داود فى الهيجا سرابيل)*

الشم جمع اشم وهو الذى فى قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه والمصدر الشمم وأصله الارتفاع مطلقا والعرانين جمع عرنين وهو الانف والابطال جمع بطل وهو الذى تبطل عنده الدماء وتذهب هدرا ولا يدرك عنده بالثار وقيل الذى تبطل فيه الحيل فلا يوصل اليه واللبوس بفتح اللام اللباس قال * البس لكل حالة لبوسها * والمراد به ههنا ما يلبس من السلاح والنسج المنسوج وداود النبي عليه الصلاة والسلام ومنسوجه الدروع قال قتادة كانت الدروع قبله صفائح وهو أول من سردها وحلقها فجمعت الخفة والتحصين والسرابيل جمع سربال والظرف صفة لسرابيل قدم عليه فانتصب على الحال قال

انفه شمم وقوله ابطال صفة أو خبر ثان والابطال جمع بطل بفتحتين وهو الشجاع سمى بذلك لانه تبطل عنده دماء خصمه وتذهب هدرا فلا يؤخذ منه بالثار لشجاعته أو لانه تبطل فيه الحيل فلا يتوصل اليه فوصفهم بكونهم شجعانا ولاشك ان الشجاعة من أحد الاوصاف التى يتمدح بها و يقع الافتخار بسببها وقوله لبوسهم باشباع الميم مبتدأ خبره قوله سرابيل ومن نسج داود صفة لقوله لبوسهم وفى الهيجا متعلق بمحذوف حال من المضاف اليه وهو الضمير فى لبوسهم أى حال كونهم فى الهيجاء و يحتمل ان قوله من نسج داود خبر أول وسرابيل خبر ثان واللبوس بفتح اللام مايلبس من السلاح والمراد بنسج داود عليه الصلاة والسلام منسوجه وهو الدروع والهيجا بالقصر هنا ويجوز فيها المد أيضا لكن فى غير النظم وهى الحرب والسرابيل جمع سربال وهو الدرع أو القميص كما فى المصباح ومراده بذلك وصفهم بان لبوسهم فى الحرب من أصنع الدروع وامنعها لانه جعلها من نسج داود نبى الله عليه الصلاة والسلام ولاشك ان دروعه احكم الدروع صنعة لان تعلمه لتلك الصنعة من الله تعالى كما قال تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون ولان الله تعالى ألان له الحديد كما قال تعالى وألنا له الحديد ان اعمل سابغات الآية وحاصل معنى البيت أن فى أنوفهم ارتفاعا وانهم ذوو رفعة وعلو ومقدار وفى الحرب فى غاية من الشجاعة ومنعة من السلاح وفيه اشارة الى امتثال قوله تعالى وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الآية فان قيل كيف مدحهم بلبس الدروع مع ان القتال دونها اعلى فى رتبة الشجاعة أجيب بان تمام الحزم الاحتراز ولذلك أمر الله تعالى باخذ الحذر والاسلحة فى قوله تعالى خذوا حذركم وأسلحتكم وقد أنكر عبد الملك بن مروان على الشاعر حين امتدحه بقوله ٨٢ على ابن أبى العاص دلاص حصينة

اجاد المسدى سردها فأذالها
يود ضعيف القوم حمل قتانه
و يستضلع القرم الاشم احتمالها
ولم يمدحه بمثل قول الاعشى فى قيس بن معديكرب
واذا أتى بكتيبة مملوءة
شهباء يخشى الرائدون نزالها
كنت المكرم غير لابس جنة
بالسيف تضرب معلما ابطالها
وأجاب الشاعر عبد الملك بقوله يا أمير المؤمنين قد وصفتك بالحزم ووصف الاعشى صاحبه بالجنون

و بالجملة فالمدح بلبس الدروع وآخذ السلاح اتم ولذلك ذهب اليه كعب رضى الله عنه فى مدح المهاجرين رضى الله عنهم *(لا

*(بيض سوابغ قد شكت لها حلق * كأنها حلق القفعاء مجدول)*

بيض سوابغ صفتان لسرابيل ومعنى بيض مجلوة صافية ومعنى سوابغ طوال تامة ومفردهما أبيض وسابغ لان السربال مذكر وفاعل يجمع على فواعل فى مسائل منها ان يكون صفة لما لا يعقل كقوله لناقة راها والنجوم الطوالع * وأصل الشك ادخال الشئ فى الشئ ومنه قوله * فشككت بالرمح الطويل ثيابه * والمراد به هنا ادخال بعض الحلق فى بعض وانما يكون ذلك فى الدروع المضاعفة و يروى سكت بالسين المهملة أى ضيقت يعنى ان حلق الدرع قد ضويق بينها والسكك الضيق ومنه اذن سكاء أى ضيقة من قولهم استكت الاذن اذا استدت وقيل انما الاذن السكاء التى لا يبين لها نتوء كآذان الطير والجملة الفعلية صفة ثالثة لسرابيل والاسمية صفة لحلق والحلق بفتحتين جمع حلقة بالاسكان على غير قياس هذا هو الصحيح وخالفه الاصمعى فى الجمع وقال حلق بكسر الحاء كبدرة و بدر وقصعة وقصع وخالف أبو عمرو فى المفرد فقال حلقة بالفتح وقال أبو عمرو الشيبانى ليس فى الكلام حلقة بالتحريك الا جمع حالق والقفعاء بقاف بعدها فاء بعدها عين مهملة شجر ينبسط على وجه الارض يشبه حلق الدروع والمجدول المحكم الصنعة وفيه تقديم الوصف بالجملة على الوصف بالمفرد وهو جائز فصيح ومنه قوله تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم و يحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين هذا هو الصحيح قال

(قوله بيض سوابغ الخ) البيض جمع أبيض وهى صفة اولى لسرابيل والمراد منها المجلوة الصافية المصقولة لكونهم يدعون الحرب لان الحديد مهما استعمل انجلى وصفا وانصقل ولم يركبه الصدأ والسوابغ بالسين المهملة و بالغين المعجمة جمع سابغ وهى صفة ثانية لسرابيل والمراد منها الطوال السوابل و يلزم من ذلك انهم فى غاية القوة لان الدروع اذا كانت طويلة سابلة كانت أثقل من غيرها وحملها فى الحرب مع ثقلها يدل على الشدة والقوة وقوله قد شكت بالبناء لما لم يسم فاعله ونائب الفاعل ضمير يعود على الدروع وهذه جملة فعلية وقوله لها حلق جملة اسمية فهما جملتان على هذا و يحتمل ان نائب الفاعل هو حلق و يكون الكلام جملة واحدة واللام فى لها على هذا بمعنى من أى شكت منها حلق ثم انه يروى شكت بالشين المعجمة بمعنى أدخل بعضها فى بعض وانما يكون ذلك فى الدروع المضاعفة فالشك بالشين المعجمة فى الاصل ادخال الشئ فى الشئ و يروى سكت بالسين المهملة بمعنى ضيقت فتلك الدروع قد ضيق بين حلقها فالسك بالسين المهملة الضيق ومنه اذن سكاء أى ضيقة والحلق بفتحتين على الصحيح وضبطه الاصمعى بكسر الحاء ومفردها حلقة باسكان اللام على الصحيح أيضا وضبطه أبو عمرو بالفتح وقال أبو عمرو الشيبانى ليس فى الكلام حلقة بالتحريك الا جمع حالق وقوله كأنها حلق القفعاء أى كان تلك الحلق التى هى حلق دروعهم حلق القفعاء بفتح القاف وسكون الفاء وفتح العين المهملة بعدها ألف ممدودة وهى شجر ينبسط على وجه الارض له حلق يشبه به حلق الدروع وجملة كأنها الخ صفة لحلق وقوله مجدول صفة اخرى لحلق أى مجدول كل واحدة منها فلا يرد ان الموصوف وهو حلق جمع والصفة وهى مجدول مفردة وفيه الوصف بالمفرد بعد الوصف بالجملة وهو جائز فصيح ومنه قوله تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم و يحبونه اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين

*(لا يفرحون اذا نالت رماحهم * قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا)*

يقول اذا ظفروا بعدوهم لم يظهر عليهم الفرح واذا ظهر عليهم العدو لم يحصل لهم الجزع يصفهم بالشجاعة وكبر الهمة وشدة الصبر وقلة المبالاة بالخطوب والمجازيع جمع مجزاع وهو الكثير الجزع وصرفه للضرورة قال

*(يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم * ضرب اذا عرد السود التنابيل)*

يصفهم بامتداد القامة وعظم الخلق وبيض البشرة والرفق في المشي وذلك دليل على الوقار والسودد والزهر جمع أزهر وهو الابيض يعني انهم سادات لا عبيد وعرب لا اعراب ومشي مصدر مبين للنوع وهو في الاصل نائب عن صفة مصدر محذوف أي مشيا مثل مشي ويعصم يمنع ومنه سآوي الى جبل يعصمني من الماء والجملة حال والمعنى يحميهم من أعدائهم ويكفهم عنهم ضرب وعرد مهملة الاحرف أي فر وأعرض قال التبريزي ومن روى غرد يعني بالغين المعجمة اراد طرب انتهى ولا معنى لهذه الرواية والسود جمع أسود والتنابيل القصار والمفرد تنبال والتاء فيه زائدة وهو أحد ما جاء من الاسماء على تفعال بالكسر كالتمساح والاكثر تمسح بالقصر والتبراك والتعشار لموضعين والتلقاء والتقصار للقلادة الشبيهة بالمخنقة ويقال تقصارة أيضا والجمع تقاصير واذا كان التفعال مصدرا فهو بفتح الاول لا غير كالتجوال والتطواف الا كلمتين التبيان والتلقاء قال الله تعالى تبيانا لكل شئ وتقول لقيته تلقاء أي لقاء وأما قوله تعالى تلقاء أصحاب النار فهو من باب الاسماء وانتصابه على الظرف وقد خطئ من ينشد قوله

وما زال تشرابي الخمور ولذتي * وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي

بكسر التاء ويقال انه عرض بهذا البيت بالانصار رضي الله تعالى عنهم وان سبب ذلك انهم كانوا حراصا على قتله ويقال انه شبب بام هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها وأراد بعض الانصار قتله ويروى ان المهاجرين رضي الله عنهم لما سمعوا هذا البيت قالوا ما مدحنا من هجا الانصار فمدحهم رضي الله عنهم أجمعين قال

*(لا يقع الطعن الا في نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل)*

وصفهم بانهم لا ينهزمون فيقع الطعن في ظهورهم بل يقدمون على أعدائهم فيقع الطعن في نحورهم وروي انه لما أنشد هذا البيت نظر عليه الصلاة والسلام الى من كان بحضرته من قريش كأنه يومئ اليهم ان اسمعوا ومثل هذا البيت قول الحصين بن الحمام

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد * لنفسي حياة مثل ان أتقدما

فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

يروى تقطر بالمثناة من فوق فالدما اما مفعول لانه يقال قطر الدم وقطرته والمعنى تقطر الكلوم الدم واما تمييز

ومعنى مجدول محكم الصنعة ففيه اشارة الى ان لهم اعتناء بآلة الحرب حيث لم يتخذوا منها الا محكم الصنعة عز يزالوجود وحاصل معنى البيت ان دروعهم صافية مجلوة مصقولة طويلة تامة تداخل بعضها في بعض محكمة الصنعة (قوله لا يفرحون اذا نالت الخ) أي لا يحصل فرح ولا سرور لهم اذا أصابت رماحهم الاعداء وغلبوهم بأن ذلك من عادتهم بكونهم يكثرون الظفر بالاعداء والفرح انما يكون بالشئ النادر القليل الوقوع فنالت بمعنى أصابت ورماحهم باشباع الميم والرماح معروفة وتقدم ان القوم هم الجماعة من الرجال وقوله وليسوا مجازيعا اذا نيلوا أي وليسوا كثيري الجزع والخوف اذا اصيبوا وغلبوا لجلادتهم وصبرهم على الحرب فاذا غلبهم العدو فلا يجزعون ولا يمنعهم ذلك من ملاقاته مرة ثانية نحو فانهاز يعا بفتح الميم وبالجيم وبزي معجمة وبالياء الساكنة وعين مهملة جمع مجزاع وهو ٨٣ كثير الجزع والخوف وهو هنا مصروف للضرورة ومعنى نيلوا اصيبوا وحاصل معنى البيت انهم اذا غلبوا اعدوهم لا يفرحون بذلك لكونه من عادتهم التي تقع لهم كثيرا واذا غلبهم العدو لا يجزعون من لقائه ثانيا (قوله يمشون مشي الجمال الخ) أي يمشون مشيا مثل مشي الجمال الخ فمشي نائب عن صفة مصدر محذوف وهو مبين للنوع وغرضه بذلك وصفهم بامتداد القامة وعظم الخلق والرفق في المشي وبياض البشرة وذلك دليل على الوقار والسودد فهم سادات لا عبيد وعرب لا أعراب وقوله الزهر صفة للجمال وهو بضم الزاي جمع ازهر وهو الابيض وقوله يعصمهم ضرب أي يمنعهم ويحميهم من الاعداء ضربهم اياهم بالسيوف والرماح لا التحصن بالحصون والقلاع وقوله اذا عرد أي وقت ان فر وأعرض فاذا بمعنى وقت وقد تنازع فيه يمشون ويعصمهم وعرد بفتح العين المهملة وتشديد الراء وفي آخره دال مهملة ومعناه فر واعرض وهذا هو المناسب هنا واما رواية غرد بالغين المعجمة بمعنى اطرب بالرجز والشعر فلا معنى لها هنا كما قاله ابن هشام في شرحه وقوله السود جمع أسود وقوله التنابيل بفتح المثناة الفوقية ثم نون ثم ألف بعدها باء موحدة مكسورة وياء مثناة تحتية ساكنة ولام في آخره جمع تنبال كتمساح وهو القصير وحاصل معنى البيت انهم يمشون الى الحرب كمشي الجمال البيض ويمنعهم من الاعداء ضربهم لهم وقت فرار القوم ومن لازم ذلك كمال شجاعتهم وغاية رسوخهم في أمر المحاربة (قوله لا يقع الطعن الخ) أي لا يقع طعن القوم لهم في ظهورهم بل في نحورهم اذ لا ينهزمون حتى يقع الطعن في ظهورهم بل يقدمون على أعدائهم فلا يقع الطعن الا في صدورهم فمعنى نحورهم باشباع الميم صدورهم وقوله وما لهم عن حياض الموت تهليل ويروى فما لهم بالفاء أي ليس لهم من

على ان الالف واللام زائدة كقوله

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا * صددت وطبت النفس ياقيس عن عمرو

ويروى بالمثناة من أسفل فالدماما على استعماله مقصورا وهو الاصل فيه وعليه قيل فى التثنية دميان قال

فلوانا على حجر ذبحنا * جرى الدميان بالخبر اليقين

ولكن الاستعمال الكثير بحذف لامه فى الافراد والتثنية وتهليل مصدر هلل عن الشئ اذا تأخر عنه يقول لايتأخرون عن حياض الموت اذا تأخر غيرهم عنها ونكص وعن متعلقة بالتهليل وان كان مصدرا وقد مضى القول فى ذلك غير مرة وهذا آخر مالخصته فى شرح هذه القصيدة المباركة وقد تطفلت بشرحها على كرم الممدوح فيها صلى الله عليه وسلم وبه أستشفع الى ربى أن يصلح قلبى ويغفر ذنبى وينجح قصدى ويوفر من احسانه جدى وان يغفر زلتى ويصلح لى فى ذريتى وان يفعل ذلك بى وباحبابى وبجميع أهلى بمنه وكرمه والحمد لله أولا وآخرا والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين (قال المؤلف) تغمده الله بالرحمة والرضوان وأسكنه أعلى فراديس الجنان وافق الفراغ من ذلك الثامن عشر من رجب الفرد سنة ست وخمسين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل

أما بعد حمد الله على نعمه التى لاتحصى والصلاة والسلام على من محاسنه لاتستقصى فقد تم بعون الملك العلام

طبع شرح الشيخ جمال الدين بن هشام على القصيدة ذات الاسعاد المسماة ببانت سعاد محلى

الهوامش والطرر بحاشية الشيخ الباجورى ذات الغرر على القصيدة المذكورة

التى هى باللطائف معموره وذلك بالمطبعة الميمنية بمصر المحروسة المحمية بجوار

سيدى أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر المنير ادارة المفتقر

لعفو ربه القدير أحمد البابى الحلبى ذى العجز والتقصير

فى شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٧ هجرية

على صاحبها أفضل الصلاة

وأزكى التحية

آمين

الامكنة التى فيها يجتمع الموت كحيضان الماء التى فيها يجتمع تهليل أى تأخر فالحياض بالضاد المعجمة جمع حوض بمعنى الامكنة التى فيها يجتمع الموت كحيضان الماء ويروى حياض الموت بالصاد المهملة جمع حوص بمعنى مضائقه وشدائده وجملة ومالهم الخ امامعطوفة على الجملة الفعلية أو حالية من الضمير فى نحورهم أومعترضة للمدح وقد روى انه لما أنشد كعب هذا البيت نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من كان بحضرته من قريش كانه يومئ اليهم ان اسمعوا ويؤخذ من هذا ومن نظيره فيما تقدم استحباب سماع هذه القصيدة لما اشتملت عليه من نعوت الحضرة النبوية وأوصاف أصحابه المرضية وغيرهما من الفضائل البهية والشمائل السنية ومعرفة القواعد العربية والفوائد الادبية ويوجد فى نسخ المتن بيتان ليسا من كلام الناظم وهما

اقبله ياخير حاف بل ومنتعل * فالهم مجتمع والقلب مشغول

تكون للآل والاصحاب قد جمعت * فكلهم لى محبوب وموصول

ولم يكتب عليهما مابايدينا من الشراح لكونهما ليسا من كلام من فاز بالفلاح وقد ختم كلامه فى المبنى بما يناسب ابتداءه فى المعنى فانه قد ابتدأه بذكر الفراق وختمه بذكر الموت ولا ارتياب فى انه ليس بين الموت والفراق فرق عند أرباب الاشتياق فبلغت القصيدة من الحسن أقصى غايته وانتهت الى منتهى نهايته فنسأل الله تعالى أن يتفضل علينا بالجزاء الاوفى وان يبلغنا المقام الاسنى ويلحقنا بالرفيق الاعلى من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين